الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها

الخطاب الحِجاجي في المقالات الإصلاحية لمحمد البشير الإبراهيمي

مقاربة لغوية دلالية –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الدلالة

إعداد الطالب: **إشراف :**

محمد عطا الله د/ عبد الرحمن تركي

لجنة المناقشة

محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
عبد الرحمن تركي	أستاذ محاضر	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
لخضر بلخير	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
عادل محلو	أستاذ محاضر	جامعة الوادي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2012/2011

سعت الدراسات اللغوية واللسانية منذ نشأتها إلى دراسة اللغة، وعملت على وصفها بمختلف الوسائل والمناهج المتاحة لذلك، وبتطور اللسانيات الحديثة تم الإسهام في إبراز حقيقة اللغة بشكل كبير، وكشفت عن مناهج جديدة لتحقيق ذلك.

واللغة من أهم مظاهر السلوك الإنساني؛ خاصة الجانب التواصلي التداولي منها ؛ على أن التيار التداولي للخطاب أكثر ما يهتم بالعوامل اللغوية الدلالية؛ بل هو مقتصر على مقاربة النص لغويا ودلاليا بغرض الوصول إلى سبر الأبنية اللغوية وما فيها من إمكانات حجاجية، فالحجاج داخل بناء اللغة نفسها وكل شيء فيه ــ أي الخطاب الحجاجي ــ يخضع لاعتبارات لغوية أساسا، وهو في نظرية الحجاج اللغوية علاقة بين قولين؛ أي علاقة بين حجة ونتيجة.

والخطاب الحجاجي يكون شفهيا أو مكتوبا، ولكل منهما تقنياته الخاصة به في البناء والأداء، بما يقتضي الإشارة إلى بناء وحبك النص الحجاجي، وإن كنا في هذا المقام – أي الدراسة – سنقف على عتبات نص مكتوب وبالطبع له حدوده الخاصة، والذي هو عبارة عن مجموعة مقالات ؛ تتسم بالطابع الحجاجي لكون أكثرها كان عبارة عن رد قوامه الحجة والبرهان، والمبحث الحجاجي يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله؛ كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل.

لذلك وددت أن تكون الدراسة لغوية دلالية للحجاج في مدونة تعمل على مساعدتي في تطبيق العملية اللغوية الحجاجية، فكانت مقالات محمد البشير الإبراهيمي الإصلاحية من " عيون البصائر" محلا لهذه الدراسة، وعليه سيكون عنوان بحثي هذا على الشاكلة الآتية:

" الخطاب الحجاجي في المقالات الإصلاحية لمحمد البشير الإبراهيمي – مقاربة لغوية دلالية –"

و تنطوي دراسة من هذا الشكل – باعتبارها تتعلق بدراسة الحجاج لغويا في شقه التطبيقي– على أهمية بالغة، لعلّ منها بيان أهمية المكونات اللغوية في بناء النص الحجاجي، ومن ثمة دورها الإسهامي في عملية الاتصال والتداول اللغوي ، وكذا محاولة استنطاق النص العربي الحديث – عيون البصائر أنموذجا طبعا – خاصة الحجاجي منه ومقاربته لغويا قياسا بالنص التراثي العربي ، ومحاولة التعرف على شاكلة الحجاج في ضوء النظرية الحجاجية اللغوية كنظرية حديثة،

واستكناه ما في النص الحجاجي العربي الحديث من حضور للفعاليات الحجاجية من مكونات البناء إلى الروابط الحجاجية، وكذلك محاولة الوقوف على جمالية وسائل الإقناع الدلالية منها واللغوية ودورها الفعّال في عملية تبليغ الخطاب في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ومعرفة التطور الحاصل في استعمال المكونات اللغوية لوسائل إقناع حجاجية، ودورها الدلالي عبر مراحل زمنية مختلفة.

و لعلّ أول سبب في اختياري لهذه الدراس ـة وهذا الموضوع كان ذاتيا رغب.ة في مراوحة الدراسات اللغوية خاصة الحديثة منها وما تعلق بنظرية الاتصال والتداولية وتحليل الخطاب ، ثم أنّ طبيعة الموضوع – أي الحجاج – يتسم بشيء من العقلية والبرهان مما يسير وميولا تي، وهناك أسباب موضوعية عدة لاختياري هذا الموضوع، لعلّ أهمها الكشف عن تطور الدرس الحجاجي اللغوي عبر التاريخ إلى حدّ الوقوف على شاكلته الحديثة متمثلا في نظرية الحجاج اللغوية، ومحاولة العمل في ظل تلك النظرية اللغوية مسايرة وتماشيا ونظرية الاتص.ال والتداولية تحت سقف تحليل الخطاب ، وكذا الكشف عن مستوى النص الحجاجي العربي الحديث مقارنة بالنص الحجاجي التراثي العربي ومدى الامتيازات التي حصلت فيه ــ تطورا لغويا ودلاليا ــ ومنه كذلك العمل على المساهمة في عملية الدراسات اللغوية الحديثة خاصة في شقّها التطبيقي والذي غالبا ما يعاني من شحٍّ في الكتابة والتأليف ، وعن اختيار محمد البشير الإبراهيمي ومقالاته، فذلك لطبيعة خطابه الدعوي الإصلاحي الذي جاء في فترة تقتضي من صاحبها أن يكون خطابه حجاجيا لإقناع المتلقي والتأثير فيه؛ سواء أكان في سلوكه أو معتقداته، ولم لا في إنجازاته الفعلية، وطبيعة هذا الخطاب تخدم موضوعي بشكل كبير.

ولمناقشة هذا الموضوع يساورني طرح إشكال أساسي و هو ما مدى حضور وسائل الإقناع – لغويا ودلاليا – في الخطاب الحجاجي للبشير الإبراهيمي؟ وكيف كان استعمالها من أجل أداء وتثبيت الفكرة المراد تبليغها إعمالا للبنى اللغوية المساهمة في عملية الإقناع؟

على أن هذا يقودنا إلى طرح عدة إشكاليات فرعية، منها: كيف كان تاريخ الحجاج خاصة في النص التراثي العربي، وكيف تطور ؟ وكيف كانت شاكلة بناء النص الحجاجي وما هي أهم

مكوناته وما مدى تجسدها في نص المدونة المقترحة للدراسة في هذا البحث؟ وما هي الكيفية وما طبيعة الأشكال التي تجسدت فيها العوامل والروابط الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي ؟

وهذا الشيء يستدعي طرح عدة فرضيات متوقعة ومتصورة لهذا الموضوع من خلال الإشكاليات المطروحة، لعل منها:

– أنه حدث تغير وتطور كبير في النص الحجاجي الحديث مقارنة بالنص الحجاجي التراثي العربي خاصة.

– انبناء نص المدونة على شاكلة النصوص الحجاجية المألوفة ، من حيث استراتيجية البناء والمكونات.

– حسن استغلال وسائل الإقناع اللغوية وتجسدها دلاليا بشكل ملائم في النص الحجاجي العربي الحديث، خاصة وأن موضوع المدونة قائم على البرهان والإقناع.

وفي إطار هذا البحث الذي يندرج ضمن درس تحليل الخطاب الحجاجي، والذي ينطوي تحت اهتمامات الدرس اللغوي الدلالي واللساني الحديث ، لعلّ الهدف الأساسي من هو إعطاء محاولة تطبيقية في جزء من كثير قد نُظِّر في هذا المجال ، واستكناه فحوى نص عربي حديث للإسهام ولو بالنزر اليسير في دفع عجلة الدرس اللغوي الحديث ، كما يهدف إلى محاولة إعطاء دراسة تتضمن في الآن ذاته التحليل اللغوي ونظرية الاتصال والحجاج.

و لا يخفى على الدارس أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج المتبع في الدراسة، والمنهج الذي اقتضته هذه الدراسة هو المنهج التاريخي والوصفي التحليلي ، فالاستعانة بالمنهج التاريخي نرصد ها من خلال تتبع حركة التطور الحاصلة في الدرس الحجاجي عبر التاريخ، أمّا الوصفي فنعمل من خلاله على رصد الظواهر اللغوية الخاصة بالحجاج في هذا الموضوع سواء ما تعلق بالعوامل أو الروابط الحجاجية أو وسائل الإقناع اللغوية قصد الكشف والتبيين، أمّا المنهج التحليلي فيساعد على كشف تداخل المكونات اللغوية وترابط ها، وتبيين كيفية إسهامها دلاليا في عملية الإقناع وكيفية استعمالها كوسيلة إقناعية حجاجية.

وتشتمل هذه الدراسة على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة لأهم النتائج، ففي المقدمة سأعطي ماهية الموضوع والمادة المدروسة والمنهج المتبع في هذه الدراسة، كما سأشير إلى بعض الدراسات السابقة في الموضوع، والإشارة إلى أهم المصادر المعتمدة وكذا صعوبات البحث التي غالبا ما تعتري طريق الباحث.

أما المدخل فقد خصصته لأعرّف فيه بالكاتب والمدونة، حيث أردته أن يكون إطلالة في عالم البشير الإبراهيمي من حيث النشأة والدراسة وطبيعة تكوينه وثقافته وكذا أعماله، وعن المقالات من " عيون البصائر " بالتعريف لمادتها وموضوعاتها الواردة فيها وأسلوبها.

أما الفصول الثلاثة فسأعطي في الفصل الأول التمهيدي، مدخلا نظريا للموضوع تحت عنوان ماهية الحجاج وأهم نظرياته، بدءا بالمبحث الأول عن الخطاب الحجاجي، ويتضمن ثلاث نقاط أساسية: ماهية الحجاج ، الخطاب والحجاج، والنص والحجاج، ثم المبحث الثاني عن الحجاج في التراثين اليوناني والعربي، أبتدئه ببسطة تاريخية عن الحجاج في التراث اليوناني سواء أكان عند السوفسطائيين أو أفلاطون أو نظرية أرسطو في الحجاج، ثم الحجاج في النص التراثي العربي، محاولا التمييز بينه وبين الجدل والمناظرة، ثم التطرق إلى علاقة البلاغة العربية القديمة بالحجاج، وأخيرا إعطاء تصورات نظرية في الحجاج والجدل في التراث العربي، وذلك بالتركيز على ابن وهب ونظريته في الحجاج والقرطاجني وكذا الجاحظ، ثم التطرق إلى المبحث الثالث وأهم نظريات الحجاج اللغوية حديثا، بدءا بالبلاغة الجديدة ووصولا إلى نظرية الحجاج في اللغة.

أما الفصل الثاني فقد وسم بعنوان: استراتيجية بناء نص المقالات حجاجيا، وتضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان بناء النص الحجاجي في المقالات، وتضمن مكونات النص الحجاجي كما تمثلت في المدونة، ثم بناء تلك المكونات، بدءا بالبناء الشكلي لعناصرها، ثم عملية تحليلية للمقدمات (الدعوى)، ثم التدعيم بأنواعه.

أما المبحث الثاني فقد وسم بعنوان السلّميات الحجاجية في المقالات، وتناولت فيه المفهوم والأسس العامة لنظرية السلالم الحجاجية، ثم بينت كيفية حصولها في المقالات، وفي الأخير تطرقت

إلى قوانين الترتيب الحجاجي في مدونة الدراسة، انطلاقا من قانون تبديل السلم إلى قانون القلب ثم قانون الخفض.

وقد كان المبحث الثالث من هذا الفصل تحت عنوان الروابط والعوامل الحجاجية في المقالات، وتناولت فيه مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية، ثم دراسة تحليلية لأهم الروابط في المقالات، وقد أخذت ثلاثة روابط حجاجية كنماذج للدراسة والتحليل وهي: لكن، وبل، وحتى، وكذا بعض الروابط الحجاجية الأخرى كأسلوب القصر وواو الحال.

ليبقى الفصل الثالث لأدرس فيه وسائل الإقناع في المقالات، وكان بهذا العنوان، وقد ضمنته مبحثين، المبحث الأول بعنوان: وسائل الإقناع المنطقية الدلالية في المقالات، وتناولت فيه مفهوم الإقناع، ثم الوسائل المنطقية الدلالية؛ من قياس منطقي وإضماري ثم القياس المتدرج.

أما المبحث الثاني فوسم بعنوان وسائل الإقناع اللغوية في المقالات، وتناولت فيه ثلاثة بنى أساسية وهي: بنية التكرير وبنية التوازي ثم بنية الازدواج أو التوازن.

لأنهي الدراسة بخاتمة أرصد فيها جميع النتائج المستوحاة من الدراسة بعد أن أجيب عن الإشكال ومدى صدق الفرضيات المتوقعة فأعمل على إثباتها أو نفيها.

وقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على عدة مراجع عربية وأجنبية، حاولت الإفادة منها والتوفيق فيما بينها قدر الإمكان، وذلك لثراء هذا الموضوع – أي الحجاج –؛ إذ يرتبط بعدة مجالات معرفية، ولعلّ أهم تلك المراجع التي اعتمدتها " النص والخطاب والاتصال " لمحمد سليمان العبد، و" اللغة والحجاج " لأبي بكر العزاوي، وكذلك " أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم" لمجموعة من المؤلفين، وغيرها.

وهناك عدة دراسات سبقت دراستي لهذا الموضوع ــ أي الحجاج عند الإبراهيمي ــ، وهي رسالة ماجستير بعنوان: " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإيقاعية في أعمال البشير الإبراهيمي ــ دراسة لنماذج نصية مختارة ــ "، ولكن هذه الدراسة ورغم بعض النتائج المعتبرة المتوصل لها –كما أني قد أفدت منها في بعض النقاط – إلاّ أنها اقتصرت على نموذجين – مقالين – اثنين فقط للبشير الإبراهيمي، كما أنّها أسرفت في الشق النظري كثيرا، مما أعطاها

صبغة تنظيرية أكثر منها دراسة تطبيقية للموضوع، ثم أنّه لم يتعمق في دراسة وسائل الحجاج الإقناعية عند الإبراهيمي وهي أساس الدرس الحجاجي اللغوي.

ولعلّ أكبر عائق اعتراني في إنجاز هذا البحث هو كثرة المصطلحات في هذا المجال مع الاختلاف في تحديد مفاهيمها بدقّة بين الباحثين والمدارس اللسانية، فحاولت الأخذ بالمتداول أكثر والمتقاربة في مفهومها، ومن الصعوبات كذلك اختيار المدونة؛ أي المقالات التي ستكون مدونة للدراسة من مجموع مقالات عيون البصائر، والتجأت إلى وضع أساسين اثنين للاختيار، الأول حسب الموضوع، فكانت المقالات المختارة مختلفة ومتعددة المواضيع؛ من دينية إلى سياسية إلى اجتماعية وتربوية، وكلّها ضمن إطار الإصلاح، والأساس الثاني حسب الزمن، فآثرت أن تكون المقالات من كامل المدّة التي كتبت فيها ونشرت (1947 – 1953)، ومن ثَمة وقع اختياري على اثنتين وعشرين مقالة رأيت أنّها كافية لهذه الدراسة، خاصة وأن أكثر مواضيع المقالات مكررة.

وقد اعتراني مشكل ثالث وهو كيفية التعامل مع تهميش المقالات، خاصة مع كثرة الاستشهاد من المقالات في كثير من المواضع، قد يصل إلى ست أو سبع استشهادات في صفحة واحدة ولأكثر من أربع أو خمس صفحات متتالية، فآثرت أن أعطي أرقاما للمقالات من 1 إلى 22 حسب عدد المقالات، وأكتب بجانب الاقتباس ــ من المقالات فقط ــ في المتن رقم المقال والصفحة مباشرة بهذا الشكل (2 / 59)، وذلك بدل أن أكرر التهميش من ذكر للعنوان والعدد والسنة ثم الصفحة، وبيّنت ذلك في جدول أدرجته في الملاحق.

وفي الأخير أرجو أن يسهم هذا العمل ولو في جانب من حقل الدراسات اللغوية والتداولية، وأن يضيء جانبا من الدراسات الخطابية الحجاجية في شقها اللغوي والدلالي، وإسهام ذلك في إثراء العملية التواصلية، كما أرجو أن أعطي خطاب البشير الإبراهيمي حقه بدراسته في ظل نظرية الحجاج اللغوية.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف: عبد الرحمن تركي لما قدمه لي من توجيهات ونصائح، والتي أكسبتني الثقة بالنفس لمسايرة هذا الموضوع، كما أشكر الأستاذ الدكتور محمد سليمان العبد، الذي أفدت منه كثيرا ومن كتاباته، وأتقدم بجزيل الشكر لكل

من أستاذي وصديقي يوسف العايب وأستاذي علي زيتونة والأستاذ كمال بن عمر والأستاذ الصديق ربيع رحماني على ما قدموه لي من مساعدة ذاكرا لهم ذلك.

مدخـل

1 - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أ -مولده ونشأته

ب – رسالته في الجزائر

ت – آثاره ومؤلفاته

2– عيون البصائر

أ – الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

1– مولده ونشأته :

كتب الشيخ سيرته بطلب من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عندما انتخب عضوا عاملا فيه سنة 1961م، وسنعمل هنا على الأخذ من تلك السيرة بالقدر الذي نحتاجه، وما يتماشى ومتطلبات بحثنا؛ وهو محاولة التعريف بمن هو محمد البشير الإبراهيمي باختصار.*

يقول الإبراهيمي عن نفسه:" أنا محمد البشير الإبراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشمس في الرابع عشر من شهر شوال سنة ست وثلاثمائة وألف، ويوافق الثالث عشر من يونيو سنة 1889م ". ووالده هو محمد السعدي طالب الإبراهيمي.

وهو من قبيلة تعرف بأولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل، ويرفع نسب هذه القبيلة إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للأشراف الأدارسة، وبيته أحد البيوتات التي حفظت رسم العلم وتوارثته.

ويقول عن نفسه في ذلك :" نشأت في بيت والدي كما ينشأ أبناء بيوت العلم، فبدأت في التعلم وحفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمري على التقليد المتّبع في بيتنا... فلما بلغت سبع سنين استلمني عمي من معلمي القرآن وتولى تربيتي وتعليمي بنفسه ... فلما بلغت تسع سنين من عمري حتى كدت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه ...".

وقد اعتنى به عمه " محمد الملك ي " عناية فائقة، وفتح له أبوابًا كثيرةً في العلم، فحفظ قدرًا كبيرًا من متون اللغة، وعددًا من دواوين فحول الشعراء، ووقف على علوم البلاغة والفقه والأصول، ولما مات عمه تصدَّر " البشير الإبراهيمي " لتدريس ما تلقاه لزملائه في الدراسة، وكان عمره حينئذ أربعة عشر عامًا.[1]

---

* – تم جمع هذه المعلومات حول حياة الشيخ " الإبراهيمي " نقلا عن : البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 01 ، 1997 ، مقدمة الجزء الأول .

[1] – ينظر: بشير كاشه الفرحي، محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان، دار الآفاق، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 22، 23.

" في سنة 1911م استدعي لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي، فغادر الجزائر متخفيا ليلتحق بأبيه الذي هرب من الظلم الاستعماري واستقر بالمدينة المنورة منذ 1908م "[1].

وهو في طريقه إلى المدينة المنورة مكث بالقاهرة مدة ثلاثة أشهر؛ إذ كانت فترة قصيرة، ولكن حضر فيها حلقات العلم بالأزهر الشريف،وكان ممن حضر لهم:" سليم البشرى " ، و" محمد نجيب المطيعي " سمع له صحيح البخاري، و" يوسف الدجوي " في البلاغة، و" سعيد الموجي" دروسه في الموطأ، وزار دار الدعوة والإرشاد التي أسسها " رشيد رضا "، كما التقى في مصر بالشاعرين الكبيرين " أحمد شوقي " و" حافظ إبراهيم " .

وفي المدينة المنوّرة استكمل " محمد البشير الإبراهيمي " العلم في حلقات الحرم النبوي، واتصل بعالمين كبيرين كان لهما أعظم الأثر في توجيهه وإرشاده ، أما الأول فهو" عبد العزيز " الوزير التونسي، الذي أخذ عنه (موطأ الإمام مالك)، ولزم دروسه في الفقه المالكي، وأما الثاني فهو " حسين أحمد الفيض آبادي الهندي "، الذي أخذ عنه شرح صحيح مسلم، ومن شيوخه في المدينة المنورة أيضا " محمد عبد الله زيدان الشنقيطي " وقد أخذ عنه أنساب العرب وآدبهم الجاهلية، والسيرة النبوية، وكذلك " عبد الباقي الأفغاني " وقد أخذ عنه علم المنطق.

وفي أثناء إقامته بالمدينة المنوّرة التقى بـ " عبد الحميد بن باديس "، الذي كان قد قدم لأداء فريضة الحج سنة 1913 م، وقد ربطت بينهما المودّة ووحدة الهدف برباط وثيق، وأخذا يتطلّعان لوضع خطة تبعث الحياة في الأمة الإسلامية بالجزائر، وانضم إليهما " الطيب العقبي"؛ وهو عالم جزائري سبقهما في الهجرة إلى المدينة، والتقى الثلاثة في أيام متصلة ومناقشات جادة حول وضع الجزائر وسبل النهوض بها، فوضعوا الأسس الأولى لإنشاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" .

وفي سنة 1916 م غادر " محمد البشير الإبراهيمي " المدينة المنوّرة إلى دمشق، وفيها عمل مدرسا في مدرسة السلطانية ــ وهي المدرسة الثانوية الوحيدة آنذاك ــ، كما ألقى دروسًا

[1] – سعيد بورناد،شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830 – 1962)، دار الأمل، تيزي وزو، ط 2، 2004، ص 131.

في الجامع الأموي، وشارك في تأسيس المجمع العلمي الذي كان من غاياته تعريب الإدارات الحكومية.

2- رسالته في الجزائر:

عاد محمد البشير الإبراهيمي إلى بلده الجزائر سنة 1920م، وبعودته أنهى مرحلة التعلم والأخذ لينتقل إلى مرحلة العطاء، عاد الإبراهيمي وقد اختمرت في ذهنه فكرة الإصلاح، تلك الفكرة التي كانت قد انتشرت في المشرق منذ نهاية القرن 19م، وكانت موضوع اجتماعاته مع عبد الحميد بن باديس ومسامراتهما الليلية في المدينة المنورة على امتداد ثلاثة أشهر.

وكان ابن باديس قد شرع في تنفيذ الفكرة التي عزم عليها مع محمد البشير الإبراهيمي، الشيء الذي دفع الأخير بعد العودة مباشرة إلى الانطلاق في الدعوة والتعليم في مساجد قسنطينة التي استقر فيها، وقد سرّه ما رآه من بداية لنهضة إسلامية في الجزائر.

ومؤازرة لهذا السعي شرع الإبراهيمي في حركة علمية وإصلاحية واسعة؛ إذ أخذ يعقد الندوات العلمية للطلبة، والدروس العلمية للجماعات القليلة، ثم الدروس المنظمة للتلاميذ الملازمين، كما أخذ يلقي المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد متنقلا من بلدة لأخرى، ثم أنشأ مدرسة صغيرة بمدينة قسنطينة يمرّن فيها الشباب على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالعلم اللاّزم.

وكانت في تلك الفترة اتصالات وزيارات بينه وبين رفيقه في الجهاد والإصلاح عبد الحميد بن باديس، كان أهمها زيارة قام بها ابن باديس للإبراهيمي في سطيف واتفقا في إثرها على تأسيس جمعية الإخاء العلمي، ليواصلا العمل على إخراج جمعية العلماء من حيّز القول إلى حيّز الفعل، وفي 05 ماي 1931م كان الميلاد الفعلي لجمعية العلماء، فانتخب ابن باديس رئيسا والإبراهيمي نائبا عنه، وكلف الإبراهيمي بوضع لائحة داخلية لشرح أعمالها، وتبيين أهدافها فكتبها في مائة وسبع وأربعين مادة، وتلاها على الحاضرين فأعجبوا بها.

وتقاسم أقطاب الحركة الإصلاحية المسؤولية في المقاطعات الجزائرية الثلاثة، وتولى " البشير الإبراهيمي " مسؤولية (تلمسان) العاصمة العلمية في الغرب الجزائري، بينما اختص

" عبد الحميد بن باديس " بالإشراف على مقاطعة (قسنطينة) بما تضم من القرى والمدن، واختص " الطيب العقبي " بالإشراف على مقاطعة (الجزائر).

وقد بلغت الجمعية من النشاط والنجاح والتفاف الناس من حولها، ما ولّد إحساسا بالتحدي لدى سلطات الاستعمار من طرف الجمعية، وأصدر رئيس وزراء حكومة المستعمر قرارا يقضي بنفي الإبراهيمي إلى آفلو بالصحراء الوهرانية الجزائرية وكان ذلك في العاشر من مارس سنة 1940م، وما مر إلاّ القليل من فترة منفاه حتى خبّر عن موت ابن بادريس ــ عليه رحمة الله ــ.

واختار العلماء الشيخ الإبراهيمي رئيسًا لـ "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وقد لبث الشيخ " البشير الإبراهيمي " في منفاه ثلاث سنوات، ثم خُلي عنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1943 م .

وبعد خروجه من المنفى أعاد الشيخ " البشير الإبراهيمي " نشاط الجمعية في بناء المساجد وتأسيس المدارس، وإصدار جريدة " البصائر" في سلسلتها الثانية بعد أن توقفت أثناء الحرب، وتولى رئاسة تحريرها، وكانت مقالاته الافتتاحية فيها نسيجًا فريدًا من نوعه في النبض العربي الإسلامي.

وقد عاد البشير الإبراهيمي إلى وطنه عند استقلال الجزائر، بعد أن كان غادره سنة 1952م وذلك من أجل التعريف بالقضية الجزائرية في العالم العربي، وتحقيق مصالح الجمعية، وكذا من أجل البحث عن منح للطلبة الجزائريين بالخارج، وكانت القاهرة هي محل استقراره، وبعد العودة خطب أول صلاة جمعة من مسجد (كتشاوة) بالعاصمة (الجزائر)، وكان هذا المسجد قد حوّله الاستعمار الفرنسي إلى كنيسة بعد احتلاله للجزائر.

ثم لزم محمد البشير الإبراهيمي بيته ولم يشارك في الحياة العامة بعد أن كبر سنه وضعفت صحته، وأثقلته السنون، وأوهنه المرض، حتى توفي – رحمه اللّه – يوم 19 ماي 1965 م، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، فخرجت الأمة تودعه بقلوب حزينة وأعين دامعة، تعبيرًا عن تقديرها لرجل من رجالات الإصلاح فيها، وأحد بناة نهضتها الحديثة.

3- آثاره ومؤلفاته:

لم يتسع وقت الإبراهيمي للتأليف والكتابة؛ وذلك للأعمال الكبيرة والمسؤوليات التي كانت على كاهله، ومع ذلك فقد ساهم بالكتابة في موضوعات مفيدة، ولكن لم يساعده لا الفراغ ولا وجود المطابع على طبعها، وقد بقيت كلها مسودات في مكتبته بالجزائر.

كما قد سعى ابنه " أحمد طالب الإبراهيمي " بعد وفاة محمد البشير الإبراهيمي إلى جمع آثاره رفقة تلامذة والده، وطبعها في أجزاء تحت عنوان: (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي)، فصدر الجزء الأول منها سنة 1978 م، ثم صدر الجزء الثالث سنة 1981م، ثم صدر الجزء الرابع سنة 1985 م، أما الجزء الخامس فقد صدر سنة 1994 م، في حين مثل الجزء الثاني كتاب (عيون البصائر).

ولكن ابنه " أحمد طالب الإبراهيمي " كان يعمل باستمرار على تنقيح هذه الآثار وعلى ترتيبها وفق تسلسلها الزمني، من خلال البحث عن المخطوطات المفقودة لمحمد البشير الإبراهيمي، سواء عند زملاء والده وأصدقائه في داخل الجزائر أو خارجها، أو عند تلامذته وبخاصة أولئك الذين شاركوا في حرب التحرير الجزائرية.

وإلى جانب هذا، فإن لمحمد البشير الإبراهيمي مؤلفات وكتابات أخرى غير تلك الآثار، منها:

* الملحمة الرجزية في التاريخ: وتبلغ ستا وثلاثين ألف بيت شعري، تتضمن تاريخ الإسلام والجزائر، ووصفا لكثير من الفِرق التي نشأت في عصر محمد البشير الإبراهيمي، ووصفا للاستعمار الفرنسي ومكائده ودسائسه.
* النقابات والنفايات في لغة العرب: جمع فيه كل ما جاء على وزن (فِعالة) من مختار الشيء ومرذوله.
* التسمية بالمصدر.
* بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر: والتزم فيها اللهجة السائدة إذ ذاك في مواطن هلال بن عامر.
* الاطراد والشذوذ في العربية .

* رسالة في: في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
* ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.
* رسالة في: ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
* أسرار الضمائر العربية .
* الصفات التي جاءت على وزن "فُعَل".
* نظام العربية في موازين كلماتها.
* رواية كاهنة الأوراس.
* رسالة في: مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.
* شعب الإيمان (في الأخلاق والفضائل).
* حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.
* فتاوى متناثرة.

وهناك عدة محاضرات وأبحاث كتبها عنه تلامذته في حين إلقائها وهي كثيرة، وربما من بين أهم المقالات التي كتبها محمد البشير الإبراهيمي؛ ما جمع في كتاب " عيون البصائر" والذي اخترنا منه مدونة هذه الدراسة.

ب – عيون البصائر:

هي مجموعة من المقالات الافتتاحية التي كتبها محمد البشير الإبراهيمي في السلسلة الثانية من جريدة البصائر، وجمعت فيما بعد في كتاب واحد هو " عيون البصائر "؛ إذ أن جمعية العلماء أصدرت جريدة البصائر في سلسلتها الثانية سنة 1947م، وهي صحيفة جامعة تعبر عن الاتجاه الإصلاحي السلفي الذي تتبناه الجمعية، وهي تتناول مواضيع ثقافية وعلمية وأدبية وسياسية وغالبا ما يحمل كل عدد منها افتتاحية بقلم رئيس تحريرها وصاحب امتيازها محمد البشير الإبراهيمي الذي هو في الوقت نفسه رئيس جمعية العلماء، ووصفت بأنها كانت محل إعجاب في المشرق والمغرب لتنوع مواضيعها ورقي أسلوبها.[1]

---

[1] – ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1954 – 1962)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج10، ط1، 2007، ص 197.

وكان محمد البشير الإبراهيمي يثير في افتتاحيات البصائر قضايا ذات بعد كبير مثل قضية فصل الدين عن الدولة، والعدالة تحت الاستعمار، وعلاقة الطرق الصوفية بالإدارة الفرنسية، كما اهتمت البصائر بالتعريف بالتراث والمدن والعلاقة الحضارية مع الشرق، والمواسم الدينية والتراجم التي تذكر الأمة بأمجادها وتاريخها.

وبعض قيمة تلك المقالات أنها أرادت تأكيد معنى أساسي كان أبرز المعاني الجوهرية في حركة الإصلاح وفي حركة الثورة، ذلك هو الرجوع إلى الأصالة، بالدفاع عن دين الجزائر ولغتها وشخصيتها، وتثبيت ذلك في نفوس الأجيال الجزائرية التي كانت في المعركة، أو التي كانت في النضال؛ أي التي كانت تخوض المعركة ضد الاستعمار والتي كانت تتأهب لخوضها.[1]

وفي تلك الفترة أو المرحلة التي كتبت فيها مقالات " عيون البصائر " ارتبط نسق التفكير عند محمد البشير الإبراهيمي بهموم الواقع؛ إذ صارت كتاباته نسقا بأبعاد واقعية، تستحيل فيها تجربته الفكرية إلى معين دلالي وحضاري يبلور به المشكلات، ويكشف به عن مسوغات القهر والانحطاط التي لحقت بالجزائر وبالمسلمين من حولها، كالحرب العالمية الثانية مثلا.

لذلك اتسمت المقالات التي كتبها محمد البشير الإبراهيمي بميزات خاصة، منها:[2]

1 - المنهجية الدقيقة والعرض المنطقي.

2 - الجمع بين جمال الصياغة والتعبير عن الفكرة.

3 - الرساليَّة.

4 - السخرية الحادَّة واللهجة العنيفة عند المناقشة.

5 - ظاهرة الاقتباس والتضمين.

---

[1] - ينظر: البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم : الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1، ج3، 1997 ص 37.

[2] - ينظر: عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 37.

وعليه فالخطاب الفكري والمعرفي في تلك المقالات يبدو متميزا بمجددات اتجه فيها صاحبها إلى اكتناه عناصر الصراع ومدى تجسدها في الحاضر، والموضوعات التي كتبها محمد البشير الإبراهيمي في تلك المرحلة _ فترة كتابة المقالات _ مؤشر لقدرته على تتبع الأحداث والوقائع وقراءتها قراءة عميقة.[1]

ويمثل المجال الإصلاحي حوالي 44% من مجموع موضوعات مقالات محمد البشير الإبراهيمي، * والسبب في العناية بهذه الموضوعات هو الأوضاع التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في عصره، والرسالة التي كان يحملها هو لإنقاذ بلاده.

وكتابات محمد البشير الإبراهيمي الإصلاحية متنوعة تشمل مختلف مجالات الحياة؛ منها ما يتعلق بمجال الدين، ومنها ما يتعلق بقضايا أخرى أساسية في عملية الإصلاح، كقضية التعليم والتربية وقضية بناء مستقبل الأمة وغيرها، " ومن خصائص تلك الكتابات الإصلاحية، التفكير الموضوعي المنهجي الواضح، والتحليل المنطقي المقنع، والعنف في مواجهة الخصم، والحكمة في إبلاغ الوعظ والنصيحة "[2].

وبنيات الفكر الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي جيدة، لما تحمله من سمات منهجية ومعرفية أجلها الاجتهاد السني الذي أسس به _ مع مجموعة من العلماء _ لفكر إصلاحي إسلامي، يمكنه أن يخوض في مشكلات الواقع بوعي موصول بالإسلام، كما حاول أن يلامس المشكلات الإسلامية بجرأة كبيرة، سواء أكانت مشكلات فقهية أو فكرية أو فلسفية أو سلوكية.[3]

وقد اعتمد محمد البشير الإبراهيمي في مقالاته المنهج التجديدي العقلي الاستدلالي، وذلك في مقارعة الحجة القائمة على التحليل، والعرض الاستنباطي، وقد ابتعد عن المنهج

---

[1] - ينظر: عمر أحمد بوقرورة، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي _ قراءة في ظل البنية والمتغير _، دار الهدى، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 71.

* – اعتمدت هذه النسبة بناءا على دراسة قام بها عبد الحميد بوزوينة، راجع ذلك في كتابه: بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي، ص 10.

[2] – عبد الملك بومنجل، مرجع سابق، ص 80.

[3] – ينظر: عمر أحمد بوقرورة، مرجع سابق، 37.

الخطابي الجدلي العقيم، وإنّها لإحدى مميزات منهج [عيون البصائر]، وإنّه لمنهج فريد في فلسفة المعنى، " ولعل أبرز ما يستوقف الدارس في طريقة المحاججة والمحاورة... هو استنادها إلى منطق استخراج الحجة من مقدمات الخصم، مع أنها خاطئة في أساسها "[1].

أمّا سر إبداع محمد البشير الإبراهيمي فيكمن في هذا التركيز الشديد على الاختيار أولا ثم الاستيعاب والتأمل والتذوق ثانيا، وعلى هذه الطريقة الصعبة التي أخذ بها نفسه منذ الصغر وهي بناء قاعدة صلبة من المعارف اللغوية والأدبية والتاريخية.[2]

وقد بلغ الأمر ببعض الدارسين إلى تسمية مقالات محمد البشير الإبراهيمي التي جمعت في كتاب " عيون البصائر " والتي هي مدونة دراستنا بأنها مدرسة، وقد اتسمت هذه المدرسة ــ أي عيون البصائر ــ بمميزات ومعطيات عدة، يمكن حصرها فيما يلي:

1 - كَوْن مدرسة [عيون البصائر] تمثل طرازا ثقافيا فريدا في أدبه وفنه، يمثل حلقة وصل بين التراث العربي القديم في بلاغته وسجعه ورجزه وشعره، وبين المقالة الأدبية المعاصرة الملتزمة بالتجديد في المبنى والمعنى؛ من حيث التقيد بأسلوب التحليل، وطريقة الاستنباط ومنهجية الإقناع بالحجة والدليل.

2 - إن محمد البشير الإبراهيمي بـ[عيون البصائر] قد مثل الثقافة الموسوعية، التي تأخذ من كل جانب بنصيب، فهي تجمع بين الأدب والفقه والفلسفة والتاريخ وفي الإعلام، في قالب من النثر أو السجع أو الرجز أو الشعر.

3 - تمثل [عيون البصائر] أحد أهم مرجعيات تاريخ المقاومة الثقافية والسياسية في الجزائر خصوصا، وفي الوطن العربي والأمة الإسلامية بوجه عام، ففي كل مقالة من مقالاتها تذكير بما كان يحدث على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والدينية في جميع الأوطان العربية أو الإسلامية.

---

[1] - عبد الرزاق قسوم، محمد البشير الإبراهيمي مهندس لفظ... وفيلسوف معنى (دراسة)، مجلة الموافقات، الجزائر، ع 4، السنة الرابع، 1995م، ص 431.

[2] – ينظر: محمد ناصر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفني (دراسة)، المرجع نفسه، ص 446.

4 - الربط المحكم في هذه المدرسة بين الأصالة ومتطلباتها اللغوية، والعقدية والوطنية، والحضارية، والاعتماد على هذه الأصالة في مقاومة الظلم والغزو، والاستعمار بجميع ضروبه وأشكاله.

5 - الموضوعية العلمية في عرض الوقائع، والوقوف على ما هو إيجابي منها، وما هو سلبي، ثم عرضه بعد ذلك على ميزان المنطق والقناعة والإنتماء.

6 - الكشف عن معجم لغوي وسياسي خاص في أسلوب محمد البشير الإبراهيمي، مما يساعد قارئه على تفتق الذهن، وتوسيع مدركات العقل، وتقعيد المفاهيم.[1]

[1] - ينظر: عبد الرزاق قسوم، مرجع سابق، ص 440 ، 441.

الفصل الأول:
ماهية الحجاج وأهم نظرياته

1 -الخطاب والحجاج

2 -الحجاج في التراثين: اليوناني والعربي

3 -أهم نظريات الحجاج الحديثة

المبحث الأول: الخطاب الحجاجي

1 – ماهية الحجاج :

لقد تنوعت الخطابات الحجاجية من بلاغي ولساني وسياسي وفلسفي...

" ودارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى " [1]، لندرك أن نظرية الحجاج تتجاذبها جوانب مختلفة، لا تتعلق باللغة فحسب؛ بل ترتبط أيضا بالجانب النفسي والاجتماعي والثقافي، وغيره من المستلزمات التي تسهم في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي.

ففي اللغة يعني الحجاج الغلبة بالحجة، فقد جاء في لسان العرب: حاججته أحاجّه حجاجا ومحاجة حتى حَجَجْته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. وهو رجل مُحاجِجٌ أي جَدِلٌ. والتّحاجُج أي التَّخَاصم... وحاجّه محاجّة وحجاجا: نازعه الحجة وحجه حجا غلبه على حجته...والحجة : الدليل والبرهان. [2] واحتج بالشيء اتخذه حجة. وقال الجرجاني: الحجة ما دلّ على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد.[3]

ويمكن استخلاص عدة معطيات ومفاهيم أولية حول الحجاج من خلال هذه المعاني اللغوية وهي:

أ – إن أساس الحجاج الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما على اعتبار وجود اختلاف بين المرسل للرسالة والمتلقي لها.

ب– تكون المحَاجة عبارة عن إنتاج مجموعة حجج مرتبة بطريقة ما، قصد إثبات أو تفنيد قضية من القضايا، وقد تُعنى المحاجة بتوسيع دلالتها بكل وسائل الإقناع باستثناء العنف والإكراه.

وقبل أن نعرض لمفهوم الحجاج في عموم ما اصطلح عليه بين البلاغيين خاصة الجدد منهم واللسانيين، نرى أن نعرض لمعنى الحجاج كما جاء في بعض القواميس الحديثة.

---

[1] – محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط1، 2005، ص 189.

[2] – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مج2، ص 228.

[3] – ينظر: الشريف علي محمد الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2003، ص 67.

فالحجاج (Argumentation) جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها[1] .

وفي قاموس لالاند الفلسفي، المحاجة أو الحجاج:

أ – مسرد من الحجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها.

ب– طريقة عرض الحجج وترتيبها. [2]

يشير هذا القاموس إلى أمرين مهمين في النظرية الحجاجية:

الأولى: الحجاج كمجموعة من الحجج أو سلسلة من الحجج يؤتى بها لدعم أطروحة معينة.

الثانية: طريقة انتظام الحجج في الخطاب، وكيفية عرضها على المتلقي.

فكأنما الخطاب يستمد قوته من أمرين: الحجة كقوة داعمة أو نافية، وطريقة الانتظام والعرض كقوة مؤكدة[3]، وعليه نرى دائما أن هناك قسطا من الشك في العملية الحجاجية، مما يدفعنا دائما إلى البحث عن حجج من أجل تحقيق درجة أعلى من الإقناع، ومن هنا فالحجاج من حيث البناء يبنى على منطلقات غير يقينية، فميدانه هو الاحتمال وغير المؤكد والمتوقع، وليس الحقائق البديهية المطلقة.

وفي الحجاج يكون الحكم على النتيجة إنما هو حكم على الحجج المقدمة – على اعتبار أنها منطوقات تعبر عن قضايا محددة – بأنها صالحة أو فاسدة، لا حكما عليها بالصواب أو الخطأ.[4]

وذلك أن الحجة مركبة من أقوال، ولا تكون هذه الأقوال مترابطة عن طريق موضوع مشترك فحسب بل تكون مترابطة منطقيا، وأن النتائج مبنية في الحكم على صلاح أو فساد

---

[1] – ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العلمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت، (د.ط)، 1994، ج1، ص 446.

[2] – ينظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط 3، 2001، ص 94.

[3] – ينظر: علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج – رسائله نموذجا –، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، 2007، ص 82. (405 صفحة).

[4] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 190.

المقدمات أو الدليل، هذا لأن الحجة " لا بد أن تحتوي على قولين مختلفين على الأقل: أحدهما يمثل المقدمة، وهي ما تفترض الحجة صدقه أو يتقرر على أنه صادق، والآخر هو النتيجة، وهي التي يكون صدقها مبرهنا عليه في نفس الحجة."[1]

فالأمر الأساسي في الحجة إذن هو البرهنة على صدق القول المسمى بالنتيجة باعتباره الغاية والهدف من الحجة، على أن المقدمات أو الدليل تبقى مما يبدأ به النتيجة.

وأنجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها، وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه[2]، ومن ثم كان التعريف المفهوم أو المتداول للحجاج بين الدارسين هو القائم على أساس وظيفي؛ إذ أن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء المخاطَب وسلوكياته، وذلك بجعل أيَّ قول مدعم صالحا أو مقبولا (النتيجة) وذلك بمختلف الوسائل بالنظر إلى قول آخر (الحجة – الأسباب)[3]، وغالبا ما نجد هذا التعريف متداولا وهو (الخطاب الحجاجي هو خطاب موجه)، وبناء عليه فإن كل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعدا حجاجيا.

وإن كان هناك من يعتبر الحجاج متضمنا في الحقل التداولي، مع الأخذ في الاعتبار أنه منبثق عن مجالات ثلاثة أساسية: المنطق، والبلاغة، والفلسفة، رابطا مفهومه بالفعل؛ إذ يكون قائما على ترجيح اختيار من بين عدة اختيارات قائمة، ضمن مقام معين قصد دفع طرف ما إزاء ذلك الخيار[4]، وإن كان الحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق، وبتعريف مختصر هو طريقة عرض الحجج وتقديمها[5]، وعليه فالحجاج يتعلق بالخطاب الطبيعي من جهتي الاستعمال والمضمون، فهو ذو فعالية

---

[1] – محمد مهران رشوان، مبادئ التفكير المنطقي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1994، ص 33.

[2] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص .456

3 - J.M.Adam, les texts: types et prototypes, nothan, Paris, 1992, p104.

[4] – ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع يناير – مارس 2000، ص 57 ، 58.

[5] – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص .106

تداولية جدلية، ولا يتوقف دوره كأداة تسعى إلى إفحام الخصم وإقناعه بمشروعية وصلاحية الموقف فقط.

في العملية الحجاجية لا بد أن يكون المستمع في نفس مرتبة المتكلم، باعتبارهما عضوين فاعلين في التفاعل الخطابي، الشيء الذي يوافق مفهوم التفاعل L'interaction ومن ثمة إلى التداول، دون أن يكون السامع كائنا سلبيا يقع عليه فعل الحجاج، كما في بعض التعريفات التي تذهب إلى أن " الحجاج هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطِبه بواسطة الوسائل اللغوية "[1].

وكما قيل فلا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج من غير تواصل باللسان، فقد ذهب البعض، إلى أن الحجاج ما هو إلا انتهاج طريقة معينة في الاتصال غايته الاستمالة والتأثير [2]، فليس الحجاج سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإفضاء إليها ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي والتحامها مع الطرح المقدم.

وعلى صعيد آخر يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال التي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية[3]، على أن الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع.

وقد عرف طه عبد الرحمن الحجاج بأنه " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[4]، ومع الإقرار بصحة هذا التعريف نرى أنه وقف عند الحد

1- C. Plantin, Essais sur L'argumentation,Paris, Éditions Kimé, 1990, p 146

[2] – ينظر: عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة الأنبياء نموذجا – مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع102، السنة السادسة والعشرون – نيسان 2006، ص 49.

[3] – ينظر: نعمان بوقرة، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 407، آذار 2005، ص 56.

[4] – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2000، ص 35.

الشكلي الظاهري للحجاج، أي التلفظ، ومن ثم مجرد الإفهام، ولكنه لم يتجاوز ذلك إلى الغرض التداولي من الحجاج بغية حصول الإقناع .

أما طريق الحجاج فهو أسلوب يتجه نحو مخاطبة العقل وآلياته العقلية، إعمالا للحواس والإدراك والتدليل على الممكن[1].

وتطول القائمة بالتعريفات إن مضينا في إيرادها ضمن النظرية الحجاجية، حتى نراها تدنو كثيرا من جوهر الحجاج تارة وتنأى عنه قليلا تارة أخرى، إلا أنه يمكن حصر منطلقات تلك التعريفات باعتبار " الحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب، الأدبي وغيره "[2].

فأساس كل تلك التعريفات كون الحجاج طريقة تستخدم للتحليل العقلي، أو كون الحجاج طريقة من التحليل والتعليل يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين، أو هو طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين، أو كونه فعلا لغويا أو عملية اتصالية أو جنسا من خطاب تفاعلي، أو هو سياق من الفعل اللغوي تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وادعاءات مختلفة في شأنها.

وخلاصة كل تلك التعريفات " أن الحجاج جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[3].

يبقى أن نشير إلى أن الحجاج قد يرد بمعنى الاستدلال، البرهان، الإقناع، والجدل؛ إذ يطلق على الحجاج الذي يحمل معنى الاستدلال اسم (الاستدلال الحجاجي)، وهو يوظف

---

[1] – ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل –، إفريقيا الشرق، (د.ط)، 2006، ص19 ، 20.

[2] – محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب كلية الآداب منوبة، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (د.ط)، (د.ت)، ص 394.

[3] – محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 189.

في الحالة التي يرتقي فيها المعروض عليه إلى درجة من يتعارض مع " العرض " في إنشاء معرفة نظرية مشتركة من خلال تقويم العرض وتحقيق الإقناع.

ويستلزم الاستدلال الحجاجي مقتضيات الحال أو المقام وكذا التفاعل مع المجال التداولي، بسطا للآليات الاستدلالية، كإخفاء الكثير من المقدمات والنتائج، بحسب المعارف المشتركة والمعتقدات الموجهة والمطالب الإخبارية، والأغراض العملية بين " العارض " و" المعروض عليه "، وقد يكون النص الاستدلالي من الصنف البرهاني إذا كانت علاقاته قابلة للحساب الآلي، أو من الصنف الحجاجي إذا كانت هاته العلاقات تأبى الخضوع لمثل هذا الحساب[1].

كما أن الاستدلال عملية ذهنية " متصلة " Discursive ، بها يتم الانتقال من مقدمات إلى نتائج بالاستناد إلى علاقة منطقية تربط الأولى بالثانية، وهذه العلاقة هي الاستنباط أو الاستدلال، كما يتحقق الاستدلال في أقاويل الإنسان جميعا بشكلين جامعين: القياس والاستقراء. ويمتد مجال هذا النشاط البرهاني للخطاب (الحجاج)، كما يمتد إلى أي شكل من النصوص الاحتجاجية كالسياسي مثلا [2].

أما الحجاج الذي بمعنى البرهان، فإن مفهومه لا يبتعد عن معنى الحجاج المقترن بالاستدلال، إذ أن الاستدلال والبرهان عمليتان منطقيتان صناعيتان تعتمدان في الأصل على الحساب والاستنتاج[3]، مما يضفي على هذا النوع من الحجاج – الحجاج البرهاني – نوعا من الدقة أو الثبوت أو القطعية، في حين أن من خصائص الخطاب الحجاجي الذي يميزه عن البرهان أو الاستنتاج إمكان النقض أو الدحض، مما يجعل إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أمرا نسبيا بالنسبة إلى المخاطَب[4].

---

[1] – ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 36.

[2] – ينظر: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص –، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 1999، ص 25 ، 26.

[3] – ينظر: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي – دراسة تداولية – قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، رسالة ماجستير (مخطوط)، 2007، ص (7 – 9)، (166 صفحة).

[4] – ينظر: نعمان بوقرة، نظرية الحجاج، ص 53.

ولفظة " الحجاج " لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح (valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية. ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

- كل اللغويين علماء

زيد لغوي

إذن زيد عالم

- انخفض ميزان الحرارة

إذن سينزل المطر

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو قياس منطقي (syllogisme)، أما في المثال الثاني فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا طبيعيا غير برهاني.

واستنتاج أن زيدا عالم في المثال الأول حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الثاني فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي، ومن هنا يتجلى الفارق بين مفهوم "الحجاج" Argumentation ومفهوم البرهنة Demonstration، ويمكن أن نستنتج ما يأتي:

- برهان واحد كاف للإقناع بينما الحجاج في حاجة إلى أكبر عدد من الحجج، فالحجاج ينتمي للاستدلال الجدلي (مجال الرأي) وليس للاستدلال التحليلي (استعمال وسائل منطقية).
- شخصية المرسل محايدة بالنسبة للبرهان ولكنها أساسية في تقنيات الإقناع في الحجاج، وينطبق الأمر كذلك على شخصية المتلقي، فمتلقي البرهنة عالمي (الاستدلال العلمي يصلح للبشرية كلها) بينما لا تعني تقنيات الإقناع إلا متلقين خاصين[1].

كما وجب التمييز بين الاستدلال Raisonnement و الحجاج Argumentation لأنهما ينتميان إلى نظامين جد مختلفين: نظام ما نسميه عادة

[1] - ينظر: الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع 14، ديسمبر 1999، ص 275.

بـ " المنطق " ونظام الخطاب [1]، هذا الأخير هو نفسه مجال القول الحجاجي، إذ تسيره قوانين داخله تفرض استئناف القول فيه على هذا الوجه أو ذاك، فهو مؤسس – أي الحجاج – على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب.

على غير الجدل الذي عرّفه ابن منظور على أنه " مقابلة الحجة بالحجة " حيث يفسر الجدل بجعله مرادفا للحجة، والدليل قوله: هو رجل محاجج أي جَدِل، وقد سبق تبيين ذلك.

كما يطلق على الجدل في التراث العربي الإسلامي " علم الكلام " أو"المناظرة"، بحيث تصبح الحجة حاملة لصفة الجدل، ذلك أن معنى الجدل تقرير الخصم على ما يدعيه من حيث أقرَّ، حقا كان أو باطلا أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعاند مجادله لاشتهار مذهبه ورأيه فيه، لأنه يزري على مذهبه ورأيه فيه[2].

وباعتبار الحجاج ينتمي إلى عائلة الأفعال التي تهدف إلى الإقناع، فإنّ " العديد من الوضعيات التواصلية تستدعي وجود شخص مرسل إليه، أو جمهور يتبنى سلوكا معينا أو يقتسم وجهة نظر معينة " [3]، ونفهم منه أن الإقناع أعم من الحجاج، إذ الحجاج محتوى في الإقناع، و" الإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك" [4]، كما أنه صيغة اتصالية مهمة إذ يقصد إلى التعبير عن شعور أو حالة أو نظرة فردية ، أو وصف وضعية ما بطريقة موضوعية إقناعية، بتقديم براهين جيدة للمخاطَب لكي نلحقه برأي[5].

---

[1] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، (د ط)، 2009، ص (20- 22).

[2] – ينظر: عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1991، ص 254. نقلا عن: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، ص .10

3- Philippe Breton, L'argumentation dans La communication,3..édition,La découverte. Paris,2003, p3.

[4] – علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 13.

5- Philippe Breton,op.cit.p3.

2 – الخطاب والحجاج*:

بعد أن عرضنا مفهوم الحجاج فيما اصطلح عليه عند البلاغيين واللسانيين واللغويين، نؤثر أن نطرح تساؤلا يتعلق بالمسار الذي يسير فيه بحثنا، والذي نحاول أن نبين فيه العلاقة بين الحجاج كإجراء وكمجموعة من التقنيات – على حد تعبير بيرلمان – والخطاب كنظام من المعطيات اللغوية، في سبيل تحقيق العملية التبليغية والتواصلية، وبأسلوب آخر، كيف يتجسد الحجاج في الخطاب؟

مصدر الخطاب فردي وهدفه الإفهام والتأثير، وهذه الخصيصة تقرر المصدر الفردي للخطاب بكونه نتاجا يلفظه الفرد، ويهدف من ورائه إلى إيصال رسالة واضحة المرمى ومؤثرة في المتلقين، والحال أن الحجاجيين لا يسلمون بأن مهمة الخطاب تقوم على وصف العالم وإنما تقوم على تحفيز المخاطب على سلوك ما.

ولا تتوقف وظيفة المتكلم في مجرد توجيه كلامه للغير لإفهامه معنى مخصوصا – كما في العلاقة التخاطبية – وإنما تتحول وظيفته إلى وظيفة تأثيرية " فاللغة ما لم تنقل إلى الغير ما يحمله على الحركة، فلا عمل تحتها " [1]، لأن حقيقة الخطاب لا تتوقف عند حد التوجيه والإفهام؛ إذ يصرح " جان ميشال آدام " بأننا حينما نتكلم فنحن نسعى من جهة إلى حمل المخاطَب على أن يتقاسم آراءنا أو التمثيلات المتعلقة بموضوع معين، ونسعى من جهة أخرى إلى حمل الآخرين (المستمعين) على الاقتداء بأكبر عدد ممكن من آرائنا[2].

كما أن تسلسل الأقوال والجمل في الخطاب لا يعتمد المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد بالأساس المعنى الحجاجي أو القيمة الحجاجية للقول [3]، باعتبار أن الخطاب تلفظ يفترض وجود متكلم ومستمع وعند الأول هدف التأثير في الثاني، الشيء الذي

---

* – تناول د. عمر بلخير هذا الموضوع تحت هذا العنوان بإفاضة، انظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب – دراسة تداولية – كتاب (مخطوط)، ص 190 وما بعدها.(394 صفحة).

[1] – طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2005 ص .248

[2] - J.M.Adam, les texts: types et prototypes, p 103.

[3] - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 48.

يؤدي إلى أن يقول البعض بأن الخطاب لا يتحقق إلا في ضوء الفضاء الحواري محققا قيمة حوارية[1].

فالحجاج كممارسة وسلوك لا يمكن أن يتم مع أي كان وفي أي مكان وفي أي موضوع، فهو يعد جمعا بين المعطيات اللغوية ومعطيات السياق ولا يمكن لهذا الجمع بين المعطيات أن يصنع خطابا حجاجيا إذا لم تراع فيه عمليتان:

أ – عملية التبرير التي تتلخص في تبرير ملفوظ بملفوظ آخر.

ب– عملية التفاوض التي تسمح للمخاطَب بالابتعاد عن خطابه ليوفر للمخاطِب فضاء للتفاوض[2].

ويحق لنا بل ويجب علينا الافتراض المسبق لإرادة حجاجية مقابلة تروم تحقيق تفاهم متبادل، ومن يرفض اللعبة مبدئيا لا يمكنه أن يحاجج [3]، لتبقى قضية أساسية وهي القواعد الداخلية للخطاب، هي التي تتحكم في ترابطه وتسلسله، وهذا يعني أن الحجاج المعني هنا ليس عنصرا يضاف إلى اللغة بل يسري فيها سريانا طبيعيا.

والملاحَظ عند استعراض مختلف التعريفات التي وضعت للخطاب *، نرى أنّها أكدت الدور التفاعلي والتأثيري للخطاب، وهذه الوظيفة هي الفارقة بينه وبين سائر النصوص باعتباره نصا لغويا، من ذلك مثلا التعريف الذي يقول بأنه كل قول يفترض متكلما ومستمعا، ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخر على نحو ما[4].

---

[1] – ينظر: فاتح زيوان، مصطلح الخطاب في الثقافة الغربية، مجلة كتابات معاصرة، تونس، مج 18، ع70، تشرين الأول – الثاني 2008، ص 96 ، 97.

[2] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب – دراسة تداولية –، ص 226 ، 227.

[3] – ينظر: محمد اخريف، التداولية الترنسندنتالية: إيتيقيا المحاججة، كتابات معاصرة (مرجع سابق)، مج 18، ع70، ص29.

* – لم نتوسع في تعريفات الخطاب وما دار حولها من نقاشات، واكتفينا بما يقتضيه المقام – ما تعلق بالحجاج –، للتوسع راجع: شمس الدين بن أحمد زاوية، الخطاب الدعائي في الإعلام المقروء، رسالة ماجستير (مخطوط)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2003، ص 67 وما بعدها.

[4] – ينظر: ديان مكدونيل، مقدمة في نظرية الخطاب، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2001، ص 31.

والخطاب في حد ذاته كمجموعة من العبارات لها قوة مؤسساتية، أي أن لها تأثيرا عميقا على الطريقة التي يفكر بها الأشخاص وعلى الطريقة التي يسلكونها، ومع ذلك تبقى للخطاب – أيا كان – حدود تحكم ذلك النمط المعين من الأقوال [1]، كما في الخطاب الحجاجي الذي لا بد وأن تتوفر فيه بعض الضوابط التي تسهم في تداول عملية المحاججة، من ذلك ما يأتي:

أ – توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يسوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل، أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها وإلا انقطع الحجاج بينهما، وتوقفت عملية الفهم والإفهام بل الإقناع، وذلك أن اختيار الحجج وترتيب أولويتها تتوقف على تلك المعرفة، وكذلك تركيب الخطاب.

ب– ألاّ يقع المرسل في التناقض بقوله وفعله، وكذا موافقة الحجاج لما يقبله العقل، وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

ج– مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام، لأنه هو الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها، فقد يكون الحجاج صحيحا من الناحية النظرية، ولكنه غير مناسب للسياق.

د– لابد من خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنهما، لأن الحجاج لا يخلو منهما إذا كان معنى الخطاب غير محدد، إذ يصبح من قبيل الخطاب العام الذي لا يكتشفه المرسل إليه إلا بعد حين.

وعلى الرغم ممّا توفره اللغة من فرص للتلاعب والمناورة، إلا أن الحجاج المقصود هو ما يتكئ على الكفاءة التداولية لإيضاح الحجج وكشف الأمور، وإبعاد اللبس، ليصبح بذلك فعلا تأثيريا[2].

وفي المفهوم الذي ذهب إليه الآمدي يسقط مبدأ التأثير والإقناع في العملية التخاطبية، وإن كانت مجرد إشارة – لمن هو متهيئ لفهمه – إلى أن الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه،

---

[1] – ينظر: سارة ميلز، الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004، ص 49.

[2] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص (466 – 468).

المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه [1]؛ إذ توحي بشيء من الاستعداد للتفاعل وهو ناتج عن التأثر طبعا، ثم أن " لكل أفعال التلفظ Actes d'enonciation وظيفة حجاجية Fonction Argumentative ، تؤدي إلى حمل المستمع إلى نوع من الاستنتاج، وربما تحريفه وظيفة تظهر كعلاقة في بنية الجملة ذاتها."[2]

وقد كان لطه عبد الرحمن رأي مهم في هذه القضية – الخطاب والحجاج – فقد عالجها بصفة شاملة ومحكمة ، معتمدا في ذلك على اطلاعه الواسع على التراث العربي والغربي في آن واحد، يلخص طه عبد الرحمن العلاقة بين الخطاب والحجاج في ثلاث " دعاوى " جاءت متسلسلة وشكلت الأعمدة التي بنى عليها ما سماه بتكوثر* الخطاب.

الدعوى الأولى هي أن الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية، والقصد منه أن ليس الكلام مجرد وحدات مرتبة بأسلوب ما، بل هو البناء ذاته الذي تقف عليه العملية التواصلية، والخطاب بهذا المعنى قائم على قصدين اثنين، على اعتبار الخطاب أصلا في كل تواصل وهما:

- القصد الأول هو التوجه إلى الغير، ومعناه ما ذهب إليه ياكبسون وبنفنيست من ألا وجود للتواصل إلا بوجود قطبي الخطاب (المرسل والمرسل إليه)[3].
- القصد الثاني هو إفهام الغير،" فلا يكون المنطوق به كلاما حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وما لم تحصل منه هذه الإرادة فلا يمكن أن يعد متكلما حقا، حتى ولو صادف ما لفظ به فهما ممن التقطه، لأن المتلقي لا يكون مستمعا حقا حتى

---

[1] – ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، 1980، ج1، ص136.

[2] – ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)،2005، ص 125.

* – في تحديده لمفهوم التكوثر والتكوثر العقلي، يرى أن الكوثر يشكل إحدى مشتقات التكاثر والكثرة، فالتكاثر يتعلق بما هو مادي محسوس كتكاثر النسل والمال والبناء...، أما التكوثر فهو خاص بالعقل الذي هو دائم التجدد ومتقلب دون انقطاع، فهو يتسم بالفاعلية، بل هو أسمى الفعاليات الإنسانية وأقواها، وهو أيضا فعل قصدي وطالب للمنفعة، فالعقل يسعى دائما إلى القصد وإلا تعطل، وإذا قصد فلا بد أن يطلب ما ينتفع به وإلا انحط.

[3] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص191.

يكون قد أُفهم ما فهم، سواء أوافق الإفهام الفهم أو خالفه "[1]؛ أي أن يكون المستمع إيجابيا فعالا في العملية التخاطبية.

والمحدد للعملية الكلامية هو العلاقة التخاطبية لا اللفظية المنفردة؛ إذ لا يدرك المخاطَب مدلول المخاطِب من خلال ما في المعاجم، وإنما اعتمادا على " قصد المخاطِب منه عند النطق به والذي يدعو المستمع إلى الدخول في تعقبه مقاميا، لا تحقيق حده معجميا"[2].

الدعوى الثانية هي أن الأصل في تكوثر الخطاب هي صفته الحجاجية؛ إذ أنه لا خطاب بدون حجاج، فالخطاب أصل في كل تعامل ويتأسس على ذلك قصدان: قصد الادعاء وقصد الاعتراض.

أما قصد الادّعاء فهو ألا يكون الخطاب خطابا، حتى يكون الناطق به معتقدا بما يقوله، ويكون أيضا على استعداد لإقامة الحجة على ما يقول، عملا على إقناع غيره بما دار عليه الخطاب، فخلو الخطاب من هذا القصد يجعل المخاطِب غير ملزم بالاعتقاد بما يقوله أو كاذبا في كلامه، وهو بذلك عابث باعتقاد غيره[3].

وأما قصد الاعتراض فإنه يرتبط بالمخاطَب الذي له حق مطالبة المتكلم بإيراد الدليل على ادعائه " ذلك لأن فقد المنطوق له لهذا الحق يجعله إما دائم التسليم بما يدعيه الناطق فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، وإما عديم المشاركة في مدار الكلام"[4].

على خلاف العملية التواصلية القائمة على التبادل والتفاعل، وكذا عرض الحجج ودحضها والإتيان بحجج أخرى مغايرة، فالمعترض هو" المخاطَب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي "[5].

---

[1] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 2، 2006، ص 214.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 215.

[3] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص192.

[4] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 215.

[5] – المرجع نفسه، ص 226.

ومن خلال القصدين السابقين يمكن أن نستنتج أن حد الحجاج عند طه عبد الرحمن هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق الاعتراض عليها.

أما الدعوى الثالثة والتي يعتبر فيها أن الأصل في تكوثر الحجاج هو صفته المجازية، فإنه يتجاوز فيها التصريح الثاني (القائم على الادعاء والاعتراض)، إلى أن الحجاج منطو على شيء من الالتباس يميزه عن البرهان من ناحية وعن الحجاج المغالطي " الدليل الفاسد" من ناحية أخرى، ولا يقصد به التباس اللفظ الواحد في تعدد معانيه أو خلطا في تركيب الجملة، وإنما لاشتماله على اعتبارين اثنين: اعتبار الواقع واعتبار القيمة، بمعنى ازدواجية طلب معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته في الحجاج [1].

أما عن أسبقية القيمة على الواقع، فإن الأصل هو أن القيمة هي الأصل الذي يتفرع عنه الواقع والعكس غير صحيح، وذلك أن القيم قائمة في الأشياء ذاتها، غير الواردة على الإنسان من الخارج، إنما الإنسان هو الذي أقامها في الأشياء، فهو الذي وضعها وهي علامة ظهوره في الوجود، ومعنى الواقع هو نفسه أحد هذه القيم التي هي ثمرة عمل الإنسان[2].

---

[1] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب – دراسة تداولية –، ص 194.

[2] – ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 231.

3 – النص والحجاج*

بعد هذا الاستعراض الموجز لماهية الحجاج ومفهومه وعلاقته بالخطاب، ونظرا لطبيعة مدونتنا التي نشتغل عليها، ارتأينا أن نبين أن الحجاج لا يتم شكلا إلا إذا استطاع المتكلم أن يبني الوحدات اللغوية وفق نسق مضبوط ومحكم.

هذا النسق لا نكاد نجده في الخطاب الشفهي الذي يخضع أكثر لاعتبارات خارجة عن اللغة (هوية المستمع، السياق المتعدد الأبعاد، الوضعية النفسية التي تجري فيها العملية الحجاجية...)، غير أن الخطاب الكتابي هو الذي يخضع خضوعا تاما لمجموعة محددة من القواعد والعلاقات تجعل من الخطاب ينحو منحى واضحا يدركه المتكلم كلما تقدّم في قراءة النص[1].

والحجاج كي يؤدي وظيفته الأساسية من إقناع وتأثير في الغير، لا بد أن يكون شاملا غير منقوص في بنائه كي لا تتعطل العملية الحجاجية، لذا رأى البعض ضرورة خضوع الحجاج لمقتضيات بنيوية وتركيبية، ولتنظيم خاص غير مشروط بالضرورة لما جسده ج.م.آدام فيما يلي:

الحجة ⟵ الحجة المضادة ⟵ الخاتمة.[2]

بمعنى أنه على المخاطِب أن يبني كلامه ضمن سلسة محكمة تؤدي بالمخاطَب إلى فهم مقصده، ودلالات وحداته المعجمية دون ترك مجال لتأويل قد يبعده عن مقصده.

ومعنى هذا كله أن المحاجج يتوخى في خطابه عنصرين:

- عنصر الحوارية الذي يساهم في استمرار الحجاج من نقطة الابتداء إلى النهاية.
- عنصر التجانس الذي يسمح بإدراج أنواع متضادة من الحجج، وذلك بخضوعه لمقتضيات البناء اللغوي للغة المكتوبة[3].

---

* – راجع تفصيل ذلك : عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ص (196- 199).

[1] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص196.

2 - C.Golder,le développement des discource argumentatifs, lausame Delachaux et niestlé, 1996, p155.

[3] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 197.

ويتجسد هذان العنصران في وحدة شكلية هي النص، ولا يهمنا العنصر الأول في هذا المقام، لأننا نعتقد أننا تعرضنا فيما سبق لعنصر الحوارية، فما يهمنا في هذا المجال هو كيف يتجسد الحجاج في النص باختلاف مظاهره وأنواعه ومكوناته؟

مبدئيا القيمة التي تعزى إلى النص ليست بالضرورة شيئا كامنا فيه، بل يتمثل معظمها في استجابة القارئ أو السامع له؛ إذ أن الأخير لا يكتفي بأن يتلقى بيانا جماليا محسوسا، لكنه يتأثر ببعض المثيرات – وهذا التأثر في طبيعته تقييم – ومن هنا فإن فكرة التأثير ذات طابع سيكولوجي في المقام الأول[1].

وإذا اعتمدنا في عملية البحث على قواعد النظام اللغوي فحسب، فإن العناصر اللغوية وغير اللغوية التي هي في الأصل لغوية تتمثل في قصد المؤلف، ومدى التأثير على القارئ، أو بشكل أدق مدى الإقناع الذي يكون أثناء التلقي في إطار محدد، يطلق عليه عملية الاتصال اللغوي[2]، وهو أمر هام بالنظر لمثل هذه النصوص.

ويتعلق الأمر في هذه النصوص في الغالب بالنسبة للمرسل بإقناع المتلقي من خلال ذكر أسباب رؤيته، وتقويمه لحالة ما، وحفزه إذا اقتضى الأمر إلى فعل مناسب، ويكون هذا البسط الحجاجي مميزا خاصة في نصوص الاستثارة[3].

فالتكلم عن النصوص الحجاجية يفترض أننا نعتقد في الإمكانية النظرية وفي الفائدة التعليمية في تصنيف النصوص وتحديد " الأجناس " و " الأنواع " أو " النماذج " التي من المستحسن معرفة خصائصها.

ويمكن تعريف النص الحجاجي في نقطتين اثنتين: الأولى أنه لا يختصر النص الحجاجي في نموذج البرهنة المنطقية على الرغم من استعماله لبعض نماذجه، والثانية هي اعتبار النص

---

[1] – ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ع 164، أغسطس / آب 1992، ص 121.

[2] – ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات، لونجمان، القاهرة، ط1، 1997، ص118.

[3] – ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 1، 2005، ص 105، 106.

الحجاجي مركز حوار بين " المتلقين " إذ يركز على العلاقة مع الآخر [1]، يبدو أن هذا التعريف مبني وفق منظور " برلمان " وهو ذو وجهة تعليمية صرفة.

كما يمكن تحديد الملامح الأولية لطراز النص الحجاجي فيما يلي:

أ – العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية، أكثر من كونها علاقة تصويرية كما هي الحال في النص غير الحجاجي [2]، على أن العلاقة التصويرية صادرة عن تجربة محددة ومقيدة بزمن وحدث التصور أما المنطقية فاستنباطية.

ب– يبنى النص الحجاجي ــ في شكله الرئيس ــ على مكونات ستة هي: الدعوى (أو النتيجة)، والمقدمات أو تقرير المعطيات، والتبرير، والدعامة، ومؤشر الحال، والاحتياطات.

فالدعوى نتيجة الحجاج، هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين، وقد تذكر الدعوى صراحة أو قد تضمّن، **والمقدمات** تقرير يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحوال أو أحداث، ويرتبط بالدعوى ارتباطا منطقيا، **والتبرير** بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى وفقا لعلاقتها بالمقدمات، **والدعامة** كلّ ما يقدّمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم...إلخ، وذلك لتقوية مصداقية المقدمات والتبريرات عند المستقبِل، **ومؤشر الحال** كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق نحو: من الممكن، من المحتمل، على الأرجح... إلخ، **والتحفظات** (**الاحتياطات**) هي الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعد مقبولية الدعوى[3].

ج– النص الحجاجي نص تقويمي، والقيمة مفهوم يستنبط مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تشيده المجالات.

كما تعددت المقاربات المتعلقة بتحديد أنواع النصوص، منها مابني على دورة التخاطب المشهورة لجاكبسون، ومنها ما بني على " نظرية القول " خاصة بنفسيت بين "القصة" (السرد التاريخي) وبين " الخطاب "، إلا أنه يمكن التمييز بين خمسة أنواع من النصوص: الوصفي،

---

[1] – ينظر: الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، (مرجع سابق)، ص 275.

[2]– ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 189.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 190 ،191.

والسردي، والعرضي، والحجاجي، والأمري، وهو التقسيم الذي قام به إ. ويرلايك وتم تطوير هذا التقسيم من طرف آدام وكومبيت [1]، وإن كان يبدو أن أكثر مزاياه في المجال التعليمي حيث يفيد أكثر.

إنّ النص الحجاجي مثل النص السردي الذي يمر من مرحلة أولية إلى مرحلة نهائية بواسطة مسار تحويلي، يمر أيضا من مرحلة التفكير الأولى (الأطروحة المرفوضة) إلى مرحلة التفكير النهائي (الأطروحة المقترحة) بواسطة مسار حجاجي [2]، هذا من الناحية المثالية لأننا نجد في الواقع تداخلا بين المراحل في التقديم والتأخير وذلك حسب الإستراتيجية الحجاجية، غير أن النص الحجاجي يتميز عن النصين السردي والوصفي بخاصيته التحاورية.

ومع خصوصية هذا النوع من النصوص فإنه يمكننا استخراج عدة نماذج منها :

أ – النصوص الحجاجية المختلطة: وهي نصوص " متفجرة " (المقال الصحفي).

ب – النصوص الحجاجية محكمة البناء: وفيها عدة نماذج:

– نصوص ذات توجه برهاني: كثرة الروابط المنطقية، الاستقراء، الاستنتاج، والقياس.

– نصوص ذات توجه عرضي: ويركز على مدى سير " الخبر " في النص.

– نصوص ذات توجه حواري: ذات طابع جدلي [3].

---

[1]– ينظر: الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، (مرجع سابق)، ص 278.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 279.

3- Op: Alain Baissinot, les tesctes argumentatifs, CRDP, Toulouse, 1996, p35.

المبحث الثاني: الحجاج في التراثين: اليوناني والعربي

1 - الحجاج في التراث اليوناني:

نرى أنه من الضروري النظر في أوّليات أو جذور الحجاج، وهذا قبل الخوض في النظريات الحجاجية الحديثة، وذلك بالرجوع إلى التراث اليوناني الذي عرف العديد من أنواع الخطابة، سياسية، قضائية، أو تلك التي عُرف بها السوفسطائيون وهي الخطابة الجدلية، ثم الخطابة عند أرسطو كفن ذي مضمون وهدف، على أن كل هذه الأنواع المختلفة من القول الخطابي اعتمدت الحجاج والجدل طريقة في المناقشة والاستدلال، وذلك بغية الوصول إلى أهداف بعينها.

1 1 - الحجاج السوفسطائي:

السوفسطائيون يمثلون تيارا فكريا ظهر في العالم الإغريقي وقوي بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، والصفة " سوفيستاس " (Sophists) كانت في الأصل لقب تقدير، وهي تعني في معناها الاشتقاقي " الحكيم والرجل ذا الكفاءة المتميزة في كل شيء" [1].

هذا وقد ترجمت كلمة " Sophists " في الدراسات العربية القديمة بمعنى المغالطة والتمويه والقياس والخداع[2]، هذا لأنهم لا يبحثون عن الحقيقة والعدل وإنما همهم النجاح وإفحام الخصم وإحراجه، وسبيلهم في ذلك زيف القول والحجج الواهية وبراعة القول.

ومع ذلك فقد كان لهم دور فعال في الممارسة الحجاجية، وساعدهم في ذلك براعتهم في الحجاج والجدل، الشيء الذي يجعلهم يخوضون في ذات المسائل الفلسفية.

وهم يزعمون أن الخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حجته أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر ، ومردّهم في ذلك أن الحقيقة

1- Moreau (josph):Platon devant les sophists of chop: qu'est ce qu'un sophiste? Paris 1987, p7.

[2] - ينظر: هادية فضل الله، السوفسطائية من وجهة نظر منطقية، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ع99، السنة21، شتاء 2000، ص 149.

شيء نسبي والمحَكَّم هو الإنسان، كما استعملوا أغاليط القياس Pralogiesme وألوانا من الحجاج للإفحام والإقناع وكذا الإثارة العاطفية[1].

وتأكيدا لأهمية السوفسطائيين وضرورة رفع الغبن المسلط عليهم، ذهب المتخصصون في الحجاج إلى أنه لامناص من الاعتداد في كل دراسة بمكتسباتهم ومزاياها والتي منها:

أ – القول بتضاد الأصوات، بمعنى أن لكل خطاب خطابا مضادا، ولكل حجة حجة تنقضها لأنها تنبني على رؤية مخالفة للأشياء وتصف واقعا مغايرا.

ب– التنبيه إلى ما قد يرشح على الأقيسة من أغاليط وضرورة بناء نظام لجرح القياس وتعديله، وذلك بزرعهم الحيرة والمفارقة في المشهورات، وهذه الشعبة من الدرس ستزدهر فيما يسمى بالقياس المغالطي.

ج– رسمهم مفهوم الاحتمال أفقا لتعامل الناس وتفاعلهم مع بعضهم.

د– إتقانهم المجادلة وكل صنوف المحاورات التي تقوم على الاستدلال المنظم بقواعد مضبوطة [2].

ومع ذلك تبقى الخطابة السوفسطائية عبارة عن حجاج استهواء، فهي قول يعقده صاحبه على الظن لا على العلم، ويقصد به إلى الإقناع معتمدا في ذلك على ما يوافق " اللذة " لذة السامع والقائل لا الخير، لذة الاستهواء بالنسبة إلى المقول إليه، ولذة النفع بالنسبة إلى القائل.

ولعل أوّل من تصدى لهم سقراط إذ اتهمهم بتمويه الخطأ بالمنطق المزخرف وقوة البلاغة، واختلف معهم لقولهم بأن الإنسان معيار الحقيقة، واختلف معهم في مفهوم الأخلاق، والتي تعني عنده السعادة في حين تعني عند السوفسطائيين سيطرة الإنسان على غيره[3].

---

[1] – ينظر: محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2006 ص 104.

[2] – ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التقاليد...، ص 45.

[3] – ينظر: هادية فضل الله، السوفسطائية من وجهة نظر منطقية، ص 158.

كما رأى أفلاطون أن الحجاج السوفسطائي يزيف استعمال القول بما هو فضاء للتواصل بين الإنسان والإنسان، فهو حجاج يقوم على التملّق (Flatterie)، والتملّق تسلط بالقول ماكر مقنع[1].

1-2- الحجاج عند أفلاطون

آمن أفلاطون بضرورة تأسيس خطابة بديلة أراد أن يجعلها جدلية فلسفية تهدف إلى بلوغ الحقيقة، فالجدال عنده لا يختلف عن العلم، إلا اختلافا يسيرا، فهو ــ أي الجدل ــ " الوسيلة التي أراد بها أن ينقل ــ في تصوره ــ الحجاج عموما من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة " [2]؛ أي أنه أراد أن يُخلّص الخطابة من المحتمل والظن، وهو كما نعلم عمدة الخطابة السوفسطائية.

إلّا أننا لو ناقشنا هذه الفكرة التي ذهب إليها أفلاطون لوجدناها تختلف عما يقول به الحجاجيون الآن، إذ أن الحجاج قائم على المحتمل والمتوقع لا اليقيني، فهو مطابق لما قال به السوفسطائيين على الأقل في هذه النقطة، وربما ذهب أفلاطون إلى ذلك بحكم أن القدامى كان الظن عندهم يقوم على الممكن والمحتمل.

وقد رأى أفلاطون أن الأركان التي تُبنى عليها صناعة الخطابة ثلاثة* وهي:

أ – اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطبي، وقد بيّنا كيف أنه يرى بأن الجدل صناعة ووسيلة يبلغ بها إلى الحقيقة.

ب – معرفة أنواع النفوس وما يوافقها من أنواع الأقاويل، ومداره مبدأ التناسب بين القول والسامع، وذلك بأن النفوس تختلف في درجات تهيئها لقبول التأثير.

ج– مراعاة مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب أي ما يناسب المقامات من أساليب[3].

وقد فحص أفلاطون موضوع الخطابة في ضوء المقابلة علم/ ظن وذكر أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن، وهذا الثاني هو موضوع الخطابة في رأيه، وهو

---

[1] – ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 84.

[2] – المرجع نفسه، ص 81.

* – لم يذكر أفلاطون هذه الأركان الثلاثة مجتمعة، وإنما استخلصت من مجموع ما قال.

[3] – ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 83.

موضوع الخطابة عموما حسب أرسطو، ولما كان العلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة وأزلية في تصور القدامى كان الإقناع المعتمد عليه مفيدا، يكتسب منه الإنسان معرفة ولما كان الظن يقوم على الممكن والمحتمل كان الإقناع المعتمد عليه غير مفيد[1].

كما قيّم أفلاطون وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير/ لذة، وجعل هدف الخطيب الوحيد هو أن يولِّد في نفوس أبناء وطنه العدل وينزع عنها الظلم، وأن يكسبها الفضائل كلها ويمحو عنها الرذائل كلها [2]، فقد بنى تقييمه لهذه الممارسة القولية في إطار تصوره لما يحقق سعادة الإنسان، ومما سبق يمكن القول بأن أفلاطون كان يعتقد أن فن الإقناع يأتي من جوهر المعرفة الحقّة لأي موضوع سواء أكان سياسيا أو قانونيا أو غير ذلك[3].

ومن ثم نرى أن تصور أفلاطون للجدل يختلف عن تصور سائر الفلاسفة الإغريق له، فالجدل عنده يقترب من العلم، وهو وظيفة أخلاقية في المقام الأول والغرض منه الوصول إلى الحقيقة،لا الممكن أو المحتمل كما هو الحال في الجدل السوفسطائي وكما هو الحال في الجدل الأرسطي كما سنرى.

1 3 -نظرية الحجاج عند أرسطو

خالف أرسطو أستاذه أفلاطون في أن الجدل سبيل إلى الحقيقة وذلك أن أرسطو في تصنيفه للأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة جعل القول البرهاني في المقام الأول فالقول الجدلي فالقول الخطبي ثم الشعري.

فالجدل والخطابة عند أرسطو يقعان في مجال الممكن والمحتمل، أي يقبل الخلاف والاختلاف وتعدد الآراء من حوله، وقد ذكر أن الجدل ليس المطلب منه الحقيقة بالأساس خلاف أفلاطون، وإنما المقصود منه هو امتحان ما هو خلاف في المشهورات، أي في عوالم

---

[1] – ينظر: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، 2002، ص 20، 21.

[2] – ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 67 .

[3] – ينظر: عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون: محاورة متكسينوس أو عن الخطابة، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ط1، 1972، ص 36.

الاعتقاد كما يقال اليوم، للاقتراب أكثر ما يمكن من الحقيقة[1]، دون البقاء في منطقة الممكن أو المحتمل، والمحتمل كما يقول بارت تقبّل الأضداد[2].

ويرى أن الجدل أقرب إلى دائرة الحق لاعتماده على العقل، في حين أن الخطابة صناعة مدارها " الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان" [3]، وهذا التعريف للخطابة شبيه جدا بتعريف الحجاج، خاصة وأن العلاقة بين أطرافها " تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا "[4].

وبذلك حوّل أرسطو مركز الثقل في صناعة الخطابة من التأثير إلى الإقناع، وهو أحد سبل الحجاج، كما نبّه أرسطو إلى شيوع استعمال الحجاج في عملية التواصل الكلامي عموما، على أن الناس ــ حسب رأيه ــ يمارسون الخطابة والجدل بنسب متفاوتة لأنهم إنما يحاولون نقد قول أو تأييد رأي أو الدفاع عنه ونحو ذلك.

فالخطابة عند أرسطو تداولية في صميمها Pragmatic مع أخذنا في الاعتبار الاختلاف الكبير في السياق المعرفي المنتج لآليات كل منهما ــ يعني الخطابة والتداولية ــ، فالتداوليون يرون أن التداولية عبارة عن دراسة استعمال اللغة دون أن تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيّق، وإنما تتجاوزها إلى أقوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين [5]، كما نجد في خطابة أرسطو الاهتمام بذات الأطراف الثلاثة (القائل – القول – والمقول له) ومحصلة التفاعل بين هذه الأطراف الثلاثة هي التي تحقق حسب أرسطو عملية التأثير والإقناع بالقول.

---

[1] – ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 155.

[2] – رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 1994، ص 55.

[3] – أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986، ص 59.

[4] – حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص 12.

[5] – ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 28.

بقي أن نشير إلى بناء الخطاب الحجاجي عند أرسطو، إذ جعل المكوّنات النصية للخطاب أو أجزاء الخطاب الرئيسية ثلاثة:

أ – الإيجاد: الحجج، مصادر الأدلة.

ب – الترتيب: وضع هذه الأدلة في مواضعها على امتداد الخطاب حسب نظام معين.

ج– الأسلوب: (العبارة، الصياغة)، وضع الحجج في شكل قول على مستوى الجملة. [1]

أي يمكن أن نستخلص حسب مقولات أرسطو عناصر الخطابة متمثلة في النقاط المذكورة نلخّصها فيما يلي:

– عنصر الإقناع أو البراهين.

– الأسلوب أو التنظيم.

– ترتيب أجزاء القول.

إلّا أن أرسطو في خطاباته كان لا يهتم من لغة النّص والخطاب إلّا ببعض المظاهر المساعدة وبالقدر الذي حدده هو [2]؛ أي منطقية الأساليب والطرق المعتمدة لإقناع السامع أو جعله يقتنع لما يُروَّج من آراء.

وكما رأينا فقد كان أرسطو ينطلق من كون البلاغة (الخطابة) إنما هي " الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع " [3]، وهذا الإقناع يتوقف على ثلاثة أركان: الايتوس، والباتوس، واللوجوس.

وقد قال في هذه المكونات الثلاث: " أما اللّاتي ينبغي أن يكون القول فيهنّ على مجرى الصناعة فثلاث، إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات، والثانية ذكر اللّاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول "[4].

---

[1] – ينظر: محمد العمري، الخطابة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (دط)، 1999، ص 273.

[2] – ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص 34.

[3] – أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، ص 29.

[4] – المرجع نفسه، ص 181.

ويطلق على الثالثة القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت، وهو ما يمكن أن نطلق عليه في اليونانية بحجة " اللوجوس " "Logos" أي الكلام أو العقل، وهو ما يبنيه الخطاب من سياسة قولية تعتمد وجوه الاستدلال المتمثّل في القياس والاستقراء.

أما دلالة القول هذه فقد درسها أرسطو في ثلاثة فضاءات هي: القول، والاعتقاد، وجِهة الوجود، فإذا كانت المقدمات صادقة أولية سمي القياس برهانيا، وإذا كانت المقدمات ذائعة مشهورة سمي القياس جدليا [1]، وإذا كانت المقدمات مظنونة سمي القياس خطابيا، وإذا كانت المقدمات من التي لا يظن أنها مشهورة وليست مشهورة، أو يظن أنها صادقة وليست بصادقة سمي القياس سوفسطائيا.

وأظن أن مقارنة في تعريف الخطابة بين السوفسطائيين وأفلاطون وأرسطو كفيلة بأن تكشف عن كثير من المسائل الحجاجية التي يعوّلون عليها في مخاطباتهم، فهي عند السوفسطائيين " صناعة إقناع " وعند أفلاطون " صناعة قيادة النفوس بالقول " وهي عند أرسطو " الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان "، وقراءة متأملة لهذه التعريفات تكشف لنا الاختلاف فيما يدعو إليه كل طرف.

فكلمة إقناع لم ترد في تعريف أفلاطون ووردت في تعريف السوفسطائيين وأرسطو على ما بين هذين الأخيرين من تباين في الغاية، وقد وردت بدلا منها " قيادة النفوس "، ف " أفلاطون لا يهمه من الحجاج كسب القضية أو إحراج الخصم أو تحقيق نجاح، وإنما يهمه تحقيق الفضيلة للنفس "[2].

---

[1] – ينظر: أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تح: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ص 34.

[2] – علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، ص 37.

2 - الحجاج في النص التراثي العربي

2-1 – الجدل والمناظرات:

ربما بدا الحجاج في النص التراثي العربي بادئ الأمر في شكل جدل ومناظرات في علوم ومعارف شتى، والمناظرة كما وجدت في تراثنا، عادة هي حوار بين طرفين وجدل بين خصمين حول موضوع واحد من وجهتين مختلفتين في النظر، ولكلّ طرف آلياته وحججه التي يدافع بها عن موقفه أو يهاجم بها موقف الآخر[1].

وقد نشأت المناظرات منذ القرن الأول الهجري، حيث ثار الجدل حول العقيدة بين المسلمين وغير المسلمين، واستمرت حتى العصر الأموي وقد خاضها أصحاب المذاهب السياسية والمذاهب العقائدية والملاحدة والزنادقة[2].

وفي العصر العباسي شهدت المناظرة قمة ازدهارها وارتقائها وذلك لطبيعة المجتمع العباسي آنذاك، حيث عرف انفتاحا عقليا ومعرفيا على أكثر من صعيد في المعارف والأديان والمذاهب والفلسفات، فكانت هناك عدة مناظرات عقائدية، وفقهية، وفلسفية، ونحوية، وأدبية، كما ابتدعت مناظرات على ألسنة المناظرين كتلك التي ابتكرها الجاحظ ، ونضيف إليها المناظرات التي ابتدعها أبو حيان التوحيدي، وتم فيها تحويل الأفكار إلى أشخاص متحاورة وتحويل المعاني المجردة إلى تجارب حيّة[3].

وكان خطاب المناظرة في التراث العربي وما زال من أهم أنواع الخطاب الذي ينتجه المرسل للإقناع؛ إذ برزت وتبرز فيه سمات الكفاءة التداولية والقدرة على توظيفها طبقا لما يتطلبه السياق، من أجل بلوغ هدف الخطاب الكلِّي الذي يصبو إليه " فالإقناع هو المطلب الأساسي من الخطابات التي تدور بين هؤلاء الذين تختلف توجهاتهم " [4]، سواء أكان مجال المناظرات المذاهب الدينية أو اللغوية أو الفلسفية أو غير ذلك كله.

---

[1] – ينظر: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص 44.

[2] – أحمد أمين، المناظرات في التراث الأدبي العربي إلى نهاية القرن الرابع، ص29.

[3] – راجع تفصيل ذلك: أحمد أمين، المناظرات في التراث الأدبي العربي، ص 28 وما بعدها.

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 449.

وقد كان مجتمع العصر العباسي على صعيد الممارسة الحجاجية أشبه بالمجتمع الأثيني القديم في انفتاحه على التعدد والاختلاف، وممارسته الحجاج على كل المستويات، حتى أنه ــ أي الحجاج ــ أصبح بمثابة لعبة احتفالية يمارسها الكثيرون من أجل إظهار البراعة والاقتدار على الاستدلال الصحيح أو الاستدلال الفاسد تماما كما كان يحدث في الحجاج السوفسطائي.

والمناظِر إما يكون خصما مناصبا للقائل في القول الذي يقصد به إقناع السامع عائقا له أن يقنعه فيه ، أو يكون خصما في الظاهر يتعقب ما يقوله القائل ويستقصي عما يأتي به، وقصده في الباطن ليزداد قوله عنده إقناعا[1].

ثم ما لبث أن نشأ " علم الكلام " وهو علم قائم بذاته، كان قد نشأ من الاختلاف حول أصول الاعتقاد، وكان مما يطلب من المنتمين إليه أن تكون لهم قدرة عالية على المخاصمة والمقارعة، والظهور على الخصوم لبيان فساد رأيهم وتهافت معتقداتهم[2].

وقد تجلّى الجدل أظهر ما يكون عند أصحاب هذا العلم، وذلك فيما أدخلوا من طرق حوار وسفسطة وأدلّة وبراهين ومقدمات وأقيسة، فالجدل هو أساس علم الكلام وركيزته.

وممن ربط بين المتكلمين والسوفسطائيين " إبراهيم سلامة " في كتابه بلاغة العرب بين أرسطو واليونان، إذ رأى أن " العرب أهل جدل السوفسطائيين في حوارهم وجدلهم وبعض خطبهم المدفوعة بالعوامل السياسية ودوافع الانتقام، وأكثر ما نلمح آثار السفسطة في الجدل بين المتكلمين"[3].

---

[1] – ينظر: أبو نصر الفرابي، كتاب في المنطق: الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د ط)، 1976، ص 29.

[2] – ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص 24.

[3] – إبراهيم سلامة، بلاغة العرب بين أرسطو واليونان، ص 28. نقلا عن: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص 26.

ولعل وجه الشبه بين الحجاج السوفسطائي والمتكلمين يبدو أكثر وضوحا في هذا المعنى الذي أخذه الجدل عند كثير من المتكلمين وهو الجدل الصوري الفارغ الظاهري كما أطلق عليه أرسطو.

وفي الجدل الظاهري يستعمل المجادل الأساليب المغالطيّة، كما قد يحرّف المجادل القول ويخرجه عن سياقه، أو يعمل على قلب الحقائق، بمعنى " أن يحتجّ للمذموم حتى يخرجه في معرض الممدوح، والممدوح حتى يصوّره في صورة المذموم، وهذه هي براعة الجدل الصوري الفارغ "[1]، وقد مورس الجدل الصوري الفارغ من قبل المتكلّمين، وغيرهم من خطباء القرنين الأول والثاني الهجريين.

هذا وإن من الأشياء التي من شأنها أن يكون بها الإقناع؛ الضمائر والتمثيلات، فالضمائر منزلتها في الخطابة منزلة البراهين في العلوم والمقاييس في الجدل.

والضمير قول مؤلّف من مقدمتين مقترنتين، ويكون الإقناع بحسب النتيجة التي تنتج عنها، وإنما يصير مقنعا بأن يضمر المتكلم إحدى مقدمتيه ولا يصرّح بها ولهذا سمي الضمير مضمرا[2].

وذهب ابن رشد إلى المشاكلة بين الجدل وصناعة الخطابة وجعلهما متناسبتين إذ قال بأن: " صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل وذلك أن كلتيهما تؤمان غاية واحدة وهي مخاطبة الغير... "[3]، وإن كانت الخطابة العربية في جانب منها ما هي إلا صناعة قياسية غرضها الإقناع وما يحصل في نفس السامع من قناعة هي الغرض الأقصى من أفعال الخطابة[4].

وبنظرة سريعة في تراثنا العربي يمكن أن نميز ألوانا عدة للحجاج، ربما اتحدت فيما يلي:

أ – ثمة حجاج يعتمد أساليب مغالطية، وغرضه الإيقاع بالخصم وإدانته ويدل على سوء طويّة المحارب، ولعلّ من أبرز أمثلته المناظرة الشهيرة التي جرت بين الأوزاعي العالم السني (175هـ) وبين غيلان الدمشقي الذي يعتبر من أوائل المتكلمين في قضية

---

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 155.

[2] – ينظر: أبو نصر الفرابي، كتاب في المنطق: الخطابة، ص 31.

[3] – ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت،(د ط)،(د ت)،ص 3.

[4] – ينظر: أبو نصر الفرابي، كتاب في المنطق: الخطابة، ص 7.

القدر، وفي المقابل هناك جدل أو حجاج يعتمد أساليب مغالطية، وتتم فيه المداورة بالمعاني المختلفة، ومدح الشيء ونقيضه إلا أن القصد منه حسن، فمن أغراضه الضحك والسخرية، وأبرز نماذجه ما نجده في كتاب البخلاء للجاحظ.

ب- ثمة حجاج يهدف إلى مجرد إظهار البراعة والاقتدار في الاستدلال، كحجاج " عبد الملك بن صالح " في ذم المشورة.

ج- كما أنَّ ثمّة نوعا آخر من الجدل والحجاج يقوم على العقل والمنطق، ويهدف إلى البحث عن الحقيقة والانتصار لرأي دون آخر دون تعسف، فالحجة التي يعتمد عليها هي حجة العقل، وتمثل محاورات التوحيدي ذروة هذا اللون من الحجاج [1].

2 – 2 – البلاغة العربية القديمة والحجاج

انطلق حمادي صمود في نظرته لهذه المرحلة على اعتبار أن بلاغة الحجاج " أدقّ مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة إلينا " [2]، لأنها تعدّ أهم مظهر تتجلى فيه خاصية التداخل المعرفي؛ إذ إن بلاغة الحجاج تقوم على استغلال جميع العناصر المجاورة المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله.

غير أنّ البلاغة العربية ظلت لفترة طويلة مختزلة في باب العبارة والأسلوب ولم تعمل على توسيع وتحليل المحاولات التي تناولت الحجة والبرهان منذ الجاحظ وحتى الجرجاني.

لكن إعادة قراءة هذا التراث كفيلة بإعادة ترتيب عناصر النظرية البلاغية العربية بطريقة مختلفة عن السابق، بحيث يبرز تصور واضح لبلاغة الشعر وآخر لبلاغة الحجاج، لأن البلاغة العربية في عصر التدوين كانت تستجيب لحاجات معينة نجمت عن سياقات فكرية ومذهبية واجتماعية بالغة الخصوصية[3].

---

[1] – ينظر: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص (48 – 50).

[2] – حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999، ص 8.

[3] – ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، 2002، ص 287.

كما أن البلاغيين العرب القدامى عندما درسوا مآتي إعجاز النص القرآني أرجعوه إلى الشكل والهيئة وتصاريف الكلام، ولم يدر بخلدهم أن يأتي إعجاز القول أيضا من الحجج التي يبنيها، والسياسة التي ينتجها في ترتيبها للتضافر مع الشكل والهيئة فيبلغ النص من سامعه قصده[1].

والبلاغة العربية نشأت في " أحضان الشعر " والشعر فضله في هيئة القول فيه لا في قدرته على قول الحقيقة والمقارعة بالحجة، فإذا كان الشعر وهو النمط الغالب عليهم ومعقد القيمة الأدبية لديهم، يستمد كونه من شكله وفضله من بنيته، لم نعجب أن كان الإعجاز في الخطاب مناط أساليب القول لا مناهج لأدلة.

فالبلاغة العربية بالمفهوم الكلاسيكي أو التراثي لها ــ من أنها عرض للأسباب المتصلة بظاهر القول ــ إنما هي " بلاغة عبارة وجملة لا بلاغة خطاب وسياسة القول وأساليب ترويجه ونفاذه إلى النفوس "[2]، ليطرح تساؤلا، هل أن البلاغة العربية انحصرت في هذا المجال ــ العبارة والشكل ــ دون الإحالة على خصائص الخطاب الأخرى ــ أي محتواها الخطابي والسياقات الأدبية المتعلقة به ــ ؟ أم أن القضية تكمن في إعادة النظر والبحث في نصوص البلاغة التراثية؟ أي إشكالية قراءتها، من ثَمَّ جاءت فكرة البحث في البلاغة والحجاج " بل في الحجاج و علاقته بالبلاغة لأنه هو الذي يبدو في نهاية الأمر مغمورا في التراث البلاغي حسب النظرة السائدة إليه"[3].

وعلى الرغم من وعي بعض البلاغيين —كالجاحظ كما سنرى — بقضية الحجاج في القول وأهميتها إلا أن الذين جاؤوا بعده من البلاغيين والنقاد لم يعطوا هذه النظرية حقها من الدرس والتحليل وانشغلوا عنها بالتفكير في العبارة وما يتبعها من تقليبات ووجوه، حتى غدت البلاغة بلاغة عبارة لا بلاغة نص، وبلاغة جمل لا بلاغة خطاب[4]، وعلى الرغم من أن البلاغة معنية بدراسة الخطاب بوصفه متوالية من الجمل، ويقوم على استراتيجيات تأثيرية تبدأ من

---

[1] – ينظر: حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 110.

[2] – حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص 5.

[3] – المرجع نفسه، ص 6.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

الإيقاع " الصوت "، وتنتهي بالنص، بحيث تتضافر الحجج وفق منظومة فكرية ، واستراتيجية قولية، تشكّل في مجملها الخطاب.

فلماذا أهملوه هذا الإهمال علما بأن في مقدورهم جمع قضاياه وتحليلها، وبيان كيفية اشتغاله في الخطاب؟ يرجع ذلك لأسباب عدة لعل من أهمها:

أ – ارتباط الحجاج بالخطابة عند اليونان من قبلهم، والغاية من الحجاج هي تحقيق نجاحات ومكاسب آنية، خاصة عند السوفسطائيين، بغض النظر عن صحة الحجج والوسائل وهذا يتنافى مع المبادئ الإسلامية.

ب– إن قضايا الحجاج اهتم بها المتكلمون والمناطقة في إثبات صحة معتقدهم وإبطال معتقدات المذاهب الأخرى، ولهذا درس عندهم من الجانب البرهاني والجدلي.

ج– أنهم يعرضون لمباحث الحجاج تحت مسميات مختلفة، وبصورة مقتضبة، فلم يحددوا له مصطلحا واحدا يعرف به كما حددوا مصطلحات مباحث البلاغة الأخرى كالتشبيه والاستعارة وغيرهما، فهم لم يجمعوا مسائله تحت مسمى واحد، وهذا دليل عل عدم وضوح الرؤية عندهم بالنسبة للحجاج بوصفه إستراتيجية تشتغل في الخطاب عبر وسائل وأساليب قائمة فيه.

أضف إلى هذا أنهم جعلوا الإخبار هو الغاية الأولى للخطاب، أما الإقناع الذي هو نتيجة الحجاج وغايته الكبرى فقد جاء في مرتبة ثانوية، لهذا حصروه في مباحث الجدل والاستدلال[1]، فهذه أهم مباحث الحجاج عند البلاغيين العرب القدامى، وقد تناولوها كما قلنا آنفا من منظور نظرية الفهم والإفهام، وأن تلك الإشارات الحجاجية لا تشكّل وعيا تاما بنظرية الحجاج.

[1] – ينظر: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، ص (53 – 56).

2 – 3 – تصورات نظرية في الحجاج والجدل

2 – 3 – 1 – الجاحظ والنظرة الخاصة للحجاج:

التفت الجاحظ في عدة مواضع من كتبه إلى الحجاج والمسائل الحافلة به، فمن ذلك أنه قالت بعض الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة. وقال في موضع آخر " كان سهل بن هارون يقول: سياسة البلاغة أشد من البلاغة "[1].

والمتأمل في مسرد تعريفات البلاغة التي أوردها الجاحظ في البيان والتبيين يقطع في غير شك أن البلاغة هي الحجاج، وذلك أن كلّ حد من هذه الحدود التي عرض لها الجاحظ تتناول قضية من قضايا الحجاج الكبرى، وآلية من آليات اشتغاله في الخطاب: الفصل والوصل، وتصحيح الأقسام والبصر بالحجة، والتماس حسن الموقع إلى غير ذلك من القضايا.

ومعلوم أن غاية الحجاج هي استمالة القلوب، وقد أحاط الجاحظ هذه الغاية بالخُلق الإسلامي الذي يضمن عدم انحرافها عن الحق والصدق، حتى لا تستغلّ الوسائل الحجاجية في تحقيق هذه الغاية بصورة مخادعة، فيتوهّم صدق القضية وهي كاذبة فـ" لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يُحتجّ إلّا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلّا بالحق، ولا يستعمل المواربة "[2].

كما يمكن أن نستخلص بعض الآراء للجاحظ في ضوء القول الخطابي الحجاجي، خاصة من خلال كتابه " البيان والتبيين " فيما يلي:

أ – أرجع الجاحظ وظائف البيان إلى ثلاثة وظائف أساسية:

– الوظيفة الإخبارية المعرفية (حالة حياد) وفيها يتم إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

– الوظيفة التأثيرية: (حالة الاختلاف) وفيها يتم تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص88.

[2] – المرجع نفسه، ج1، ص 197.

– الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) وفيها يتم إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار، وقد كان تركيزه على الوظيفة التأثيرية.

ب– تناول الجاحظ قضية جوهرية في الخطاب الحجاجي وهي قضية المقام الخطابي؛ إذ يرى أنه " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات " [1]، فهو في الأوّل أراد أن يبيّن بأنّ لكلّ طبقة معيّنة في المجتمع حسب المستوى التعليمي أو الوظائفي يجب أن يراعى فيها المعنى المتكلم به فلكل طبقة معجمها الخاص والذي لابدّ أن يراعيه المتكلم، أمّا حديثه عن أقدار الحالات فيتصرّف إلى مناسبات القول، فقد يكون المستمع واحدا ولكن تختلف المناسبة فتختلف لذلك المعاني.

ولا شك أن اجتهادات الجاحظ وتصوراته النظرية الخاصة بالحجاج لها أهميتها في حدود السياق الزمني الذي قيلت فيه " القرن الثالث الهجري "، إلّا أنها مجرّد تصوّرات جزئية لا ترقى إلى مستوى النظرية المتكاملة، أو إلى مستوى مشروع نظرية[2].

كما أنّه لم نجد في الثقافة والتراث العربي ما يلفت الانتباه بعد الجاحظ، وذلك في المستوى النظري، بل ذهبت الدراسات البلاغية إلى مناح شكلية أخرى و" قد جنى هذا الاختزال كثيرا عن البلاغة، إذ جعلنا ننسى جانبها التداولي المرتبط بنظرية الإقناع المعبّر عنها بالمحاجة والمخاصمة والمجادلة والمناظرة... "[3]، وقد ذهب د.محمد العمري إلى أنّ أكمل قراءة لتصورات الجاحظ هي التي قام بها ابن وهب في كتابه " البرهان في وجوه البيان ".

---

[1] – محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 213.

[2] – راجع تفصيل ذلك: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص 62 ، 63.وكذا: علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، ص (53– 56).

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 454.

2 – 3 – 2 – الحجاج عند ابن وهب (الجدل والمجادلة):

الجدل خطاب تعليلي إقناعي، إذ يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسؤول عنها على حد تعبير أبي الحسن إسحاق بن وهب (ت 337هـ)، وبما أن الجدل يقع فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين مع التأكيد على أهمية الاعتبار الأخلاقي لضبط مقامات الجدل[1]، إلاّ أنَّ التمييز بين الجدل المحمود، والجدل المذموم الذي يمكن أن نفهمه من كلام ابن وهب ما هو " إلّا تمييزا ينظر فيه إلى حضور هذا الاعتبار أو غيابه " [2]، وقد اشترط ابن وهب في أدب الجدل شروطا هامة تحمل الملتزم بها إلى السموّ والرفعة والغلبة.

وعَمَلُ ابن وهب في الحجاج يعدّ في نظر الكثير من المعاصرين، من أهم المحاولات في دراسة الحجاج فهو أقرب إلى مشروع نظرية.

ويقف بنا الدكتور محمد العبد * عند هذه المحاولة الهامة في دراسة الحجاج، قارئا إيّاها في ضوء نظريات الحجاج الحديثة وعارضا خلاصة ابن وهب في الجدل والمجادلة فيما يلي:

أ – قدّم ابن وهب تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه في مسائل خلافية إذ هما – أي الجدل والمجادلة – " قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين..."[3].

ب– أن الجدل خطاب تعليلي إقناعي لوقوعه في العلّة.

ج– أنه حتى وإن كان الجدل هو الاختلاف إلّا أن من أوجب ما يراعى فيه هو الاعتبار الأخلاقي.

---

[1] – إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، طباعة ونشر جامعة بغداد، ط 1، 1967، ص 225.

[2] – محمد العبد، النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، فصول، مجلة النقد الأدبي، ع 60، صيف – خريف 2002، ص 46.

* – قدم الدكتور محمد العبد هذه الدراسة في كتابه النص والخطاب والاتصال، وقد رأينا أن هذه الدراسة هي الأقرب إلى فهم ما ذهب إليه ابن وهب في ظل نظرية الحجاج، على أن هناك بعض الدراسات الأخرى، غير أنا لم نوردها لكونها لم تأت بجديد في مناقشة هذه الفكرة، من ذلك: بلقاسم حماد، آليات التواصل في الخطاب القرآني ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، الجزائر، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، 2005.

[3] – ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 175.

د- مما ذكر ابن وهب في مبحثي " الجدل والمجادلة " و " أدب الجدل " ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور " الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية"، من أهم ذلك[1]:

- أن يبني المجادل مقدماته مما يوافق عليه الخصم.
- ألّا يقبل قولا إلّا بحجة ولا يرده إلّا لعلّة.
- أن يخاطب الناس بما يعهدون ويفهمون، فلا يخرج في خطابهم عما توجبه أوضاع الكلام، وفي هذا مراعاة للمخاطَب وسياق القول – أي المقام – وكذا مخاطبة الطرف الآخر على حسب ما يفهم وكذا حسب مكانته إن اجتماعيا أو علميا.

هـ – قول ابن وهب " إنّ الجدل إنّما يقع في العلة " [2]، يتطابق وما تقول به النظرية الحجاجية المعاصرة، فصناعة العلّة وسيلة لتطوير الدعاوى ومن ثمّة فالعلل المقنعة هي السبب في جعل المستمع يمنح موالاته.

هكذا وبعد هذه الإطلالة على الحجاج في النص التراثي العربي، نلاحظ أنه ليس ثمّة تحديدا دقيقا للمفاهيم الخاصة بالحجاج والجدل ولا يوجد ضبط للآليات المستخدمة في عملية الإقناع، وهو الأمر الذي اضطر معه إلى اجتهادات أخرى تنطلق منها بالموافقة أو المخالفة، محاولة استكمال جوانب النقص فيها.

وليس ببعيد عن ابن وهب نجد حازم القرطاجني (ت 684هـ)، لم يذهب بعيدا في نظرته لهذه القضية الحجاجية [3]، ومن أهم ما يمكن أن يستخرج من نظريته العامة " التخييل والإقناع "، أمران:

أ – تمييزه بين جهتين للكلام ويتعلق الأمر بطريقة إظهار أو عرض الموضوع فهو إما أن يكون إخباريا أو احتجاجيا استدلاليّا، وكأن به يميز بين نوعين من النصوص سردي وحجاجي[4].

---

[1] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 195 ، 196.

[2] – ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 225.

[3] – ينظر: أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1936، ص 61.

[4] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 197.

ب- تمييزه بين طريقتين لإقناع الخصم، التمويهات والاستدراجات [1]،

فالتمويهات " تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريضه، (...) حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول " [2].

بقي أن نشير في آخر هذا المبحث إلى أن في النص التراثي العربي وسائل إقناع استخدموها كحجج وهي وسائل متعددة، بعضها ينتمي إلى ما يسمى بالوسائل المنطقية الإقناعية كالقياس والمثال والشاهد، والبعض الآخر ينتمي إلى ما يسمى بالوسائل اللغوية الإقناعية، وقد أرجأت الكلام فيه إلى الفصل الرابع لهذا البحث الذي خصصته لدراسة وسائل الإقناع.

---

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص 197.

[2] - باسل حاتم، نموذج المجادلة من البلاغة العربية، بحث مترجم في: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي. اختيار وترجمة د. محمد العبد، دار الفكر العربي، القاهرة(1419هـ - 1999)، ص 39. نقلا عن: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 198.

المبحث الثالث : أهم نظريات الحجاج الحديثة

في مثل دراسة هذا النمط اللغوي ذي الميزات الخاصة ألا وهو الحجاج، والذي يدخل في صلب الخطاب اللغوي، فإن الأمر يتطلب من الدارس تحديد الإجراءات اللازمة لدراسة موضوعه، هذا لأنه سيقف أمام كم معرفي واسع ومتشعّب في دراسة مثل هذه المواضيع ، ومن ثمّة كان لا بد من التطرق إلى النظريات التي تساعد في الدراسة، وتساعد في بناء الإطار الإجرائي للموضوع، وإلّا تشعّبت الأمور دون ما طائل منها، وإن كانت الدراسات السابقة التي حوت هذا الموضوع تُعدّ "امتدادا للموروث البلاغي الجم وتحويلا لوجهته في ذات الوقت، إنّه حقل دراسي في أوجّ التّجدد"[1].

على أن ذلك الموروث والفضاء البلاغي قد بدأ يتلاشى في العصر الحديث ، وهذا لسببين:

السبب الأول: اقترانها بالخطابة والجدل الذي جعل النّاس لا يميزون فيها بين الإقناع والإغراء، حيث اتهمت بـ "المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا ودفعه دفعا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها"[2].

أما السبب الثّاني: فيعود إلى طغيان العقلانية الّتي عملت على محاربتها، بحجة أن الرّوح العلمية ترفض الاستدلالات التي لا يمكن أن تخضع للبرهنة، وقد كان ديكارت أوّل متزعمي هذه النّزعة.[3]

وقد عادت البلاغة ممتزجة بـ " نظريات الاتصال " حسب مقولة جان ميشال آدم باعتبارها "الوظيفة السّابعة من وظائف اللّغة" [4]، وعلى اعتبار اللغة – أيضا – نظاما لرسم الواقع، حسب التصور الجديد للسانيات، وهو كونها – أي اللغة – نظاما تتحول به الأقوال في الواقع إلى أفعال.

---

[1] – إيف جانري، نظريات المحاجة، اكتشاف جديد خصب، ترجمة محمد يحياتن، مجلة اللّغة والأدب لمعهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،1997، ع 11، ، ص 280.

[2] – عبد اللّه صولة، الحجاج، أثره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه"، ضمن مصنف أهم نظريات...، ص 229.

[3] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص.165

4 - J. M. Adam, Les textes : types et prototypes, p. 103.

1- البلاغة الجديدة : (بيرلمان وتيتيكا):

يعتبر العمل الذي قدّمه العالمان ش.بيرلمان وأ.تيتيكا ذا فضل كبير في استعادة البلاغة لصيتها في عصرنا هذا، ويعد عملهما دحضا لحجج واستدلالات العقلا نيين الذين أجهزوا على البلاغة القديمة والخطابة، بإعادة الاعتبار لما هو محتمل مقارنة بالضروري أو الحتمي، وإعطاء الأهمية للآراء على حساب الواقع، فقد عمّمت" البلاغة الجديدة " على جميع أنواع الخطابات[1].

وسنعمل في هذا الإطار على إعطاء عرض مختصر " للنظرية الحجاجية " أو " البلاغة الجديدة " لبيرلمان وتيتيكا، استئناسا ببعض المفاهيم التي سنعمل على توظيفها خلال هذا البحث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وضع النظرية الحجاجية الحديثة في إطارها النظري.

فقد ارتبطت البلاغة فيما سبق بتأدية المعنى من ناحية، وبالطريقة المخصوصة بتأديته من ناحية أخرى، فأمّا تأدية المعنى فكان المقصود منها تبليغه للسامع وإفهامه إيّاه، وتمكينه في نفسه، " وكان هذا سبيلا لامتزاج وظيفة التبليغ أو التوصيل مع وظيفة الإقناع (أو الحجاج) والتأثير في مفهوم البلاغة."[2]

كما أنّ كلمة بلاغة في اللغة العربية تلتقي مع ما يقابلها من مصطلحات في التراث البلاغي الغربي(rhetoric في اللغة الانجليزية، و rhétorique في الفرنسية) في الدلالة على فن القول، فن الخطاب: إنتاجه وتفسيره وتحليله، أو بحث في تقنيات الخطاب،أي فن الإقناع والتأثير، إنّها " بذلك تنتقل بالتعبير اللغوي من مجرد الوظيفة التوصيلية أو الإفهامية، إلى الوظيفة الإقناعية الحجاجية والوظيفة الجمالية الفنية "[3].

وهذه النظريات عبارة عن تصورات وإجراءات خاصة، نفيد فيها من منجزات علوم اللغة والتداولية اللسانية والفلسفية والمنطق الرياضي الحديث، والحجاج عندهما – بيرلمان وتيتيكا –

---

[1] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص166.

[2] – .شكري الطوانسي، البلاغة العربية والأسلوبيات الحديثة، دار الوفاء، المنصورة – مصر، ط1، 2004، ص16.

[3] – المرجع نفسه، ص13.

سليل الخطابة والجدل من المغالطة والمناورة، والتلاعب بعواطف الجمهور وعقله، ودفعه دفعا للقبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها إلى دائرة الحوار العقلاني.[1]

ثم أن نظرية الحجاج عندهما أقرب إلى الخطابة منها إلى الجدل، وذلك أن الخطابة همها الأساس العمل الذي يمارسه الخطاب على الجمهور، وكذا الجمهور؛ فلا حجاج بدون جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلم ويصادق على ما يعرض عليه [2]، ومع ذلك فهما يفرقان بينهما ــ أي الخطابة والحجاج ــ من جهتين:

أ – من جهة نوع الجمهور، تقف الخطابة على جمهور مجتمع في الميادين، أما الحجاج يمكن أن يكون حاضرا أو غائبا، كما يمكن أن يكون الحجاج بين شخصين متحاورين.

ب – من جهة نوع الخطاب، فغالبا ما تحصر الخطابة الخطاب فيما هو شفهي، على أن الخطاب الحجاجي عندهما يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا، بل إنّهما يلحّان على النص المكتوب[3].

أضف إلى هذا فقد عمل بيرمان وتيتيكا على إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل لفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق نفسه، وعملا على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب [4]، فالحجاج عندهما حوار من أجل الوصول إلى الاقتناع دون حمل على الإقناع.

وأوضح بيرلمان في كتابه " البلاغة الجديدة " أن نقطة التقاطع بين البلاغة القديمة ونظرية المحاجّة إنّما هي المستمع، إذ هناك من يرى أن " ما ينبغي أن يحتفظ به من البلاغة التقليدية إنما هو فكرة المستمعين التي تنبثق مباشرة من فهم طبيعة الخطاب ."[5]

---

[1] – هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص81.

[2] – ينظر: عبد الله صولة، الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته.....، ص306.

[3] – ينظر: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص 82.

[4] – ينظر: عبد الله صولة، الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته.....، ص 298، 299.

[5] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 69.

ومن الواضح أن فن البلاغة بهذا المفهوم ليس مجرد نظرية في أشكال الخطاب ووسائل الإقناع بل انتظم فن البلاغة مع الطابع العام المباشر الخاص بعمل الخطاب.

ويلاحظ عموما على مبادئها أنها تدور حول وظيفة اللغة التواصلية، وأنها ليست منبتة الصلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية، على اعتبار أن منظر الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية كأدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان[1].

إنّ الصور البلاغية إذا ما طرحت في الخطاب، فذاك يعني أن سؤالا طرح فيه، والسؤال يستدعي بالضرورة جوابا، وتأتي الإجابة بتجاوز ظاهر اللفظ الحامل، فالجواب سؤال في حد ذاته، لأنه يحدد وجها واحدا من الجواب وتبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح، تهدف الوجوه البلاغية إلى إبراز حضور ما وتوكيده أو تلطيفه كما تحلو للعيان ما قد نفهمه أو نعتبره غير مفيد،" فالوجوه البلاغية _ عند بيرلمان _ تكون ضربا من الزخرف إذا لم توظف في خدمة الحجاج "[2].

وإذا كان مجال الحجاج المفضل هو الخطابة، فإن الخطابة بهذا الشكل مفاوضة المسافة القائمة بين الأشخاص حول مسألة أو مشكلة ما ، ويقصد بمفاوضة المسافة كيفية تعامل المتخاطبين فيما بينهم إزاء المسائل المطروحة عليهم وما ينجر عن ذلك من اختلاف أو اتفاق أو رغبة في التقارب [3]، وهذه القضايا في صلب الحجاج تؤدي إلى استعمال أساليب بلاغية تحدد أشكال بروز المتخاطبين اللغوية.

ويرى البعض " أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما "[4].

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص (44 – 66).

[2] – علي محمد سلمان علي، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، ص 397.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 397، 398.

[4] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2004، ص23.

وهذا التقارب مرده أن البلاغة تعالج قوة التأثير في الآخر وكيفية إقناعه وبيان كل المقاصد التي يهدف الباثّ إلى تحقيقها، وهذه النقطة تعد من أهم مباحث التداولية التي تدرس التفاعل الاتصالي بين الخطيب والمخاطب، وما يحدثه الفعل الكلامي من تأثير[1].

بمعنى أنه كي يتحقق الحجاج بصورة صحيحة ومؤثرة لا بد أن يكون المتلقي حاضرا بالقوة في الخطاب والملقي حضر فيه بالفعل [2]، هذا لأن مراعاة المنتج لنفسية المتلقي وذوقه تحدث التنويعات والتلوينات والتحويرات في أشكال التعبير وبناه ودلالاته.

وإن كانت التداولية تعنى بدراسة علاقة العلامات باستعمالاتها، ومقاماتها، وأطرافها، أو هي تعنى بدراسة العلاقة بين اللغة وبين الناطقين بها، والمؤولين لها، وبتعبير آخر يمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفس موضوع الدلالة الثابت، مضافا إليه سياق الاستعمال [3]، فإن من الدارسين المحدثين من لم يفرّق بين التداولية والبلاغة معتبرا البلاغة تداولية في صميمها، وحديثا أعيد الاعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السيميائية تحت عنوان جديد هو التداولية.

على أن الحجاج في نظرهما مبعثه الاختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد، وهذا حتى تتحقق الغاية من الحجاج، فهو ينظر في حقائق متعددة ومتدرجة لا حقيقة ثابتة ومحددة، وهذا عن طريق تقنياته " التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم "[4]، وغاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، ولفظ الحجاج هنا يطلق على العلم وموضوعه أي على النظرية وعلى المحاجّة أيضا.

---

[1] – ينظر: سامية بن يامنة، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، مجلة دراسات أدبية، العدد الأول ماي 2008، الجزائر، ص53.

[2] – ينظر: محمد السويرتي، اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، عالم الفكر، مج 28، ع3، يناير– مارس 2000 "، الكويت، ص29.

[3] – ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 23.

[4] – عبد الله صولة، الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته.....، ص 299.

وإن كانت تلك الملامح الحجاجية المبرزة لبعض من مميزات الخطاب الحجاجي عند ــ بيرلمان ــ غير كافية لإبراز طبيعة البعد الحجاجي أثناء التخاطب، " على اعتبار أن الحجاج إستراتيجية لغوية تكتسب بعدها من سياق الخطاب، أي دور المقام والأحوال المصاحبة للخطاب غير جلية في هذا التصور".[1]

ولا يقف الحجاج عند حدّ الإقناع، لأن في ذلك محاولة المخاطب في لعب دور الممثل حتى يجعل جمهوره واثقا فيه... ومادامت اللغة المحتجّ بها كامنة في الأذهان ــ مفهوم دو سوسير ــ فلا شك أنها عمليات استنتاجيه ذهنية متوقفة على ما يصدر من المتكلم من مقدمات وتحليلات، وربما افتراضات من الناحية اللغوية[2]؛ إذْ لابد وأن يكون المخاطَب مشاركا وفعّالا وليس مجرد متلقٍّ.

وما البلاغة إلا وسيلة تأثيرية في الجمهور باستعمال وسائل خطابية غير البرهان وغير العنف، والاستعارة إحدى هذه الصور البلاغية، فقد نختار استعمال " كلمة مجازية لكي ندخل السرور أو الفتنة في قلوب المستمعين إلينا، تعكس هذه العملية للصور البلاغية جانبا من الجوانب المركزية للوظيفة العامة للبلاغة، وهي تحديدا الإقناع ".[3]

فبقاء دوران البلاغة حول العبارة فحسب، كاد أن ينتهي بها إلى أن تنحصر في مجرد نظرية للاستعارة تقوم في صلبها على تحديد الانحرافات وطرائق تصويبها، فالاستعارة وسيلة بلاغية " من حيث إنّها تساهم في الإمتاع والتأثير، ولكنها أيضا حجاجية من حيث إنها تعبر عن حجج بطريقة مركزة مع جعلها أكثر تأثيرا وإصابة".[4]

لقد كان ينظر للاستعارة على أنها مجرد زخرفة فنية، على الرغم من وجود شبه إجماع من العلماء قديما وحديثا، على أن الاستعارة تضطلع بوظيفة أصلية في الخطاب، هي دورها

---

[1] – حمدي منصور جودي، خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإيقاعية في أعمال البشير الإبراهيمي – دراسة لنماذج نصية مختارة – (رسالة ماجستير)، إشراف د. محمد خان، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بسكرة، 2008/2007 ، ص 51 (222 صفحة).

[2] – ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 125.

[3] – بول ريكور، نظرية التأويل، تر: سعيد الغاني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص 87.

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 456.

الحجاجي؛ يقول عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للاستعارة : " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية" [1]، ورأى بأن " الاستعارة إنما ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء " [2]، فالادعاء كفعل حجاجي يتوجب إدخال المستعار له في جنس المستعار منه على وجه الحقيقة، وذلك بخلق عالم ثالث هو عالم الممكن، حيث يمكننا أن نجمع فيه بين عالمين ذَوَيْ بنيتين ونسقين مختلفين فنصيِّر المستحيل ممكنا عن طريق الخيال.

فالجرجاني نظر إليها من وجهة حجاجية فقد أعطاها مفهوما على أنّها ذات دور فعّال في العملية الحجاجية نافيا بذلك مسألة النقل التي قال بها البلاغيون قبله، فهي عنده أداة من أدوات الإقناع.[3]

ومن ثمّة فالاستعارة تدخل ضمن الوسائل التي يوظفها المتكلم للإجهاز على خصمه، فهي بالتالي أسلوب حجاجي لا يمكن لأي مخاطِب مهما كانت نوعية خطابه الاستغناء عنه، وعليه فقد فرضت الاستعارة نفسها ووجودها على المتكلم والدارس باختلاف العصور والأنواع الخطابية.

2- نظرية الحجاج في اللغة

تُقرن هذه الجملة المشكلة للعنوان بالأعمال التي قام بها الفرنسيان " أوسوالد ديكرو" و" جان كلود أنسكومبر" في السبعينات من القرن الماضي، وقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها " أوستين ".

وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤدّاها ((أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير))، وهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة

---

[1] – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991، ص 29.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: أحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحموديّة، القاهرة، ط 2، (د ت)، ص 280.

[3] – ينظر: أحمد السيد الصاوي، الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ــ دراسة تاريخية فنية ــ، منشأة المعارف الإسكندرية، (د ط)، 1988، ص 86.

مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية.[1]

والحجاج في هذه النظرية ظاهرة لغوية نجدها في كل خطاب، باعتباره — أي الحجاج— آليات لغوية محضة، وذاك لأن نظرية " ديكرو " اللسانية تنطلق من ثلاثة مبادئ أساسية هي:

أ – أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

ب– أن المكون الحجاجي في المعنى أساس والمكون الإخباري ثانوي.

ج – عدم الفصل بين الدلالات والتداوليات.

ومن ثم لا يكون الهدف إخبار المتلقي وإنما التأثير فيه، قصد اتخاذ موقف، ومن هذا المنظور نعتبر اللغة فعلا وحجاجا وليست نقلا للمعلومات والإخبار عنها.

ومجال البحث في هذه النظرية هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية — لا الخبرية الوصفية — المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن[2]، معنى ذلك أن المفترض في هذا الموقف أن التخاطب العادي لا يتم بتبادل أخبار عن حالات الأشياء في الكون بقدر ما يتم بتبادل الأعمال اللغوية.

ويمكن اعتبار الحجاج اللغوي أو الحجاج في اللغة (l'argumentaion dans la langue) جانبا أساسيا من جوانب منطق اللغة، ويمكن كذلك اقتراح صياغات أخرى لهذا المنطق، وعموما فإن منطق اللغة هو القواعد الداخلية للخطاب التي تحكم تسلسله وتناميه، وتحكم تنامي الأقوال وتتاليها[3]، وذلك بشرط أن يكون ضمن وظائف اللغة الطبيعية العديدة.

فموضوع الحجاج في هذه النظرية هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما، وهذا التوجه مصوغاته موجودة في البنية اللغوية للأقوال وليس رهينة المحتوى الخبري للقول ولا رهينة أي بنية من خارج نظام اللغة، أما القول الحجاجي فمجاله الخطاب

---

[1] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 7.

[2] – ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ــ ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في.... ــ ، ص 351.

[3] – ينظر : أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص22.

نفسه الذي تسيره قوانين داخلية، تفرض استئناف القول فيه على هذا الوجه أو ذاك[1]، وفي جلّ الأقوال هناك بعض السمات التي تحدد قيمتها التداولية بالاستقلال عن محتواها الخبري.

فإذن يُلح المؤلفان على قضية القواعد الداخلية للخطاب والتي تتحكم في ترابطه وتسلسله، وهذا يعني أن الحجاج المعني هنا ليس عنصرا يضاف إلى اللغة، بل يسري فيها سريانا طبيعيا[2].

فالحجاج حسب هذه النظرية هو آليات لغوية محضة، نجدها في كل قول وخطاب، سواء كان هذا الخطاب أدبيا أو فلسفيا أو دينيا أو سياسيا أو غير ذلك، ومن ثم فإن أشكال الحجاج في الخطاب متعددة بمعنى أننا نجده في كل ظواهر اللغة إن بشكل أو بآخر[3].

ويعرف ديكرو وأنسكومبر ــ صاحبا هذه النظرية ــ بأن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا ق1 (أو مجموعة أقوال)، يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2 (أو مجموعة أقوال أخرى) ويمثل ق1 أو مجموعة الأقوال حجة منها يكون الانطلاق إلى ق 2 أو مجموعة الأقوال، ويكون ق2 إما قولا صريحا أو ضمنيا، بمعنى أن القول الأول يمثل المعطى على حد تعبير تولمين والقول الثاني يمثل النتيجة[4].

هذا ويرتبط الأمر في هذه النظرية بما يسمى " بالمبادئ الحجاجية " وهي عبارة عن ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، وهي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة والكل سلم بصدقها وصحتها[5].

---

[1] – ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 352.

[2] – ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر، الكويت، مج 30، ع1،"يوليو- سبتمبر 2001 "، ص 105.

[3] – ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر ــ نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، دراسات سيميائية أدبية لسانية، صدر عن دراسات سال، ع7، 1992، ص100 ، 101.

[4] – ينظر: عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم، ج1، ص 36. وانظر كذلك: عز الدين الناجع، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 10.

[5] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص39.

كما أن هذه المبادئ ترتبط بأيديولوجيات جماعية " فإنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من نفس المقدمات، وأن يعتمدا نفس الروابط والعوامل، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة بل متضادة " [1]، ولن يفسر هذا إلا باعتماد مبادئ حجاجية تنتمي إلى أيديولوجيات متعارضة، ولهذه المبادئ الحجاجية خصائص عديدة منها: أنها مشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة، وكذا العمومية والتدرجية والنسبية.

وهذه النظرية تنضوي تحت ما يسمى في اللسانيات الحديثة بالتداولية المدمجة، والتي تتموضع في الإطار القائل بوجود تعارض بين علم الدلالة والتداولية، فالعلاقة بين العلامات تفضي بنا إلى علم التراكيب، والعلاقة بين العلامة ومعناها تفضي بنا إلى علم الدّلالة، أمّا العلاقة بين العلامة ومستعمليها فتفضي بنا إلى التداولية [2]، وهذا يستلزم تحليل ملفوظ معيّن يتوقّف على:

أوّلا: تحديد المحتوى الإخباري الّذي يخضع بدوره للبنية النحوية.

ثانيا: إنّ شروط البناء النّحوي السليم تخضع هي الأخرى للمحتوى الإخباري "الدلالة".

ثالثا: لا يمكن للمحتوى الإخباري أن يتجاوز النّشاط الكلامي للملفوظات، ومعنى هذا كلّه، أنّ التحليل التداولي يستلزم تحليلا نحويا، و آخر تركيبيا، مع الحرص على هذا الترتيب وليس عكسه[3].

وإذا تحدّثنا عن موقع الحجاج ضمن هذه النظرية، فإنّنا نقول إنّ الحجاج " هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب وتنتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية، فلا بدّ أن تتوفّر في الحجّة ق 1 شروط محدّدة حتّى تؤدي إلى ق 2، لذلك فإنّ الحجاج مسجّل في بنية اللّغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال، ولا بمعطيات بلاغية مقامية"[4]، فالخطاب وسيلة للحجاج، وهو في الوقت نفسه منتهى هذه الوسيلة، وهذا ما جعل ديكرو يميّز

---

[1] – المرجع السابق، ص 39.

[2] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص.179

3 - O. Ducrot, J.C. Anscombre, L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1980, p 17 .

[4] – شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ص 360 ، 361.

بين نوعين من الأفعال: الفعل الحجاجي المتمثّل في حمل الطّرف الآخر، بمقتضى إصدار قول ق1، على فهم ق 2، وفعل الاستدلال الّذي يعرف بأنّه فعل يتوقّف تحقيقه على إنتاج ملفوظ[1]، مثال ذلك، الحوار التالي:

أ: اتّصل بي علي ودعاني لزيارته.

ب: إذن أنت هو زيد ؟

يعتبر ما قاله (ب) فعلا استدلاليا ارتبط بما قاله (أ).

أمّا في الحوار التالي:

ج: إنّه صغير.

د: رغم ذلك فهو قوي.

لا يوجد في قول (ج) ما يشير إلى النتيجة الّتي توصّل إليها (د)، وعليه يخلص ديكرو إلى نتيجة مفادها أنّ الحجاج والاستدلال شيئان مختلفان تماما، فالحجاج يقع على مستوى الخطاب، أمّا الاستدلال فهو يرتبط بالمعتقدات المتعلقة بالواقع [2]، أيْ الطريقة الّتي تحدّد بها الوقائع.

أما في مستوى المكون البلاغي فيقع ربط دلالة القول بسياقه حيث تدخل اعتبارات التخاطب بين القائل ومخاطبه ومكان القول وزمانه وعموما جميع المعطيات المقامية البلاغية من مجتمع ونفسيات بغية الوصول إلى إسناد قيم دلالية ثابتة للمتغيرات التي ضبطتها القواعد في اللغة [3]، فموضوع الملاحظة في التداولية هو الطريقة التي تؤول بها الأقوال في السياقات المخصوصة التي تستعمل فيها، إذ يمكن لأي قائل – سامع أن يسند معنى ما إلى قول معين كأن يفترض أن معنى " أنا صائم " هو الإثبات أو الاعتراض.

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 352.

[2] – ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص180.

[3] – ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ص 359.

مما تقدّم يتّضح لنا بأنّ بلاغة القرن العشرين أو ما يسمى بالبلاغة الجديدة، قد ركّزت على الخطاب بوصفه مسرحا للحجاج، وعلى الرغم من اهتمام الفريقين (بيرلمان وتيتيكا وكذا ديكرو وشريكه) بالهيكلة الحجاجية إلّا أن اختلافا في سياق البحث قد ظهر بينهما، وذلك أن بيرلمان ألحّ على تقنيات الخطاب، فحجاج بيرلمان يعد من الحجاج العادي، الذي يتحدد بقدرة الملفوظ على توجيه الأذهان إلى الإذعان، وهذا يعني أن الكلام عندهما ليس كله حجاجا، بينما عند ديكرو وأنسكومبر كل كلام حجاجي بطبعه " وأن الكلام وظيفته الجوهرية أن يوجه لا أن يدل"[1].

وقد حصر بيرلمان وتيتيكا الحجاج في الوصل والفصل، وهذا " من شأنه أن يجعل أفق الدرس الحجاجي في أي نص من النصوص أو قول من الأقوال أفقا ضيقا جدا، ذلك أنه من الحجاج في الكلام ما يرد على غير هذين المظهرين "[2].

وفي المقابل نجد مفهوم ديكور وزميله مفهوما واسعا جدا، لأن كل قول بحسب هذه النظرية – مهما كانت الغاية منه – هو حجاج، لأن وظيفة الكلام – أي كلام – الرئيسية هي الحجاج، ومن ثم فإن أي كلمة يفوه بها الخطيب، أو يكتبها الكاتب هي ذات طاقة حجاجية؛ لهذا وقف الدكتور عبد الله صولة موقفا وسطا بين هذين الطرفين، باعتبار "ما كل حجاج بفصل أو وصل، كما أنه ما كل قول بحجاج"[3].

كما أن كلتا البلاغتين بلاغة بيرلمان وتيتيكا وكذا بلاغة ديكور وأنسكومبر تخضعان لقانون واحد هو قانون الأنفع والأجدى، وأن بلاغة بيرلمان وتيتيكا تركز على التكنيك الذي يستخدمه المتكلم لتحقيق الإقناع، أما الحجج التي ليست عائدة إلى التقنيات البلاغية فلا يعنيهما أمرهما[4].

---

[1] – عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، إدارة المناهج، مملكة البحرين، مؤتمر مناهج اللغة العربية، أبريل 2004، ص 7.

[2] – عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،منشورات كلية الآداب، منوبة، 2001، ج1، ص 43.

[3] – المرجع نفسه، ص ن.

[4] – ينظر: عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، ص 7.

الفصل الثاني:
استراتيجية بناء نص المقالات حجاجيا

1 -مكونات النص الحجاجي في عيون البصائر

2 -السُلّميات الحجاجية في المقالات

3 -الروابط والعوامل الحجاجية في المقالات

المبحث الأول: بناء النص الحجاجي في المقالات

1/- مكونات النص الحجاجية في عيون البصائر:

نورد في الأول النصوص أو المقالات المختارة من عيون البصائر والتي اختيرت كنماذج للدراسة وسنعمل في الأول على تحديد البناء الشكلي لتلك النصوص، ولنعتبر ذلك هو بناء نصوص المقالات عند البشير الإبراهيمي عموما، خاصة وأننا في هذه الحالة مع مجموعة نصوص لكاتب واحد.

(النص 1): الحقائق العريانة، العدد 1، سنة 1947م، الصفحات (21 . 31)

الدعوى (ظاهرة): ميراث الشعب الجزائري الإسلام والعربية.

التبرير: حفاظ الشعب الجزائري على هذا الميراث على الرغم من مغالبة حوادث الدهر له (الاستعمار).

احتياط: كل شعوب الدنيا تقوم على مثل هذه المقومات الموروثة.

التدعيم: في قوله:" ولو أن الاستعمار كان فقيها في سنن الله في الأمم والطبائع لأنصف الأمم من نفسه فاستراح وأراح، ولَعَلِمَ أن عين المظلوم كعين الاستعمار، كلتيهما يقظة ." ص 23. (كذا التدعيم بإثارة التساؤلات خاصة للطرف الآخر).

وعليه فالشكل العام لهذا النص من حيث البناء كالآتي:

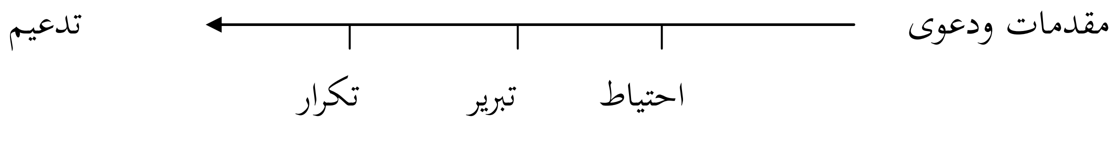

(النص 2): جمعية العلماء: موقفها مع السياسة والساسة، ع 3، 1947م، ص (38 . 43).

الدعوى(ظاهرة): للسياسة معنى محدد ومستقر ومدرك إلا في هذا البلد.

التبرير: في قوله:" هذه هي السياسة في الجزائر بين الحاكم والمحكوم، يجعلها الأول أداة مساومة.... ويجعلها الثاني وسيلة جاه". ص 40.

احتياط: أن جمعية العلماء ليست من أولئك ولا من هؤلاء.

التدعيم: أن في هذا البلد إذا كان كل شيء مبدؤه السياسة فنهايته التجارة والأعمال بخواتيمها، و" أهل مكة أدرى بشعابها".

فالشكل الحجاجي للنص على هذا النحو:

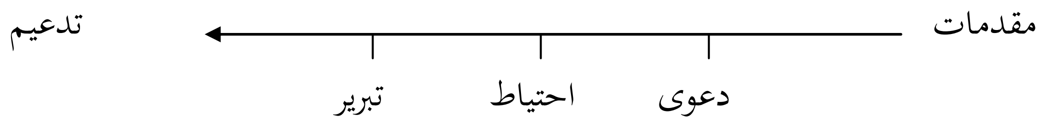

(النص 3): تصوير الفجيعة، ع5، 1947م، ص (491 ـ 495).

الدعوى (متضمنة): فلسطين قضية وجود لا حدود.

التبرير: ليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم.

التدعيم: أن فلسطين حررها العرب والمسلمون مرتين عبر التاريخ، وانتظم ملكهم إياها ثلاثة عشر مرة.

احتياط: إن فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، واستقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية.

فالشكل الحجاجي للنص هو:

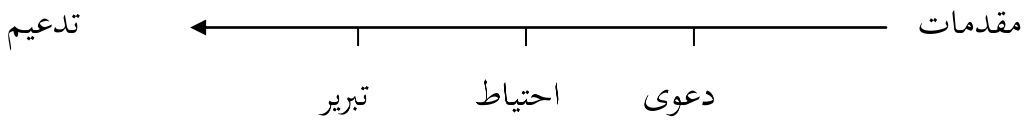

(النص 4): الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر، ع 11.10.6.5، 1947م، ص (586 ـ 594).

الدعوى (مضمنة): الشباب هم ذخر الأمة ومستقبلها.

التبرير: في قوله: " أتمثله مقدما لدينه قبل وطنه، ولوطنه قبل شخصه " ص 594.

والشكل الحجاجي للنص هو:

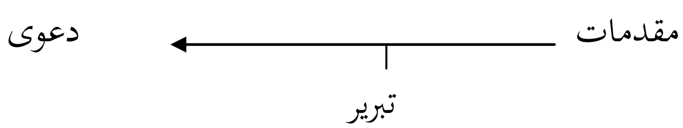

(النص 5): من مشاكلنا الاجتماعية: الطلاق، ع 7، 1947، ص (328- 331).

الدعوى (مذكورة): أبغض الحلال إلى الله الطلاق.

التبرير: تقييد الإسلام له وإعطاؤه ضوابط (على الرغم من مشروعيته له).

احتياط: يصحب الطلاق الحقد والبغض والتألم والتظلم.

التدعيم: إعطاء نماذج من الواقع تبين الأضرار الناتجة عن الطلاق إنْ أُسرا أو أطفالا.

فالشكل العام لبناء هذا النص حجاجيا كالآتي:

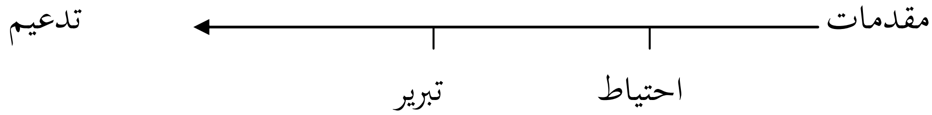

(النص 6): الأديان الثلاثة في الجزائر، ع 13، السنة الأولى من السلسلة الثانية 1947، ص (61 – 66).

الدعوى (مذكورة): ثبات الإسلام في وجوه أعدائه داخل الجزائر.

التدعيم: مقارنة وموازنة بين الأديان الثلاثة في الجزائر حول طبيعة الصراع القائم بينها.

التبرير: الإسلام في قوته أَحْسَنَ للديانتين اليهودية والمسيحية، في حين أساءا أيّما إساءة له.

فالشكل الحجاجي العام لهذا النص هو:

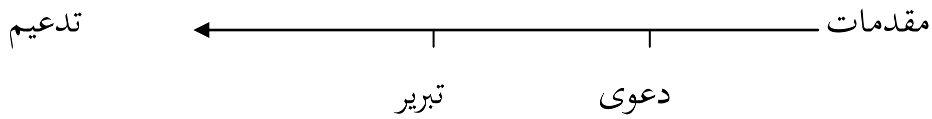

(النص 7): كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري، ع 33، 1948، ص (196 – 200).

الدعوى (مذكورة): النيابة وكالة عن جمهور لا مجرد عضوية.

التبرير: في قوله:" وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرعتم بها إلى هذا المنصب، ... وإنما أنتم أعضاء تألف منها مجلس غير متجانس الأجزاء). ص 196.

التدعيم: في قوله: " إن أقواما قبلكم وصلوا إلى ما وصلتم إليه، وارتقوا على أكتاف الأمة إلى كراسي النيابة ولكنهم خانوا العهد وأضاعوا الحقوق، فسجل عليهم التاريخ خزي الأبد وكلمة المقت، فحذار حذار أن تكونوا مثلهم" ص 200.

فالشكل الحجاجي هو:

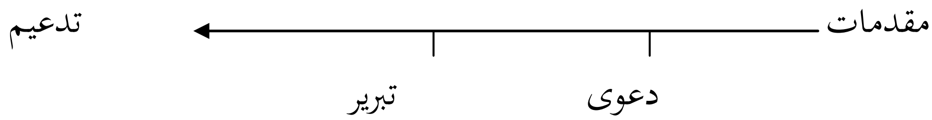

(النص 8): ذكرى 8 ماي، ع35، 1948، ص (367 – 372).

الدعوى(مضمنة): ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة.

التبرير: على الرغم من وعد فرنسا للجزائريين المدافعين عليها بالاستقلال إلاّ أنها قابلت ذلك بالقمع وهذه سياسة الاستعمار دائما.

احتياط: في قوله:" تستحسن العقول قتل القاتل وتؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل". ص 369.

التدعيم: تقديم نماذج عن جرائم الاستعمار عبر التاريخ ولا ردّ له إلا بالقوة.

فالشكل الحجاجي لهذا النص:

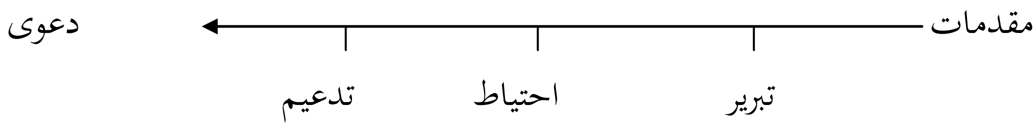

(النص 9): اللغة العربية في الجزائر: عقلية حرّة ليس لها ضرّة، ع 41، 1948، ص (221 – 223).

الدعوى(مذكورة): اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة.

التبرير: في قوله:" فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح ".ص 221.

فالشكل الحجاجي للنص:

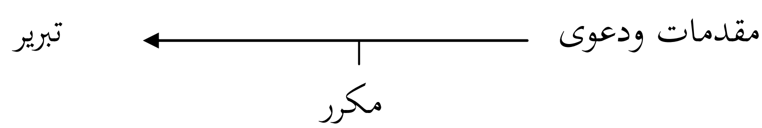

(النص 10): الرجال أعمال، ع44، 1948، ص (632 – 635).

الدعوى (مذكورة): الرجال أعمال.

التبرير: في قوله: " وإذا كان الرجال أعمالا فإن رجولة أخينا عبد الحميد تقوم بهذه الأعمال" ص 632.

التدعيم: ذكر ما قدّمه الشيخ في سبيل العلم والأمة.

فالشكل العام لبناء النص حجاجيا هو كالآتي:

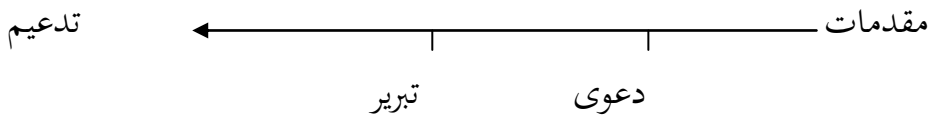

(النص 11): ثلاث كلمات صريحة، ع 54، 1948، ص (346 – 353).

الدعوى(مضمنة): جمعية العلماء أصل الحركة العلمية.

التبرير: في قوله : " إن جمعية العلماء هي الهيئة الوحيدة التي تحضن التعليم العربي في داخل القطر" ص 352.

فالشكل الحجاجي العام للنص هو:

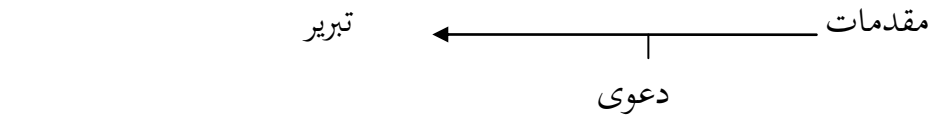

(النص 12): عادت لعترها لميس، ع64، 1949، ص (379 – 385).

الدعوى (مضمنة): الحكومة قاتلة آمال الشعب.

التبرير: أما حكومة الجزائر تتعمّد تلك المعنويات بالقتل الوحِيّ، عمدا مع الإصرار، وجهرا ليس فيه أسرار.

التدعيم: إفساد العملية الانتخابية بعد أن فقه الشعب معناها، وكذا إعاقة المدارس العربية بعد أن آتت أكلها.

فالشكل الحجاجي العام للنص هو:

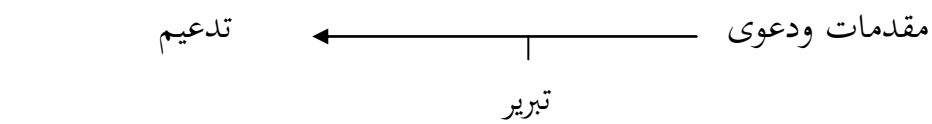

(النص 13): التعليم العربي والحكومة، ع70، 1949، ص (254 – 257).

الدعوى (مذكورة): حرية التعليم العربي.

التبرير: لابد من فكّ تبعية التعليم العربي للحكومة.

التدعيم: تقديم قرارات الحكومة المكرسة لتبعية التعليم للحكومة.

الشكل الحجاجي للنص هو:

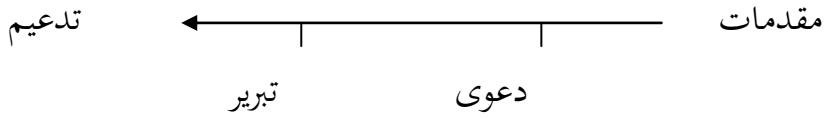

(النص 14): فصل الدين عن الحكومة، ع 75، السلسلة الثانية 1949، ص (88 – 91).

الدعوى (مضمنة): العنوان نفسه.

التبرير: في قوله : " فلا نريد أن تبقى للحكومة يد ولا إصبع في تعليمنا العربي الديني " ص 91.

فالشكل الحجاجي العام لهذا النص هو:

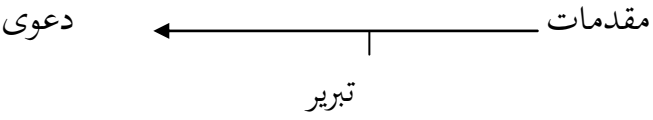

(النص 15):كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، ع 81، 1949، ص (77 – 81).

الدعوى (مضمنة): أن الحكومة في الجزائر لا تخدم مصالح الشعب.

التبرير: في قوله: " إن حكومة توسع السجون، وتضيق المدارس، حكومة سيئة الظن بنفسها قبل أن تكون سيئة الظن بالشعب" ص 80.

فالشكل الحجاجي للنص هو:

(النص 16): معهد عبد الحميد بن باديس، ع 90، 1949، ص (276 – 282).

الدعوى (مضمنة): المعهد الباديسي أساس النهضة العلمية.

التبرير: إنّك تنهض بالعلم، وأيّ نهضة لا يكون أساسها العلم هي بناء بلا أساس ولا دعامة.

التدعيم: في قوله:" إن النهضات الأصلية لا تعرف القناعة ولا تدين بها، ولا ترضى بالتقلّل والتبلّغ، وإنّما هي القوة والفوران" ص 279

احتياط: عصرك عصر نهوض ومن لم يجار فيه الناهضين كان في الهالكين.

فالشكل العام للنص هو:

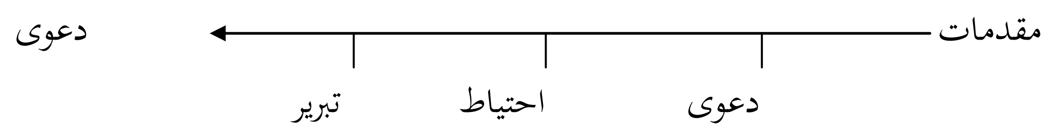

(النص 17): الشك في الإيجاب.... نصف السلب، ع 111، 1950، ص (386 – 389).

الدعوى (مذكورة): ليست الجزائر فرنسية.

التبرير: الصبغة التي أصبغ بها التاريخ الجزائر وموروثها الثابت المثبت لها: العروبة والإسلام.

التدعيم: في قوله:" وهو الشك في منطوقها شكا خالط نفوس هؤلاء الخطباء في كون الجزائر فرنسية، أو ليست فرنسية" ص 386.

الشكل العام للنص:

(النص 18): لجنة " فرانس ـ إسلام "، ع114، 1950، ص (390 – 393).

الدعوى(مضمنة): المستشرقون عملاء وأجراء الاستعمار.

التبرير: في قوله:" فالاستشراق في هؤلاء عند الحكومات الاستعمارية معناه... ابتكار الوسائل لاستعمار العقول أوّلا والأوطان ثانيا " ص 392.

التدعيم: تسخيرهم العلم للسياسة ورضوا للعلم بالامتهان فهم مبشرون بالاستعمار.

احتياط: كَوَّن الاستعمار لجنة " فرانس . إسلام " لتمرير أفكاره في شمال إفريقيا.

فالشكل الحجاجي العام هو:

(النص 19): الدين المظلوم، ع122، 1950، ص (136 – 141).

الدعوى(مذكورة): الدين المظلوم هو الإسلام في الجزائر.

التبرير: في قوله:" مظلوم من أهله إذا لم يدافعوا عنه، ولم يأخذوا له بحقه من ظالمه، ومظلوم من هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة " ص 137.

فالشكل الحجاجي العام للنص هو:

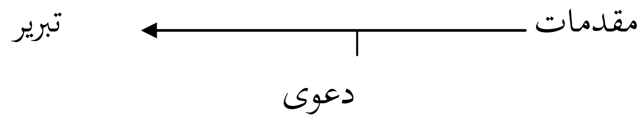

(النص 20): محنة مصر محنتنا، ع147، 1951، ص (556 – 559).

الدعوى (مضمنة): العنوان نفسه .

التبرير: تشابه الحالة بين الشعبين الأخوين ومن ثمة توحد الهم.

فالشكل الحجاجي العام للنص هو:

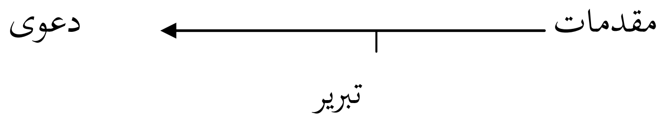

(النص 21): اختلاف ذهنين في التعليم العربي، ع 152، 1951، ص (310 – 313).

الدعوى (مذكورة): لغة الأمة هي ترجمان أفكارها.

التبرير: أن العربية مستودع آداب الشرق وملتقى تياراته الفكرية ومرآة عصور العرب ومدونة أحكامهم.

احتياط: إن هذه الأمة تعتقد ــ وتموت على اعتقادها ــ أن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني وشرط في بقائها ص 313.

فالشكل الحجاجي العام للنص هو:

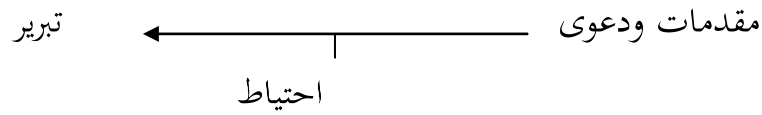

(النص 22): القضية ذات الذنب الطويل، ع 175، 1951، ص (185 – 190).

الدعوى (مذكورة): حق فصل الإسلام عن حكومة الجزائر.

التبرير: في قوله:" فإن إصرارنا على الحق نتيجة لإصرار الحكومة على الباطل ... لأن حق الأمة فيها أوضح من الشمس " ص 186.

التدعيم: تقديم حقائق تبين مدى تماطل الاستعمار في حل هذه القضية على عكس بعض القضايا الأخرى وإنْ بدت الأخرى أكبر شأنا.

احتياط: " هي أن في الجزائر ثلاثة أديان يستمتع اثنان منهما بالحرية الكاملة والاحترام الشامل، ويخص الإسلام ــ وحده ــ بهذه المعاملة الشاذة التي هي استبعاد واضطهاد " ص 137.

فالشكل الحجاجي العام للنص هو:

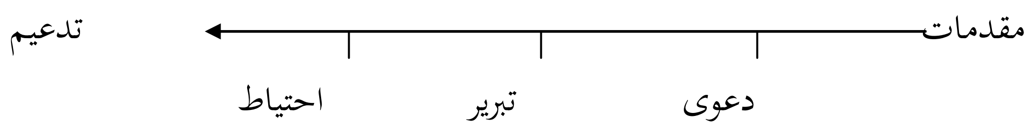

قبل أن نشرع في تحليل ودراسة النماذج البنائية للنصوص الحجاجية المختارة للدراسة من عيون البصائر، أرى أن أُجمل كل تلك الأشكال في جدول واحد نبين فيه طبيعة الدعوى من حيث هي مذكورة أم مضمنة وما إلى ذلك، وكذا بقية المكونات الأخرى من تبرير واحتياط وتدعيم، وكذا مؤشر الحال، من حيث كونها موجودة أم لا، ونستعين في ذلك بالرمز (+) للموجود والرمز (–) لغير الموجود، ونجمل ذلك في الجدول الآتي:

المكون / النص	الدعوى	التبرير	الاحتياط	التدعيم	مؤشر حال
01	ظاهرة مكررة	+	+	+	لولا...لـ
02	ظاهرة	+	+	+	ما دامت
03	مضمنة	+	+	+	لولا أن – لا..وإنما – وما.. إلا – لو أن...لا– لم.. حتى.
04	مضمنة	+	–	–	لا...لأن – حتى.
05	ظاهرة مكررة	+	+	+	لو– لكنْ– ليت شعري.
06	مذكورة	+	–	+	على حين– لكن– لولا أن.
07	مذكورة	+	–	+	ليت شعري.
08	مضمنة	+	+	+	لا...إلا.
09	مذكورة مكررة	+	–	–	كلا....إن.

10	مذكورة مكررة (العنوان)	+	–	+	لا....إن.
11	مضمنة	+	–	–	لا...إلا- لكن.
12	مضمنة	+	–	+	لكن- ليت شعري- ولولا أن.
13	مذكورة	+	–	+	لا...إلا.
14	مضمنة (العنوان نفسه)	+	–	–	لا....إلا.
15	مضمنة	+	–	–	ـ
16	مضمنة	+	+	+	ولولا..لا- لكنْ- إذا- لا...وإنما.
17	مذكورة	+	–	+	لوأن...ل – حتى.
18	مضمنة	+	+	+	لا..إلا- ما...إلا.
19	مذكورة مكررة	+	–	–	لكنْ.
20	مضمنة (العنوان)	+	–	–	فلا...إلا- ليت شعري.
21	مذكورة	+	+	–	لمْ...إلا – لولا.
22	مذكورة مكررة	+	+	+	ما.....إنما.

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن الدعوى لم تكن دائما مذكورة في مقالات البشير الإبراهيمي؛ إذ ذكرت اثنتا عشر مرة فقط؛ أي حوالي النصف من مجموع النصوص المختارة، وكررت في ستة مقالات، وفي باقي النصوص كانت الدعوى مضمنة، منها ثلاث حالات كانت هي العنوان نفسه، وهذا وارد في الشكل العام للنص الحجاجي العربي كما سنبين لاحقا.

في حين نلحظ أن التبرير دائما موجود في كافة المقالات، وقد ذكر الاحتياط تسعة مرات ولم يوجد في ثلاثة عشر نصا، ومثله التدعيم ذكر في أربعة عشر نصا وخلت منه باقي النصوص وهذا له قراءته الخاصة كما سيأتي.

كما تنوعت مؤشرات الحال تنوعا كبيرا وتشابهت إلى حد كبير في كافة النصوص، وهو حاضر في جميع نصوص الدراسة، باستثناء نص واحد فقد خلى منه، وذلك مع النص الخامس عشر.

2/- بناء المكونات الحجاجية في المقالات:

من خلال تأمل النصوص السابقة المختارة وأشكالها البنائية الحجاجية، وبعد جمعها في جدول وإعطاء ملاحظات أولية متعلقة أكثر ما تتعلق بحضور العناصر المكونة للنص الحجاجي من عدمها، يمكن لنا بناء على ذلك أن نستنتج من جانب بناء تلك المكونات ما يأتي:

أولا: البناء الشكلي للنصوص:

1/- " الشكل الأشيع للنص الحجاجي العربي المكتوب هو النص الذي يبدأ بالمقدمات فالدعوى فالتبرير" [1]، وهو ذا نسبة معتبرة في النص الحجاجي عند البشير الإبراهيمي؛ إذ نلحظ ذلك في ستة نصوص من بين اثنين وعشرين نصا مختارا؛ أي ما يقارب ربع النصوص المختارة، وهي النصوص: الرابع، التاسع، الحادي عشر، ، الخامس عشر، التاسع عشر، والعشرون، وقد يقتصر النص على هذه العناصر دون غيرها من مكونات النص الحجاجي.

---

[1] - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 205.

كما أنه في أكثر الحالات قد يتجاوز تلك العناصر الثلاثة (مقدمات ودعوى وتبرير) إلى التدعيم، وقد حصل هذا مع أربعة عشر (14) نصا من مجموع النصوص.

أضف إلى ذلك أنه في حالات غير قليلة يتجاوزه إلى الاحتياط والتدعيم معا، ونلاحظ هذا في تسعة نصوص، وإيرادها أقل من التدعيم، وهذا لأن حاجتها في الحجاج أقل من التدعيم في كثير من الحالات، وأكثر النصوص التي غاب فيها التدعيم يبدو وكأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، فكأن به لا حاجة للتدعيم من باب المشهور أو المعروف، مثاله النص: الرابع (بأن الشباب هم مستقبل الأمة)، والتاسع (بأن العربية هي لغة الجزائر)، والحادي عشر (بأن الواقع يقر بأن جمعية العلماء هي أصل النهضة العلمية في الجزائر)، وكذا النص العشرون (من أن محنة مصر هي محنة العالم العربي كله ومن بينه الجزائر).

2/- الشكل الحجاجي المتواتر في " عيون البصائر " هو نفسه الشكل الحجاجي الأشيع في النص العربي، وهو الشكل التالي:

" وهو شكل يتسم بالمنطقية التي تعد أسّ الحركة الحجاجية المتنامية، مترابطة العناصر "[1]؛ إذْ ترتبط الدعوى بالمقدمات منطقيا، ولكي يجعل الكاتب خطابه مقنعا يعتمد التبرير والتعليل وهذا هو الحاصل في " عيون البصائر "؛ إذ التبرير حاضر في كل النصوص المختارة والتعليل في أكثر من ثلثها.

ثانيا: المقدمات والدعوى:

1/- " المألوف أن يبدأ النص الحجاجي بالمقدمات، ولكن يندر جدا أن تشغل الدعوى الموقع المألوف للمقدمات"[2]، وهذا ما نلحظه في خمسة نصوص موزّعة بالتساوي في السنوات التي كتبت فيها هذه المقالات (1947 – 1951)، مع اختلافها في

---

[1] – المرجع السابق، ص ن.

[2] – المرجع نفسه، ص206.

الموضوعات المطروقة في كل مقال من سياسية واجتماعية وتعليمية ودينية، وهي بالترتيب (النص 1)، (النص 9)، (النص 12)، (النص 18)، (النص 21).

هذا لأنه في بعض الأحيان تحتاج الدعوى إلى ممهدات من خلالها يبسط المحاجج موضوعه، حتى يكون طرح الدعوى منطقيا، وأرى أن حيازة الدعوى على المكان المخصص للمقدمة في بعض الحالات منطقي، إما لإبراز الدعوى بشكل لافت للمخاطَب، أو لأن القضية مشهورة ومعروفة لدى الجميع فلا تحتاج منه إلى تمهيد وتقديم، وكذلك نلاحظ في بعض الحالات اتحاد المقدمة مع الدعوى في المكان المخصص للدعوى، وفي هذه الحالة غرض إبراز الدعوى فقط.

2/- في بعض الأحيان تُتّخذ الدعوى في النصوص المعاصرة عنوانا للنص، وهذا ما نلمسه في ثلاثة نصوص من النصوص المختارة من " عيون البصائر "، ففي النص العاشر (10): الرجال أعمال، كانت الدعوى ظاهرة ولكنها مكررة، وفي النص الرابع عشر (14): فصل الدين عن الحكومة، والنص العشرون (20): محنة مصر محنتنا كانت في كلتيهما مضمنة وهي العنوان نفسه، وهذا يعكس على الأقل وعي الكاتب ــ البشير الإبراهيمي ــ بالقضايا التي يدافع عنها.

3/- قد تُضَمَّن الدعوى وهذا ما نلحظه في كثير من النصوص المختارة للبشير الإبراهيمي من " عيون البصائر "، فقد قاربت النصف؛ إذ بلغت عشرة نصوص من مجموع اثنتين وعشرين نصا، وهي (النص 3): فلسطين قضية وجود لا قضية حدود، (النص 4): الشباب مستقبل الأمة، (النص 8): ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، (النص 11): جمعية العلماء أصل الحركة العلمية، (النص 12): الحكومة قاتلة آمال الشعب، (النص14) العنوان نفسه: فصل الدين عن الحكومة،(النص 15): أن الحكومة في الجزائر لا تخدم مصالح الشعب، (النص 16): المعهد الباديسي أساس النهضة العلمية، (النص 18): المستشرقون عملاء الاستعمار، (النص 20) العنوان نفسه: محنة مصر محنتنا.

وهذه البنية مخالفة لمألوف بناء النص الحجاجي العربي وهو أن الدعوى " في أكثر الحالات تذكر في هيئة منطوق واحد أو أكثر" [1]، فنسبة التضمين فيه محدودة لا أن تقارب النصف كما في " عيون البصائر "، ولعلّ ذلك يرجع لكون القضايا التي يعالجها البشير الإبراهيمي قد أصبحت مألوفة من حيث كونها مشكلة مطروحة على الساحة آنذاك، وهذا ما يشير إليه في كثير من مقالاته، ومع ذلك يسعى إلى تقديم تبرير وتدعيم لما يتكلم فيه، ولأنه يدافع عن قضايا غُيِّبت بالإنكار لا بعدم معرفتها، فحجاجه لإزالة اللبس والغبار عنها.

4/- عادة ما يبنى النص الحجاجي على دعوة واحدة رئيسة،سواء أكانت مذكورة أم مضمنة، وقد يعبّر الكاتب عن هذه الدعوى أحيانا في أكثر من موقع في النص [2]، وهذا ما نجده في عدة نصوص من بين ما اخترناه من " عيون البصائر " وذلك في حوالي ستة نصوص.

ففي (النص 5) الدعوى الرئيسة مذكورة: أبغض الحلال إلى الله الطلاق، وأعاد ذكرها مرة أخرى في النص ولكن بتغيير طفيف في الصياغة " الطلاق حل عقد، وبت حبال، وتمزيق شمل " (المقال 5 ص 328)، وفي (النص 9) حيث الدعوى الرئيسة مذكورة: اللغة العربية في الجزائر ليست دخيلة ولا غريبة، أعاد ذكرها في النص بصياغة العنوان نفسها " وأصبحت العربية عقلية حرة، ليس لها بهذا الوطن ضرة " (المقال 9 ص 222)، وكما أعادها ولكن بصياغة أخرى " وأما الحقيقة فهي أن الوطن عربي " (المقال 9 ص 223)، والشيء نفسه مع (النص 10) فالدعوى الرئيسية مذكورة وهي: الرجال أعمال، وقد أعاد ذكرها بالصياغة نفسها وبصياغة العنوان نفسه " إذا كان الرجال أعمالا " (المقال 10 ص 632)، وقد تكرر الشيء نفسه مع عدة نصوص أخرى منها: (النص 1)، و(النص19)، و(النص22)، ففي هذه النصوص أعاد الإبراهيمي ذكر الدعوى بصياغة أخرى، وإن كانت بتغيير بسيط فقط عن الصياغة الأولى للدعوى الرئيسية.

---

[1] – المرجع السابق، ص206.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

ثالثا: التدعيـم:

التدعيم مكوّن أساسي من مكونات الحجاج، ووسيلة من الوسائل المنطقية الدلالية المعتمدة فيه، كونه موصلا ومجسدا للنتيجة سواء أكانت ظاهرة أم مضمنة، ودراسته داخل النص الحجاجي من حيث موضعه في بنية الحجاج أو من حيث نوعه.[1]

ومن ثَم فوسيلة إثبات الكاتب صحة رأيه أو معتقده بإزاء رأي الآخر أو معتقده، هو ذلك التدعيم، والذي هو في أكثر الحالات أدلة منطقية وشواهد وأمثال تدعم صحة الدعوى، فهو كل ما يقدمه المجادل ليزيد من ميل وتصديق المخاطَب لمقدماته ودعواه وتبريره، وللتدعيم وجوه ثلاثة: التدعيم بالدليل، والتدعيم بالقيمة، والتدعيم بالمصداقية.

1/- التدعيم بالدليل:

إن موقف الحجاج الأبسط والأكثر شيوعا هو تقديم إفادة تحظى بموالات المخاطَب، والكاتب يطور حجاجه بإضافة مادة مدعمة لدعواه، على نحو يجعل القارئ مواليا لتلك الدعوى، وهو ما يسمى بالدليل،[2] ولا يمكن للمحاجج أن يتجاهل الدليل في عقل المتلقي، فقد يعارض هذا الدليل حجاجه، كما يجب أن يتقابل الدليل الداحض الخفي للمتلقي مع الدليل الإيجابي للمعارض، فالمتلقي إن أفاد الدليل لا بد أن يؤخذ في عين الاعتبار.

وفي النص الحجاجي العربي نرى أنّ للمادة المدعمة أو الدليل أنماطا شتى؛ إذ يتعلق الأمر بما يَعمد المحاجج استعماله في تدعيمه من أدلة تاريخية، أو شواهد خاصة عادة ما تستقى من المحيط الثقافي للمحاجج.

1 -1- أدلة تاريخية:

عمد البشير الإبراهيمي إلى هذا النوع من الأدلة في حوالي ثلاثة نصوص من نصوص المدوّنة، تراوحت بين حقائق تاريخية أو ذكر لشخصيات أو الإشارة إلى بعض الحوادث التاريخية للأمم أو الخاصة ببعض الشخصيات التاريخية.

---

[1] - ينظر: نبوية علي محمد علي، الخطاب الحجاجي عند طه حسين دراسة لغوية تطبيقية على مقالات حديث الأربعاء،(رسالة ماجستير)، إشراف د . محمد العبد، قسم اللغة العربية بكلية الألسن، جامعة عين شمس، 2007، ص96 (255 صفحة).

[2] - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 208.

ففي (النص 6) قوله:" وفي أمة البربر وأمة فارس شاهد لا يكذب في ذلك " (المقال 6 ص 61)، فيه إشارة إلى الأمم التي ارتبطت بالماديات وابتعدت عن الفطرة السليمة، وهي في ذلك مشابهة للاستعمار، الشيء الذي جعل اعتناقها للإسلام هشا ضعيفا، لأنه دين الفطرة وهي على غير ذلك، ولأنه لا يقف عند حد الماديات فقط.

وفي قوله:" لم يشهد التاريخ أنه أكره يهوديا أو مسيحيا على الإسلام، على نحو ما فعلت (إيزابيلا) و (فرديناند)...." (المقال 6 ص 62)، ففي هذا الدليل شاهد على ما فعلته اليهودية والمسيحية بالإسلام يوم كان الحكم بأيديهم، مقابل تسامح الإسلام مع الأديان الأخرى حتى في الفترات التي كان في أوجّ قوته وكانت الكلمة لحكمه، إلاّ أنه كان متسامحا عادلا، وهو يريد أن يبيّن من خلال هذا الشاهد أن الاستعمار الفرنسي مرتبط بالدين المسيحي في حركته وأن هذا الأخير رغم ذلك لم يعط الاستعمار السماحة لأن تاريخه هو في ذاته على هذه الشاكلة، وأن الاستعمار من خلاله يسعى إلى إكراه الجزائريين على ترك الإسلام واعتناق المسيحية ولو بالقوة.

وفي قوله:" وما حمل النائب اليهودي مايير... والتهريب إلى فلسطين " (المقال 6 ص 65)، وذلك في كون اليهودية تقايض بالمصالح الشخصية والذاتية على حساب الشعوب الإسلامية، وضرب مثالا بالشعب الفلسطيني وما لاقاه من ضرر أكثره بسبب مصالح شخصية لبعض الحكام اليهود، وهذه سمة يتصف بها الاستعمار اليوم في مقايضة مصالح الناس مقابل مصالح شخصية.

فقد عمد البشير الإبراهيمي إلى جملة من الأدلة التاريخية التي لا يختلف فيها، لكونها حقائق تاريخية مثبتة، بغرض تدعيم دعواه وإقناع المتلقي، فهذه الشواهد تقرب من البرهان اليقيني على صحة دعواه، خاصة إذا نظرنا إلى موضوعها داخل سلم الحجاج.

كما نجد ذلك أيضا في (النص 8) قوله:" أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نعمى...."(المقال 8 ص 370)، أتى بهذا الشاهد ليدلّل به على بشاعة الاستعمار وجرائمه، وأنه إن كان للنعمان يومان أحدهما فقط يوم بؤس، فإن الاستعمار أيامه كلها أيام نحسات وأيام بؤس وشقاء ومعانات؛ إذ تلك هي طبيعة الاستعمار.

كذلك في (النص 22) إشارة إلى عدة حقائق تاريخية، من بينها قضية " الجلاء " في مصر، وذلك في قوله:" ولعل قضية الجلاء بين مصر وإنجلترا تفصل في يوم أو يومين..." (المقال 22 ص 186)، دلّل به على صعوبة " فصل الدين عن الدولة " مع المستعمر الفرنسي، فقضية " الجلاء " هذه على عظمها وصعوبتها صارت أسهل وأيسر من قضية فصل الدين عن الدولة مع الحكومة الجزائرية إبان الاستعمار طبعا.

1-2- شواهد خاصة:

وتستخدم عادة عندما يتضمن الحجاج أمثلة وشروحا، فإنه يأتي بشواهد خاصة للإفادة منها في تبيين دعواه، من ذلك عند البشير الإبراهيمي ــ من بين النصوص المختارة على الأقل ــ أحدوثة " العاصمي " التي تطرق لها في أكثر من مقال، لعل أبرزها في (النص 12) وهي في شكل خطاب موجه لموظفي وعملاء الحكومة والتي توجههم كما تشاء في قوله:" ... ويدعي باسمها ــ كالعاصمي مثلا ــ وقالت له: ارمِ بهذا، فإنما خلقت لهذا، ورزقت من أجل هذا، ورفعت ذكرك لمثل هذا، وانتخبتك لتنفيذ هذا، وأوطأت الناس عقبك لتقوم بهذا... ارمِ دينك باسم دينك، واخدع أمتك باسم أمتك، واكذب على تاريخك باسمه (....) ولا تنس أن من نعمي عليك أنني أكتب وأنسب إليك...وكفاك فخرا أن وجودي من وجودك: وكفاني نجاحا أن كان للوظيفة لا لله سجودك، وكفاني بك ثقة بك أن صرحت بأن (مصلحتك من مصلحتي) "(المقال 12 ص 379 – 380)، فقد أراد أن يستدل بهذا على أن موظفي الحكومة هؤلاء كالآلة فاقدون لإرادتهم تماما، وإن زعموا أن لهم سلطة على الشعب، وما هم إلا مأمورون فيطبقوا بالحرف الواحد، فساق كل من كان من هذا الصنف تحت أحدوثة " العاصمي "، والمثال نفسه نجده في (النص 14) وذاك في قوله :" واسأل العرّافين: لو لم يكن العاصمي مفتيا، أو لو عزل عن الإفتاء، أكان يرى هذا الرأي؟ يقول كل عرّاف: لا، ويقول أيضا: إن العاصمي لا ينطق عن هواه وإنما ينطق عن وحي ساداته ومواليه" (المقال 14 ص 101).

وهناك نوع خاص من الشواهد الخاصة يسمى " المثال الافتراضي أو النظري "، وهو الذي يستخدم عندما لا تصلح الأمثلة الحقيقية، [1] ويستخدم عادة عندما تكون الأمثلة الواقعية غير متاحة، والمثل الافتراضي يوضح الحالة لدرجة قد يدرك فيها على أنّه مثال حقيقي.

وقد وظف البشير الإبراهيم ي في مقالاته هذا المثال الافتراضي كما في كلامه عن السياسة وتدني معناها لدرجة أنه لم تعد سوى رمز للخوف والقهر، وانتزع معناها الحقيقي، واستعمل في ذلك مثالا افتراضيا وهو " البعبع " ، نجد ذلك مع قوله في (النص 2): " ...إذا كان للسياسة معناها المعقول، ولكن السخافة كلها في هذا التبذل الذي أصبحت معه كلمة السياسة كلفظ " البعبع "، هذا يخوف به الصغار ولا حقيقة له، وتلك يخوف بها الكبار ولا معنى لها "(المقال 2 ص 60).

كما أن كاتب الحجاج يعي جيدا أثر الشواهد والأقيسة وضرب الأمثال في دعم دعواه، ويعبر عن ذلك في حالات غير قليلة من كتاباته، ففي " عيون البصائر " ومن بين النصوص المختارة نلحظ ذلك في عدة نصوص، كما في (النص 6) قوله:" وما أحمق من يقيس..." (المقال 6 ص 64)، وكذا القياس في (النص 22) لتبيين الفارق بين الأديان الثلاثة في المعاملة، وكذلك في النص نفسه عبارة " ومن ناقضنا في هذا جئناه بالدليل الذي لا ينقض...." (المقال 22 ص 187).

كما ساق عدة تدعيمات في سياق أسئلة استنكارية، غرضها إقناع المتلقي من خلال استوقافهعلى بعض الحقائق من خلال تلك الأسئلة، كما في (النص 2) قوله :" ولكن ما قولك ــ أيها الاستعمار ــ في تدخلك في ديننا، وابتلاعك لأوقافنا، واحتكارك للتصرف في وظائف ديننا، وتحكمك في شعائرنا، وتسلطك على قضائنا، وامتهانك للغتنا؟ ما قولك في كل ذلك، أهو من الدين أم من السياسة؟ وكيف تبيح لنفسك التدخل فيما لا يعنيك من شؤون ديننا، ثم تحرم علينا الدخول فيما يعنينا من شؤون دنيانا؟ " (المقال 2 ص 63)، فهو لا ينتظر إجابات مباشرة عن هذه الأسئلة العديدة، وإنما غرضه من ذلك لفت نظر

[1] – ينظر: محمد العبد النص والخطاب والاتصال، ص 209.

القارئ لعدة قضايا، واستفهامه عنها حتى يعمل فكره فيها، ويستعظم الأمر بدلا من مجرد ذكرها وقراءتها فقط، بحيث يصبح القارئ أو السامع يفكر في الحل وهو بذلك جزء من القضية بدل أن يكون مجرد قارئ.

كما نلمس الشيء نفسه في (النص 8) وذلك في قوله :" ومن يكون البادئ يا ترى؟ آلضَّعيف الأعزل، أم القوي المسلح؟ " (المقال 8 ص 335)، وهو يحمل القضية السابقة نفسها، من حيث طبيعة طرح هذه التساؤلات.

وأيضا في (النص 11) قوله :" ... ومن ورائها ستمائة تلميذ يطلبون السكنى ومن أمامها أصحاب أملاك يطلبون الملايين، ولكن أين الملايين؟ " (المقال 11 ص 313)، فهو في سياق كلامه يخاطب الأمة ويحملها مسؤولية الحاجة للمال للتعليم، وكأني به يخاطب ضمائرها ويوقظها بهذا التساؤل فعسى ولعلّ تجد من يستجيب لتلك الحاجيات.

وهذا كله ما يسمى بالتوجيه الاستفهامي، وهو ذو قيمة خطابية حجاجية؛ إذ يفترض السؤال شيئا تعلق به ذلك السؤال ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء، كما أن اللجوء إلى الاستفهام يهدف أحيانا إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته إن أجاب على ما يقتضيه السؤال.

أضف إلى هذا كذلك إفادته من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأشعار العرب وأمثالها وحِكمها؛ إذ ساق الكثير منها كتدعيم لقضيته ودعواه التي يدافع عنها أو يرجح الرأي فيها عن قضية أخرى.

وهو بتلك الصيغ يتجاوز مجرد التأثير في الجمهور إلى الاتحاد معه فكرة ووجدانا، ومن ذلك القوالب المكرورة (القوالب الجاهزة الشائعة)[1]، فالقوالب المكرورة تساعد على حدوث الوفاق بين الخطيب والجمهور، أو بين المحاجج ومن يخاطب، وشأنها شأن الحكمة وشأن الأمثال التي هي حكم قصيرة.

فمن القرآن الكريم إيراده لعدة آيات من بينها قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ الآية 58 القصص (المقال 17ص 349)،

---

[1] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، 209.

وقد سجلت الأحاديث النبوية الشريفة حضورا في بعض النصوص، كما في (النص 11) قوله : " لا طاعة لمخلوق في معصية الله " (المقال 11 ص 351)، ومثله في (النص 2) قوله :" الأعمال بخواتيمها " (المقال 2 ص 40)، ومن ضرب الأمثلة للتدعيم ما كان في (النص 2) " أهل مكة أدرى بشعابها " (المقال 2 ص 40)، وفي (النص 12) " عادت لعترها لميس " (المقال 12 380)، وجدير بالإشارة أن بعض القدماء التفتوا إلى علاقة المثل بالحجاج، ومنهم ابن وهب في مثل قوله :" المثل مقرون بالحجة " [1]، كما قدّم بيتا شعريا كتدعيم لما يقوله ويثبته، وذلك في (النص 16) والبيت هو:

إذا حال حول لم يكن في بيوتنا   من المال إلا ذكره وفضائله

وكذلك إيراده نسخة من مشروع قانون يخص المدارس الابتدائية والدينية الحرُة في الجزائر، لرئيس مجلس الوزراء (في النص 13 ص 236) وذلك للاستدلال على ما يقول وتدعيم دعواه.

2/- التدعيم بالقيمة:

القيمة " مفهوم يُستخرج مما يقوله الناس، ومما يفعلونه، ومما تبنيه المجادلات "، [2] وقد تذكر القيمة صراحة أو ضمنا، كما لا تظهر القيمة مفردة في المجادلات، وإنما تعمل في نظم متكاملة، [3] فهي تظهر عادة في شكل نظم؛ أي سلسلة من الدعاوى المترابطة، فالشيء الرئيس في المجادلات هو توافق القيم التي ترتبط مع بعضها البعض.

وهناك عدة ملامح للتدعيم بالقيمة فيما يتعلق بالخطاب الحجاجي العربي بصفة عامة، وسنعمل على استخلاص التدعيمات التي وظفها البشير الإبراهيمي في مقالاته.

أ- القيمة معيار للقول بالجودة أو الرداءة [4]، كما قد تضمن القيمة أو يصرح بها، ومن تضمين القيمة ما يكون عند تدعيم التعليل، وهذا وارد في أكثر من موقع في مقالات البشير الإبراهيمي، كقوله في (النص 7):" إن مَنْ لم يكن منكم عالما لن يخطئه أن يكون عاقلا،

---

[1] - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 146.

[2] - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 211.

3 - Richard D.Rieke, Malcolm.O.Sillars – argumentation and the Decision Making Process, John Wiley, Sons, Inc . USA-1975 P.77.

[4] - ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 211.

ومهما بلغتم المكانة عند أنفسكم، أو بلغ بكم الحظ عند غيركم، فلن تستغنوا عن وعظ واعظ.... ولعلكم تعلمون ما ورد في من أمّ قوما وهم له كارهون، وعلى الائتمان به مكرهون " (المقال 7 ص 186 – 187)، يعتمد الكاتب هنا على قيمة صدق ووفاء النائب / المواطن لوطنه ومواطنيه، شرفا ورجولة في الاستحقاق للمنصب، وصدقا في العمل والفعل، وعادة ما يُعوّل الكاتب أو المحاجج في مثل هذه التدعيمات في تعيين القيمة المضمنة على قدرة المخاطَب، وذلك من خلال سياق الخطاب الحجاجي.

ومن التصريح بالقيمة قوله في (النص 2):" يا حضرة الاستعمار إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهيم حقائقه، وإحياء آدابه وتاريخه، وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافها إلى أهلها....فإذا كانت هذه الأعمال تعد – في فهمك ونظرك – سياسة، فنحن سياسيون في العلانية لا في السر، وبالصراحة لا بالجمجمة، إننا نعد هذا كله دينا على الحقيقة لا التوسع والتخيل، ونعده من واجبات الإسلام التي لا نخرج من عهدتها إلّا بأدائها على وجهها الصحيح الكامل "(المقال2 ص 62)، فالقيمة المصرح بها هنا هي اهتمام جمعية العلماء المسلمين بأمر المسلمين وأمور دينهم، وإن كان هذا من السياسة فإن جمعية العلماء تمارس السياسة، وهي القيمة المصرح بها في تدعيم دعواه بأن السياسة واجب وطني وديني.

ب– للقيمة نوعان: تحدد النظرية الحجاجية المعاصرة نمطين اثنين للقيمة، القيمة الوسيلة والقيمة الغاية، فالأولى تضع إفادة عمّا هو ذو قيمة، والأخرى توجه الناس إلى الوضع الذي يتغيّاه المتكلم.[1]

والقيمة الغاية أكثر تأثيرا في تحقيق الموالاة التي تجعل من المتلقي يغير سلوكه، كما أنها تؤدي دورا كبيرا في التنبؤ بالحدث، وخطاب الحجاج العربي يميل إلى القيمة الغاية ميلا أقوى، وهذا واضح من خلال عينات الدراسة.

فنلمس القيمة الوسيلة كما جاء في (النص 4) من قوله :" أتمثله محمدي الشمائل، غير صخّاب ولا غيّاب، ولا مغتاب ولا سباب، عفّا عن محارم الخلق ومحارم الخالق، مقصور

1 -.Rieke, Sillars. Op.cit.p.161.

اللسان إلا عن دعوة إلى الحق، أو صرخة في وجه الباطل، متجاوزا عما يكره من إخوانه، لا تنطوي أحناؤه عن بغض ولا ضغينة " (المقال 4 ص 511)، فالقيمة الوسيلة هنا هي الإفادة عن قيمة الشباب الجزائري الخلوق، الذي يتحلى بأخلاق الدين، ومقتديا بنبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

أما القيمة الغاية في مثل قوله في (النص 21):" والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت " (المقال 21 ص 283)، فالقيمة الغاية هنا تتمثل في توجيه الكاتب إلى ما تريده الأمة من التعليم العربي، وهو مسايرة العصر ونظامه، وهو غاية تبتغيها الأمة.

ج – يعتمد خطاب الحجاج العربي في تدعيم التبرير اعتمادا جوهريا على القيم التي يكون تمسك الناس بها قويا، والتي تتسم بالشمولية بسبب موالاة كثير من الناس لها [1]، ك " قيمة التغيير " مثلا أو " قيمة الحب " أو ما إلى ذلك.

كما أن القوة والشمولية من العوامل المساعدة على تعيين القيم السائدة في أي حضارة أو مجتمع، وفي الخطاب الحجاجي العربي " نرى عاملا آخر مهمّا، هو منزلة الأشخاص الذين يدعمون هذه القيمة أو تلك "[2].

فهناك إقناع مع شيء من الارتياح والموالاة، وذلك لقيمة الشخص القائل، والبشير الإبراهيمي ذا مكانة رائدة فشخصه يلقى الاحترام من الكثيرين، وبالتالي ما يذهب إليه شخص البشير الإبراهيمي لا يتعارض ومطالب الناس، دونما تعارض في المصالح أو استغلال ذلك لغرض مصالح شخصية، نلمس ذلك في قوله في (النص 11) : " أيها الآباء ـ وكلنا آباء ـ إن جمعية العلماء هي الهيئة الوحيدة التي تحضن حركة التعليم العربي في داخل القطر.....وإن من أداء الأمانة أن نتقدم بهذه الحقائق إلى الأمة، كما تقدمت بالنصائح السالفة إلى التلامذة " (المقال 11 ص 317).

---

[1] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 212 ، 213.

[2] – المرجع نفسه، ص 213.

3/- التدعيم بالمصداقية:

المصداقية عامل مهم في الحجاج وهناك نوعان للمصداقية:

النوع الأول: المصداقية المباشرة:

وهي أن يلجأ المتحدث أو الكاتب إلى أقوال وإفادات عن نفسه، قصد زيادة قابليته للتصديق، وقلما يلجأ إليها المتحدث أو الكاتب وإنما يصرف جل همه في المقام الأول إلى التماس العلل المقنعة للمتلقين[1]، ومثال ذلك ما ذهب إليه البشير الإبراهيمي في مقالاته، ما ورد في (النص 22) قوله :" لا يجد الباحث عناء في العثور على ما قلناه من تمكّن النزعة الصليبية في هؤلاء القوم...." (المقال 22 ص 178).

النوع الثاني: المصداقية الثانوية (غير المباشرة):

وهي التي تكون بربط مصداقية شخص آخر بالحجاج، أي أن يعتمد الكاتب أو المتحدث عن مصداقية شخص آخر ووزن شخصيته في تدعيم خطابه الحجاجي [2]، ومصداقية الآخر – الثانوية – جلها من أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو أقوال حكماء، وقد ورد ذلك كثيرا في نصوص الدراسة من ذلك ما ورد في (النص 2) قوله :" ... ولما بليت السرائر تبين أن سياسيينا كلهم يتسابقون إلى غاية واحدة، هي كراسي النيابات وما يتبعها من الألقاب والمرتبات، وإذا كل شيء مبدؤه السياسة فنهايته التجارة، والأعمال بخواتيمها "(المقال 2 ص 60 ، 61).

كما أنه مما يؤثر في مصداقية الخطاب ما يعرفه المتلقي عن مصدر ذلك الخطاب وعن شخص قائله، إذ يميل الناس أكثر إلى من يرونه أكفأ وأأْمَنَ، والبشير الإبراهيمي الكل يدرك إدراكا تاما أنه ذا ثقافة إسلامية محضة كما أنه معروف بمواقفه الوطنية، هذا مما يعزز ويدعم خطابه إذ أن الأمر يلقى قبولا وارتياحا كبيرا من طرف المتلقين، ولا أدل على ذلك من التفاف الناس حوله وحول جمعية العلماء المسلمين، وما حققته من نتائج، خاصة في بدء المسيرة؛ إذ كان المعوّل عليه في طرق الفكرة ونشرها هو شخصية مؤسسيها وعلى رأسهم البشير الإبراهيمي.

1- Rieke, Sillars. Op.cit.p.154.

2 – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 213.

في ضوء خلاصة بحث المصداقية في النظرية الحجاجية المعاصرة التي قدمها " ريك " و" وسيلارز " في أربعة عشر مسألة، يمكن أن نستنبط من مدونة الدراسة ما يلي:

1/- سمعة صاحب المقالات البشير الإبراهيمي مناسبة تماما لخطابه الحجاجي، سواء فيما تعلق بالشق الديني من القضية، أو الوطني ومحاربة الاستعمار وأعوانه، وأنه ــ زيادة عن الاختصاص ــ من عائلة عريقة ولها مكانتها في المجتمع الجزائري، وهذا له وقعه الإيجابي على قابلية المتلقي.

2/- صاحب المقالات رجل، ويذهب البعض إلى أن قابلية تصديق الرجل أكثر من قابلية تصديق النساء، طبعا يستثنى من ذلك أن تكون المرأة ذات جاذبية جسديا وعقليا، وقابلية الرجال أكثر خاصة في مثل هذه الكتابات الإصلاحية التي تعتمد على قوة الشخص والشخصية، لأنها دفاع عن مبادئ وثبات عليها في وجه محاربيها أو الغافلين عنها.

3/- يتمتع صاحب تلك المقالات ــ البشير الإبراهيمي ــ بكفاءة حجاجية عالية في صناعة الحجج وطرح دعواه، وبأمانة كبيرة في عرض موضوع الحجاج.

4/- للإفادة التي يقدمها البشير الإبراهيمي عن نفسه أثر كبير في زيادة قابلية طرحه وتصديقه ــ المصداقية المباشرة ــ.

5/- يمكن لقارئ مقالات البشير الإبراهيمي الإصلاحية أن يحكم على سلامة نية صاحبها، والداعم في ذلك نسيج المقالات اللغوي وسياقاتها التاريخية والحضارية، إذ تلمس أن الغاية عنده هي تعيين الحقيقة أكثر من إحراز نصر على خصم أو معارضته.

6/- " مصادر التدليل الأقوى تزيد من المصداقية "، [1] نرى ذلك مثلا في المقارنة بين النص القرآني والمثل، أو بين حديث نبوي وقول أحد الحكماء.

7/- " جودة تنظيم الخطاب تزيد من المصداقية "، [2] وهذه السمة حاضرة بشكل ملفت في مقالات البشير الإبراهيمي من تنظيم للخطاب الحجاجي، والبناء الشكلي للنص الحجاجي وتماشيه مع البناء العام والأشيع للنص الحجاجي العربي، الأمر الذي يكفل إثبات ذلك.

---

[1] - المرجع السابق، ص 216.

[2] - المرجع السابق، ص ن.

8/- يبدو أن العناية اللفظية في صياغة وصناعة الهيكل لم تؤد به ـ أي الإبراهيمي ـ إلى إغفال فلسفة المعنى في عملية المبنى، من ثمّ جاءت العبارات متدفقة، في هيئة صرخات عالية متعاقبة خالية من التكلف أو التأنق في نظام السبك، وهذا ـ فيما يرى البعض ـ يزيد من مصداقية الكاتب.

9/- كما بنيت لغة النص على شاكلة غير متعنتة، الأمر الذي يظهر عدم تعنت الكاتب لرأيه وإجبار غيره على قبوله، وإنما أقام رأيه على أساس من الحجة والدليل، وهذا ما يزيد من مصداقية وحركية خطابه الحجاجي.

المبحث الثاني: السُلميّات الحجاجية في المقالات

لقد حضيت مسألة المراتب أو المدارج باهتمام كبير، باعتبارها ظاهرة لغوية طبيعية واتخذت صيغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة، ويتمثل ذلك خاصة في انتماء بعض الخطابات إلى سلمية معينة مستقرة في كفاءة المرسل التداولية، ويرجع ذلك لكونها تشتمل على بعض العلاقات التي تحكم منطقية تراتبها وكذا السياقات التي يمكن أن ترد فيها.

وسنعمل في هذا الإطار على تبين مفهوم وأسس نظرية السلالم الحجاجية، ثم نعرج على دراستها في ظل مقالات الدراسة، وكذا التطرق في آخر المطاف القوانين الثلاثة لهذه النظرية الثلاثة وتطبيقها ــ طبعا ــ على مدونة الدراسة.

1/- المفهوم والأسس العامة لنظرية السلالم الحجاجية:

تقوم نظرية المراتب الموجهة توجها قصديا على أن الوحدات التي هي الأصل في الخطاب الطبيعي ليست هي المفردات كما اشتهر، " وإنما هي وحدات حوارية حجاجية تتمثل في المركبات التي هي الأقوال ".[1]

وتظهر حجاجية " القول " في كونه يسد مسد دليل ــ أو ملزوم ــ معين، له مدلول ــ أو لازم ــ يفهم من السياق، مدلول يقصد المتكلم مطالبة المخاطَب التصديق به والانتهاض للعمل على وِفقِهِ، أي يقصد " إلزامه " و " التزامه " به معا.[2]

وبالإمكان أن نعرِّف " السلم الحجاجي " كما يلي:

السلم الحجاجي هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزودة بعلاقة ترتيبية ومُوَفِّية بالشرطين التاليين:

أ – كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

---

[1] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 275.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 275، 276.

ب – كل قول كان في السلم دليل على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.[1]

ويمكن أن نبين ذلك من خلال المثال الآتي:

- أكرم علي أخاه.
- أكرم علي صديقه.
- أكرم علي عدوه.

المدلول هو : علي من أنبل الناس خلقا.

ونبين ذلك بالرسم الآتي:

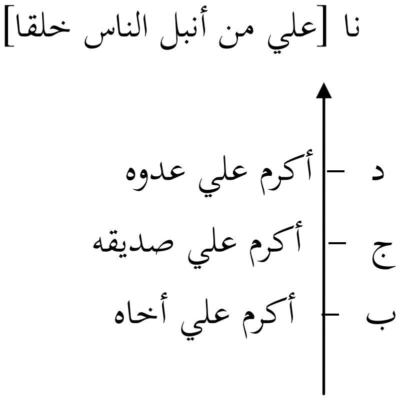

حيث (ب) و (د) و(ج) ترمز إلى الأدلة و (نا) ترمز إلى المدلول منها فحينئذ القول (د) يلزم عنه القول (ج)، الذي يلزم عنه بدوره القول (ب)، كما أن (د) أقوى إثباتا للمدلول (نا) من (ج)، والذي هو بدوره أقوى إثباتا لهذا المدلول من (ب).

ونحن هنا لن نتولى تقويم الآراء المختلفة حول وظائف المراتب في الخطاب، ولا تحديد وجوه أخذ بعضها من بعض ونقد بعضها من بعض، ولا وجوه التماثل فيها والتباين، وحسبنا أن نشير إلى أن تصور المراتب يتخذ عند الباحثين أشكالا ثلاثة وهي:[2]

أ – المراتب المتضادة: فقد تكون الألفاظ دالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين، مثال ذلك: جملة الألفاظ المرتبة الآتية:(الرمضاء، الحر، الدفء، الفتور،

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 277.

[2] – راجع تفصيل ذلك: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص (274 – 276).

البرد، القرس)، فطرفي هذا الترتيب لفظتي (الرمضاء – والقرس) بمنزلة أعلى وأسفل، وبقية الألفاظ مرتبة بينهما.

ب – المراتب الموجهة توجيها كميا: ويكون هذا في الألفاظ الدالة على معانٍ تقبل التدرج في اتجاه واحد، إما على مقتضى التزايد أو على مقتضى التناقض، ومثاله: أسماء معايير الوزن الآتية: (درهم، مثقال، أوقية، رطل)، هذا الترتيب على أساس الزيادة في الوزن، وإن عكس فهو على أساس النقصان في الوزن.

ج – المراتب الموجهة توجيها قصديا: قد لا تقتصر المراتب على الألفاظ وحدها بل قد تتعداه إلى الجمل، فيكون قصد المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها تلك الجملة، ومثاله القولين الآتيين: " شعر المتكلم بالملل " و " غلب على المتكلم النوم "، التفاوت في المرتبة، فمتى شعر بالملل الأولى أن يكون ذلك متى غلب عليه النوم، ولكن القصد هو: توقف المتكلم عن الكلام.

وهذا الصنف الأخير هو الذي سنشتغل عليه في هذا المقام لارتباطه بالجانب اللغوي أكثر من غيره، وارتباطه بمقصدية المتكلم إذ ينضوي تحته القصد التأثيري الحجاجي.

إن هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها، فالقيم وإن كانت تسلم بها سامعين عدة فإن درجة تسليمهم بها تكون مختلفة من جمهور إلى آخر، وهو ما يعني أن القيم درجات وليست كلها مرتبة واحدة، إن ما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما يميزه ترتيبه إيّاها،[1] كما تكمن أهمية نظرية السلالم الحجاجية أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للقول، وهذا يعني أن القيمة لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنها لا تخضع لشرط الصدق المنطقي، فهي ليست قيمة مضافة إلى البنية اللغوية بل مسجلة فيها، يتكهّن بها التنظيم الداخلي للغة.[2]

[1] – ينظر: عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج......، ص 310.

[2] – ينظر: شكري المبخوت، مرجع سابق، ص 370.

2/- السلالم الحجاجية في " عيون البصائر ":

تتجلى العلاقة المجازية بين الدعوى والحجة لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما، وهي بطبيعة الحال تتجسد من خلال الأدوات اللغوية، ليتجسد صلب الفعل الحجاجي في تدافع تلك الحجج والأهم منها تراتبها حسب قوتها طبعا، فما يثبت في الغالب غير الحجج التي تفرض نفسها على أنها الأقوى في السياق، وعليه فالمحاجج المخاطِب ــ وهنا البشير الإبراهيمي ــ يرتب الحجج المرسلة التي تتمتع بالقوة اللازمة حتى تدعم دعواه، وهذا الترتيب في السلم الحجاجي اللغوي هو مقصدنا بالدراسة في هذا المقام.

فما تذهب إليه هذه الدراسة هو الأساس الذي تقوم عليه نظرية السلالم الحجاجية، وهو ما تقتضيه هذه النظرية من تدرج بين الأقوال والحجج في علاقتها بالنتائج واستلزام بعضها للبعض.

فيختار المرسل حججه التي تنتسب إلى سلم واحد، بما يضمن له التدليل على قصده وعدم تناقضها؛ بل وليؤكد كل منها ما قيل قبلها، أو ليؤكد ما هو مضمر من درجات السلم لمدلول واحد، ولذلك فإن المرسل يبدأ بأدناها مرتبة، فيرتب المرسل حججه في سلَّمية واحدة.[1]

وقد انطلق تراتب الحجج في " عيون البصائر" من إقرار التلازم بين القول (الحجة ق والنتيجة ن)، ومعنى هذا التلازم هنا " هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية ".[2]

نلمس ذلك في (النص 16) قوله " وأقل ما يجب لنهضتنا التعليمية ــ إن كنا نريد النهوض جادين ــ أن تكون لهذه المرحلة التجهيزية منها ثلاثة معاهد: بقسنطينة والجزائر وتلمسان، تجهزها بالرجال، وتزودها بالمال، حتى يأوي كل واحد منها ألف تلميذ، ولو تكافأت جهود جمعية العلماء في هذا السبيل، وجهود الأمة، وتوافتْ على هدف واحد منه، لبرز هذا العمل الجليل في سنة واحدة من الزمن... مرت على المعهد سنتان نما فيهما وترعرع

---

[1] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 502.

[2] - ينظر: شكري المبخوت، مرجع سابق، ص 363.

أضعاف ما كان مقدرا لوليد سنتين مثله، في أمة كأمتنا، وظرف كهذا الظرف، فما هي الأسباب في هذا النمو السريع؟ " (المقال 16 ص 255).

يتمثل طرح القضية كحجة في هذا المثال على شكل استفهام، وأن نتيجته مضمرة، ليبقى على المتلقي اكتشافها أولا ثم يضيف لها الحجة، والتي لا تملك مصداقية أن تكون حجة إلا بعد أن تعرف النتيجة وتضاف إليها، وذلك بالشكل الآتي:

أ- ما هو السبب في زيادة عدد طلاب المعهد الباديسي بهذا الشكل؟

ب- ألا ترى أن جمعية العلماء المسلمين قد نجحت إلى حد كبير في بث الوعي وفي مشروعها الاصلاحي؟

النتيجة: هو دور جمعية العلماء المسلمين الرائد في الإصلاح التعليمي.

لأنه عادة ما يكون الاستفهام (ب) هو المحدد لوجهة المحاجج، وحجة لفائدة نتيجة ضمنية، وهذا يتعلق بجانب من المقصدية.

ومثله عند قوله في (النص 11) " وهذا عدد يناهز مائتين وستين معلما وزعتهم الجمعية على المدارس وعلى المعهد وكلهم جنود منقطعون للعلم، يأتمرون بأوامر الجمعية، وتسعة أعشارهم فارقوا أهليهم وتغرّبوا، ليقوموا بالواجب ويؤدّوا الأمانة وينفعوا الأمة في أجدى الجهات عليها وهي أبناؤها الصغار، ويتحملوا التعب وضيق العيش.... وقد أصبحت المرتبات المقررة في الماضي لا تكفي لنصف الضروريات. فهل تقدّر الأمة أن المعلم ملك لا يأكل ولا يشرب؟! " (المقال 11 ص 314).

لابد من تبيين الحجة في هذا القول النتيجة المعبر عنها، من خلال علاقة التلازم بينهما خاصة وأن النتيجة في هذا المثال ظاهرة ولم تكن مضمرة كما في المثال السابق، ونسوقه على الشكل الآتي:

أ- هل تقدّر الأمة أن المعلم ملك لا يأكل ولا يشرب ؟

ب- ألا ترى أن الأمة تتنصل من واجبها تجاه المعلمين ؟

ج- ألم تر كيف بذلت جمعية العلماء الجهد كل الجهد لتوفير الظرف الملائم للمعلم ؟

كان هذا في سياق كلامه للأمة عن واجبها في المساهمة المالية، فيما يتعلق بمستحقات التعليم والمعلمين، وليس المقصود هنا القول الظاهر، وإنما قصده أن على الأمة أن تدرك بأن للمعلم حقّا في أخذ أجرة من الجمعية مقابل تعليمه، حتى وإن كان يخدم وطنه وفي مثل هذا الظرف الاستعماري.

وعليه فالنتيجة: تقدير جمعية العلماء دور المعلم وحقه في أخذ مقابل للجهد المبذول في التعليم.

فالنتيجة هنا مصرح بها، كما أن هناك تلازم تام بين الحجة (ج) والنتيجة المصرح بها، كما أن القضيتين (أ) و(ب) تعتبران حجج في دعم سياق النتيجة، إلّا أنه عادة ما تكون الحجة الأخيرة وهي الاستفهام هو المحدد لوجهة المحاجج ومقصديته.

غير أنه في العلاقة الرابطة بين القول والنتيجة سمات أساسية مميزة؛ إذ أن الملفوظات التي يمكن أن تمثل حججا تدعم نتيجة واحدة تتفاوت من حيث قوتها، لو نفترض الصفات الآتية للماء: بارد، صقيع، قارس مكونة لجمل هي:

الماء بارد

الماء صقيع

الماء قارس

وأنها – فرضا – تخدم نتيجة هي : السباحة في مسبح مغطى بدلا من الذهاب إلى البحر.

فالحجة (ق 3) هنا أقوى في السلم الحجاجي بالنسبة لتلك النتيجة أكثر من الحجة (ق1) و(ق2)، والأهم من ذلك كله أن هذه الحجج تترتب ولكن لا يمكن أن تتساوى، " ومأتى هذا الترتيب هو أن الظواهر الحجاجية تتطلب دوما وجود طرف آخر تقيم معه علاقة استلزام "[1]، فالماء بما أنه صقيع يستلزم كونه بارد منطقيا.

ولا يقف الأمر عند حد المفاضلة اللغوية أو الاستلزامات شبه المنطقية، إذ يمكن إدراج كثير من أدوات الحجاج وآلياته ضمنه، ليصبح إطارا عاما لتفاضل الحجج، بل وتغليب

---

[1] – شكري المبخوت، مرجع سابق، ص 364.

بعضها على البعض الآخر، انطلاقا من المخزون اللغوي ونظامه والمفارقات الكامنة في ذهن كل مخاطِب، وذلك حسب تفعيله لكفاءته التداولية[1].

كذلك عند التركيز على مبدإ التدرج في توجيه الحجج، يتبيّن أن الحجاج اللغوي لا يرتبط بالمحتوى وإحالته على مرجع محدد؛ بل هو خاضع للقوة والضعف الذي ينفي عنه الخضوع لمنطق الصدق والكذب، كما تجدر الإشارة إلى أن عملية تدرج الحجج تتسم بالخصوصية والذاتية، أي لكل فرد بناؤه السلمي الخاص.

ومن ثمّ كان لا بد أن نعرف أن ترتيب الحجج لا يأتي على شاكلة واحدة يمكن اعتمادها دون غيرها، وإنما هناك عدة مفاهيم أساسية متعلقة بنظرية السلالم الحجاجية بصفة عامة لا بد من مراعاتها وأخذها في عين الاعتبار، منها ما استعمله البشير الإبراهيمي في مقالاته وقد اختلف الأمر من مقال لآخر، وذلك حسب طبيعة الموضوع، نورد منها ثلاثة نقاط أساسية فيما يأتي:

1/- أنه قد يقدم المتكلم حجتين أو أكثر في تدعيم نتيجة واحدة دون اعتبار للترتيب[2]، ونلمس ذلك في نصوص الدراسة عند (النص 3) في قوله:" وقال التاريخ: إن العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولة قائمة، ولا ثلُّوا لهم عرشا مرفوعا، وإنما انتزعوها من الرومان، فهم أحق بها من كل إنسان.... إنّ فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلائل من العرب، استقر فيها العرب أكثر مما استقر فيها اليهود، وتمكَّن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية...." (المقال 3 ص437).

لدينا في المثال السابق خمسة حجج أو قضايا تخدم نتيجة واحدة كالآتي:

ق : فلسطين قطعة من جزيرة العرب.

قَ : موطن عريق لسلائل من العرب.

قً : استقر فيها العرب أكثر مما استقر فيها اليهود.

قً : تمكن وغلبة الإسلام والقرآن أكثر من اليهودية والتوراة.

---

1 – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 504.

2 – ينظر: شكري المبخوت، مرجع سابق، ص 365.

قً : سادت فيها العربية أكثر مما سادت فيها العبرية.

النتيجة (ن) هي: فلسطين أرض عربية.

ونجمل كل تلك الحجج والنتيجة ونمثل لها بالشكل الآتي:

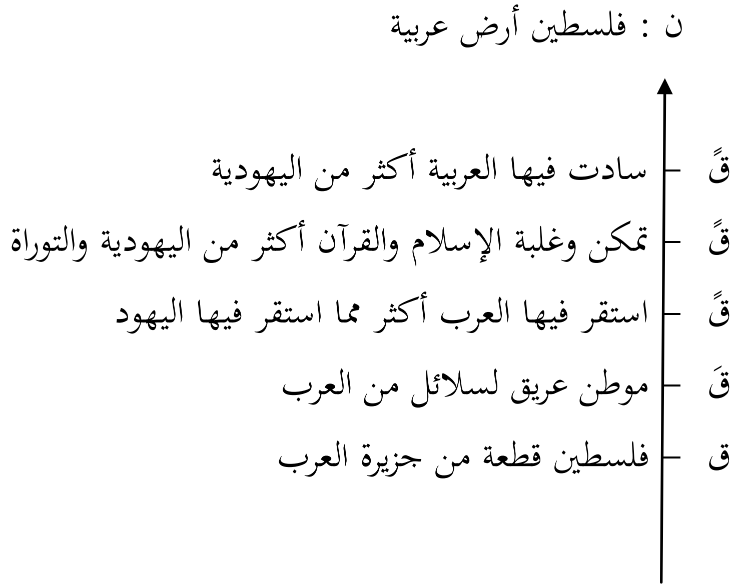

فـ (ق)، (قَ)، (قً)، (قً)، (قً)، كلها حجج تخدم النتيجة (ن)، دون اعتبار لترتيبها، وتعتبر كلها أقوال منتمية لقسم حجاجي واحد يحدد القول (ن).

فكل الحجج تدعم النتيجة في أن فلسطين أرض عربية، وكل واحدة تضيف تدعيم أكبر للأخريات أي أن (ق) مع (قَ) بالنسبة للنتيجة (ن) أفضل من (ق) لوحدها أو (قَ) لوحدها، وأفضل من أي قضية أخرى من الثلاث الباقية لوحدها، وكلما زيدت قضية في دعم النتيجة (ن) كان الأمر أفضل، فأفضلها إيراد القضايا الخمسة معا كما فعل البشير الإبراهيمي، لأنها تفيد في تدعيم دعواه أكثر، ثم أن ترتيب هذه القضايا لا يهم؛ إذ يمكن لكل منها أخذ مكان الأخرى مع بقاء نفس القيمة التدعيمية المقدمة تجاه النتيجة.

2/- أن يقدم المتكلم حجتين أو أكثر لتدعيم نتيجة ما مع اعتبار الترتيب، حسب القيمة طبعا، ومثاله عموما ما يكون على الشكل الآتي:

زيد ذكي فقد نجح في الباكالوريا بامتياز بل تحصل على جائزة رئيس الجمهورية.

فالقول الأول (قَ) أقوى من القول الثاني (ق) بالنسبة للنتيجة (ن)، وأن استخلاص (ن) من (ق) يستلزم استخلاص (ن) من (قَ) والعكس غير صحيح، وعلاقة الترتيب هذه تُكوّن سلما حجاجيا، على اعتبار الحجتين ليستا من نفس القوة بالتالي لا يأخذان نفس الترتيب.

ويمثل له – في العادة – بالرسم الآتي:

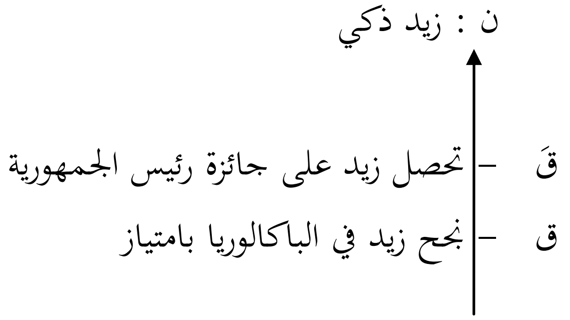

ف (قَ) أقوى من (ق) بالنسبة لخدمة النتيجة (ن).

وأمثلته في نصوص الدراسة كثيرة، نورد منها ما جاء في (النص 19) قوله:

" والدين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر: مظلوم من أهله، إذ لم يدافعوا عنه، ولم يأخذوا له بحقه من ظالمه، ومظلوم من هذه الحكومة ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة، لا بما يوحيه الحق والعدل، وظلم ذوي القربى أشد مضاضة، وأشنع غضاضة...". (المقال 19 ص 138).

لدينا في هذا المثال قولين اثنين في خدمة نتيجة واحده كالآتي:

ق : الإسلام مظلوم من طرف حكومة الاستعمار

قَ : الإسلام مظلوم من أهله بعدم الدفاع عنه

النتيجة (ن): الإسلام دين مظلوم

نرى أن القول الأول (قَ) وهو أن الإسلام مظلوم من طرف أبنائه وأهله أقوى في خدمة النتيجة (ن) بأن الإسلام دين مظلوم، من القول (ق) بأن الدين الإسلامي قد

ظلمه أعداؤه، والقول بظلم الإسلام من طرف أهله يستلزم منطقيا وتلقائيا بأنه ظلم من عدوه، بل الأولى أن يكون مظلوما من عدوه، والعكس غير صحيح، فكون الإسلام مظلوما من عدوه لا يستلزم أن يكون مظلوما من أهله بل أن ينصر بأهله، وعليه فإيراد هذه الأقوال يقتضي الترتيب ولا يمكن لأي منها أن يأخذ مكان الأخرى.

ونمثله في الرسم الآتي:

ن : الإسلام هو الدين المظلوم

قَ – الإسلام مظلوم من أهله بعدم الدفاع عنه

ق – الإسلام مظلوم من أعدائه

فـ (قَ) أقوى من (ق) بالنسبة لخدمة النتيجة (ن).

3/– أن ترتيب الحجج في سلم حجاجي واحد بالنسبة إلى بعض الأبنية من قبيل (ق لكن قَ) لا يقتضي انتماء الحجج إلى قسم حجاجي واحد [1]، ومثاله من نصوص الدراسة ما ورد في (النص 14) قوله في المفتيين العاصميين: " وكلاهما موظف مأجور، أقل ما يقال فيه إنه متهم؛ ولو كان المفتيان اللذان سلما المساجد والأوقاف إلى الحكومة مسلمين يخافان الله ويرجوان لقاءه لما أقدما على ذلك، ولآثرا الموت شنقا على ارتكاب ما ارتكباه وأقل ما كان ينتظره الإسلام منهما – إن أكرها على ذلك – أن يسلّما الوظيفة لا المساجد، ولكنهما كانا أحرص على الوظيفة منهما على دينهما" (المقال 14 ص 102).

يحتوي القول السابق على قضيتين تجاه نتيجة واحة، الأولى تدعم النتيجة (ن)، والثانية تخدم الاتجاه المقابل للنتيجة (ن)، أي (لا – ن).

[1] – ينظر: شكري المبخوت، مرجع سابق، ص 366.

فهو على الشاكلة الآتية:

أرى أنهما موظفين في الحكومة وسيعملان على تحرير المساجد من سلطة الحكومة، ولكنهما آثرا الوظيفة على خدمة دينهما.

ق : أنهما مقربان من السلطة ولهما تأثير في مسؤوليها.

قَ : أنهما أحرص على الوظيفة منها على دينهما.

نلاحظ أن (ق) ينتمي إلى قسم حجاجي تحدُده النتيجة (ن)، ولكن (قَ) ينتمي إلى قسم حجاجي تحدده النتيجة (لا — ن)، أي أن للحجتين وجهتين متقابلتين، فـ " مقربان من السلطة " تدعم النتيجة (سيحرران المساجد من وصاية الحكومة)، أما " أنهما آثرا الوظيفة " فتدعم النتيجة (لن يحررا المساجد).

3/- قوانين الترتيب الحجاجي في " عيون البصائر ":

3 - 1/- قانون تبديل السلم: ومقتضى هذا القانون " أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله " [1]، ولكن قوة النفي تترتب ترتيبا عكسيا؛ إذ إن نفي ما يقع في أدنى السلم، هو نفي أقوى لمدلول الخطاب.

أي إذا كان هناك قول (أ) مستخدما من طرف متكلم ما، ليخدم أو يدعم نتيجة معينة، فإن نفي القول (~ أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، وبعبارة أخرى إذا كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة (ن)، فإن (~ أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة (لا — ن)[2]، والرمز (~) يعني نفي.

ويمكن أن نمثل له بالمثالين التاليين:

زيد مجتهد لقد نجح في الامتحان.

زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فقبول الحجاج في المثال الأول ينجم عنه واجب قبول الحجاج في المثال الثاني.

---

[1] - ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 278.

[2] - ينظر: أبو بكر العزاوي، ص 27، 28.

ونلمس ذلك في (النص 1) من نصوص الدراسة وذلك في قوله:" ومهما يكن نجاح الاستعمار في هذا الباب فما هو بالنجاح الذي يشرف فرنسا، أو يمجد تاريخها... لبثْ عوامل الاستعمار تهدم من هيكل الإسلام ولا تبني، وترمي المقومات الإسلامية والخصائص العربية في كل يوم بفاقرة من المسخ، إلى أن تكونت جمعية العلماء المسلمين.... ولو أن الاستعمار كان فقيها في سنن الله في الأمم والطبائع لأنصف الأمم من نفسه فاستراح وأراح، ولعلم أن عين المظلوم كعين الاستعمار، كلتاهما يقظة " (المقال 1 ص 47).

نستخلص منه ما يأتي:

نجاح الاستعمار في إضعاف الكثير من مقومات الأمة.

فشل الاستعمار في الجزائر، فقد عجز عن طمس الهوية ومقومات الوطنية من لغة ودين.

فقبول القول الأول في (أ) من أن الاستعمار قد نجح، بناء على النتيجة (ن) المعطاة وهي تمكنه من إضعاف بعض مقومات الأمة ولو بنسبة معينة، يقتضي منا القبول بالقول الثاني في (ب) من أن الاستعمار لم ينجح في الجزائر، لأنه في خدمة نتيجة هي(لا — ن) بالنسبة للنتيجة الأولى وهي – أي (لا – ن) –: عدم تمكن الاستعمار من طمس الهوية الوطنية ومقوماتها من دين ولغة.

كما هو الأمر في المثال السابق فإن الدليل الأقوى يتحول في حالة النفي إلى دليل أضعف والعكس صحيح؛ إذ يتجلى الاعتراض برفض المعترض ادعاءات المدعي بتبديل قانون السلم الحجاجي.

3 – 2/– قانون القلب: يرتبط هذا القانون بالنفي، ومقتضاه " أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"[1]؛ بمعنى " أن نفي أي درجة أو دليل في السلّم، لا يستلزم نفي ما يقع في المرتبة التي تدنوه " [2]، وهذا مفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية.

---

[1] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 278.

[2] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 504.

يمكن أن نمثل له بالمثال التالي:

حصل زيد على الماجستير(أ)، بل حصل على الدكتوراه (أ1).

لم يحصل زيد على الدكتوراه(~ أ1)، بل لم يحصل على الماجستير(~ أ).

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، وعدم حصوله على الماجستير هو حجة أقوى على عدم الكفاءة من عدم حصوله على الدكتوراه.

وفي نصوص الدراسة نلمس مثل ذلك في (النص 7) قوله :" اسمحوا لنا حين سميناكم أعضاء ولم نسمكم نوابا، فإننا ممن لا يكذب على الحقيقة، وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرّعتم بها إلى هذا المنصب، يستحي أن يسميكم نوابا بمعنى النيابة الذي يعرفه الناس، وإنما أنتم أعضاء تألف منها هيكل غير متجانس الأجزاء.... النيابة وكالة عن جمهور، والشرط في الموكل أن يكون حرا مختارا مطلق التصرف، ولا أجرح عواطفكم بذكر شروط الوكيل....إن لكل عيب سترا يغطيه، وقد سترتم بكلمة مستقل فما زاد العيب إلا افتضاحا، لأن هذه الكلمة وضعت في غير محلها" (المقال 7 ص 185).

ونستخلص منه ما يأتي:

يمثل النواب أنفسهم (أ)، بل يمثلون بعضا من الشعب (أ1).

لا يمثل النواب الشعب (~ أ1)، بل لا يمثلوا أنفسهم حتى (~ أ).

فتمثيل النواب للشعب أو لبعضه أقوى دليل على أنه يعد نائبا أكثر من تمثيله لنفسه، وعدم تمثيله لنفسه أقوى دليل وأكبر حجة على أنه لا يستحق أن يكون نائبا من حجة عدم تمثيله للشعب.

ويمكن أن نمثل له بالشكلين التاليين:

ف (أ1) أقوى من (أ) بالنسبة إلى (ن)، و (~ أ) أقوى من (~ أ 1) بالنسبة إلى (لا – ن).

3 – 3/– قانون الخفض : ومقتضاه " إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها ".[1]

ويمكن أن نمثل له بالمثالين التاليين:

الجو ليس باردا.

لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل.

في المثال الأول نعمل على استبعاد التأويلات التي ترى أن البرد قارس أو شديد، أما في المثال الثاني استبعاد فكرة أن الأصدقاء كلهم حضر إلى الحفل، أي يؤولا على الشكل التالي:

إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.

لم يحضر إلاّ القليل منهم إلى الحفل.

وفي نصوص الدراسة نلمس ذلك في (النص 11) قوله :" أليس من المبكيات ألا ينجح في شهادة التحصيل من جامع الزيتونة إلا ستة أو سبعة من ألف تلميذ وبضع مئات من أبنائنا؟ وما السبب؟... أيها الآباء – وكلنا آباء – إن جمعية العلماء هي الهيئة الوحيدة التي تحضن حركة التعليم العربي في داخل القطر،... وجمعية العلماء تعتقد أنه لا يتم إصلاح التعليم في الداخل إلا إذا تمّ في الخارج لشدة الاتصال بينهما، ولأن التعليم في الخارج هو الذي يغذّي التعليم الداخلي بالمعلمين،... إن جمعية العلماء مصممة أن تحوط التعليم في الخارج برقابة تمدّها على التلامذة، ونصائح تشتد فيها.." (المقال 11ص 317، 318).

نستخلص منه الآتي:

1- الجمعية لم تقصر في حق الطلاب في الزيتونة بالإعانة أو النصح.

2- لم ينجح سوى ستة أو سبعة من تلامذة الجزائر في الزيتونة من الألف.

---

[1] – طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 277.

ففي المثال الأول نعمل على استبعاد التأويلات التي تصب في فكرة عدم قيام الجمعية بدورها تجاه الطلبة في الخارج، خاصة في الزيتونة، أما في المثال الثاني فهو استبعاد فكرة نجاح كل طلبة الجزائر في الزيتونة أو أكثرهم، وعليه يمكن تأويلهما على الصياغة الآتية:

إذا كانت الجمعية لم تقصر، فإنها قد وفرت للطلاب في الخارج كافة مستحقاتهم.

لم ينجح كل تلامذة الجزائر في الزيتونة أو أكثرهم، وإنّما قلة هم الذين نجحوا.

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فيزيائية[1]، هذا لأن الأقوال الإثباتية من قبيل (الجمعية وفرت للطلاب بالخارج)، لا تندرج في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي مع الأقوال المنفية من قبيل (الجمعية لم توفر).

ومع ذلك تبقى الصياغة التقريبية لهذا القانون فاعلة وهي: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

[1] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 30.

المبحث الثالث: الروابط والعوامل الحجاجية في المقالات

كان من نتائج التواصل الحاصل بين اللغة العربية مع العديد من اللغات، أن أخذت من تلك اللغات الشيء الكثير، وكان للروابط نصيبها الوافر من هذا التأثير، فقد اقتبس كثير من أدباء اللغة العربية المحدثين أنماطا متنوعة من أدوات الربط التي أخذت موقعها في اللغة العربية كروابط جديدة؛ بل وأصبحت جزء لا يتجزأ من النظام اللغوي الذي تحوزه هذه اللغة.

ليس معنى هذا أن تلك الروابط الجديدة دخلت إلى اللغة العربية بألفاظها الأعجمية، بل منها ما كان ترجمة حرفية، ومنها ما تم تركيبه من لفظين أو أكثر ليؤدي وظيفة في الربط لم يكن يؤديها أيٌّ منها مفردا، ومنها ما خرج عن أصل وضعه في الاستعمال إلى وضع آخر جديد، وشاع استعماله رابطا بمعنى جديد، وهكذا استعملت سلسلة الروابط وأصبح لها ذلك الأداء الفعّال جراء مرونة اللغة وما تتصف به من حيوية واستجابة.[1]

1/- مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية:

عن الروابط في اللغة ذهبت معظم المعاجم العربية — قديمها وحديثها — إلى معان لهذا الجذر " ربط "، والتي دارت معانيها حول عدة معان أساسية هي:الشدّ، الثبات، التوثيق، العلاقة، الشجاعة، الجماعة.... وبالكاد تدور كلها حول معنيين أساسيين: الشدّ والثبات.

أما في الاصطلاح لعلّ أدقّها وأقربها ما جاء في " معاجم المصطلحات النحوية "، في حين أن القدامى لم يعطوا تعريفا محددا للروابط، ربما لكونه معروفا عندهم فلا داعي لذلك، ومن التعريفات ما جاء في " معجم المصطلحات النحوية والصرفية " بأنّه " العلاقة

[1] - ينظر: غازي فتحي محمد سليم، الروابط في الكتابة العربية الحديثة _ دراسة تطبيقية _ (أطروحة دكتوراه)، إشراف د. محمد العبد، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، القاهرة، 2000، ص 343. (510 صفحة).

التي تصل شيئين ببعضهما البعض، وتعين كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه "[1]، وهناك من قال بأنّه هو الذي يربط بين اسم أو جملة واسم متقدم ليكتمل معنى الجملة.[2]

وهناك من ذهب إلى أن " الرابط عند النحاة هو ما يربط أحد المتصاحبين بالآخر، مثل: الهاء في: زيد قام غلامه، ومثل الفاء في: من أحسن فلنفسه ".[3]

وعموما فأدوات الربط من العوامل التي تحقق النظم، وبتحقيق العلاقات المرجعية في داخل النصوص، مثل قولنا:

أ – أمتلك كتابا

ب- وهو يعالج قضية سياسية

فالضمير " هو " في السطر الثاني يشير إلى ذلك الكتاب ولا كتاب غيره. كما قد تأخذ هذه العلاقات المرجعية أشكالا عدة.[4]

وعليه فالمقصود بالربط هو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقات، أو ضمير بارز عائد، وتلجأ العربية إمّا لأمن اللبس في فهم الانفصال بين المعنيين، وإمّا لأمن اللبس في فهم الارتباط بين المعنيين، فالربط هو الحلقة الوسطى بين الارتباط والانفصال.[5]

وإذا كانت الوجهة الحجاجية موجهة بالبنية اللغوية، فإنها تبرز في مكونات لغوية متنوعة، ومستويات مختلفة من هذه البنية، وهذه المكونات عبارة عن " خليط من الروابط والعوامل تتطلب النظر في الوجوه والفروق بينها للوقف على أيّها أقوى حجاجيا، أو ما يتولد عن تعاملها من فروق ".[6]

---

[1] – محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص 90.

[2] – ينظر: محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993، ج1، ص 318.

[3] – حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1991، ج2، ص 121.

[4] – ينظر: يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1994، ص 88.

[5] – ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، 1997، ص 01.

[6] – شكري المبخوت، مرجع سابق، ص 377.

وهناك مكونات تغيّر قوة الجملة دون محتواها الخبري كالنفي والاستثناء والشرط والجزاء، وهناك مكونات ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي، وتتوزع في مواضع متنوعة من الجمل، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بكل معانيها (الواو، الفاء، لكن، إذن....)، والأسوار (بعض، كل، جميع...)، وهي كلها عناصر نحوية تسمى " روابط حجاجية "[1]،وهناك ما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة التعليل، أو ما خُصَّ لوظيفة من الوظائف مثل: قط وأبدا، ومع ذلك تصبح حصيلة تحليل المكونات اللغوية تلك هي دلالة القول اللغوية، وهي في جملتها خليط من الروابط والوسائل والعوامل الحجاجية تتفاعل داخل نسيج الخطاب على صور شتى لتخلق الدلالة الحجاجية، مما يتطلب أحيانا النظر في الوجوه والفروق اللغوية للوقوف على مدى قوّتها الحجاجية أو ما يتولّد عن تعاملها من فروق حجاجية.

إن الروابط الحجاجية – في الغالب – قسمان: قسم يقدم الحجة وقسم يظهر النتيجة، ومن الأدوات التي تقدم الحجة: لكن، واو الحال، إلاّ أنْ، حتّى، إلاّ، إنْ، فإنْ، أمّا، ومن الأدوات التي تظهر النتيجة: إذ، لام التعليل، لأنّ، مع ذلك، إذا، كما أن هناك أدوات لغوية أخرى منها ما يفيد النفي، مثل: لا، ليس، لم، وما يفيد التوكيد والإثبات، مثل: إنَّ، وما يفيد الاختصاص والقصر، مثل: إنّما، كما نجد أدوات مثل: لولا، لو...[2].

تلعب الروابط والعوامل الحجاجية دورا مهما وفاعلا في النصوص الحجاجية بحكم مكوناتها اللغوية المختلفة داخل نسيج الجملة، بحيث تضيق أو توسع مع احتمالاتها الحجاجية، كما يميز ديكرو بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية :

أ – الروابط الحجاجية :

تربط بين قولين أو حجتين على الأصح أو على الأكثر، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، فالروابط الحجاجية تربط بين القيمة الحجاجية لقول ما والنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، أي بِتَتِمَّته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتا بالمعلوم الذي

---

[1] – ينظر: هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، ص 94، 95.

[2] – ينظر: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، ص 151.

يتضمنها[1]، فهو يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر، وهذا تصور سابق قديم يتسم بالضيق وقد تم تطويره، لأن عملية الربط معقدة والربط بين قولين حالة خاصة، فبالإضافة لها قد تربط بين عناصر غير متجانسة كأن يربط مثلا بين قول وسلوك غير كلامي وغيرها.

نمثل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... والأسوار (بعض، كل، جميع،....)، وما يتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التعليل أو ما تمحّض لوظيفة من الوظائف.

كما أن الروابط تلعب دورا مهما في الانسجام التلفظي والتداولي، كما تضطلع بدور استمرارية النص والحفاظ على انسجامه وإسهامه في الاتساع والتدرج، والاتساق الشامل للخطاب، هذا ومن ناحية أخرى فإنها تسمح بتدرّج وتسلسل القضايا، فهي إذن تكتسي بعدا نصيّا.

كما نميّز بين أنماط عديدة من الروابط:[2]

الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن،....)، والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي....).

الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما،.....)، والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع،....)، وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما،....).

ب – العوامل الحجاجية :

يبرز في مكونات متنوعة ومستويات مختلفة من البنية اللغوية، فبعضها يتعلق بمجموع الجملة فيقيدها بعد أن تمّ الإسناد فيها، ومن هذا النوع نجد النفي والحصر والاستثناء المفرغ

---

[1] – أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 33.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

والشرط والجزاء....إلخ، وبعض المكونات المعجمية التي تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل: " منذ" الظرفية، و" تقريبا "، و" على الأقل "....إلخ.[1]

وهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، ولنوضح مفهوم العامل الحجاجي بشكل أكثر، ندرس المثالين الآتيين:[2]

الساعة تشير إلى الثامنة.

لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر " لا ... إلا "، وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلا ف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها، لأن القول الأول يمكن أن يخدم عدة نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء،....باختصار فهو ممكن أن يخدم النتيجة والنتيجة المضادة " أسرع وكذا لا تسرع"، لكن عندما أدخلنا العامل الحجاجي ـ القصر ـ فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت، وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو:

" لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع ".

كما أن هناك أقوالا لها قيمة حجاجية هي في الواقع عكس قيمتها الإخبارية؛ أي أنّ بينها علاقة تناقض أو تعارض، ويتعلق الأمر بالأقوال المشتملة على بعض العوامل الحجاجية من قبيل: كاد، تقريبا...أو بعض الأفعال مثل: أوشك، قرب، إلى غير ذلك.

فالقول المشتمل على عامل حجاجي من قبيل " تقريبا " أو " أوشك على... "، أو " كاد..." يسلك من الناحية الحجاجية سلوك القول المثبت، وتكون له نفس الوجهة الحجاجية التي له، أمّا الأقوال التي تتضمن عاملا حجاجيا من نمط " ما...إلا "

---

[1] – ينظر: شكري المبخوت، ص 377. وكذلك: ينظر: إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي، ص 129.

[2] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 34، 35.

أو " لا...إلا"، أي التي تندرج ضمن أدوات القصر مثلا، فإنها تكون مماثلة للأقوال المنفية من حيث السلوك الحجاجي والوجهة الحجاجية.[1]

وتبقى العوامل هي التي تضمن البعد التلفّظي لبعض الروابط عن طريق ضمانها تحقيق التجانس التداولي للجملة أو للقول، وتتمثل فيما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد، ولا نكاد نجد هذا التمييز في أغلب الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة، فقد جُمع المفهومان غالبا تحت اسم الروابط بسبب صعوبة التمييز بين النوعين في التحليل[2]، وهذا ما سنعمل به في الدراسة على اعتبار الكل روابط دون التفريق بينهما.

هذا لأن العامل الحجاجي لا يقوم بمهمة توجيه الملفوظ نحو نتيجة بعينها فقط، بل " يقوي درجة هذا التوجيه في الخطاب "[3]، ويزيد طاقة الملفوظ الحجاجية، كما أنّه ينقل الملفوظ من الدلالة الإخبارية والإبلاغية إلى الدلالة الحجاجية.

2/- دراسة تحليلية لأهم الروابط في " عيون البصائر ":

عند دراسة مقالات البشير الإبراهيمي نجد أن هناك وفرة من الروابط والعوامل الحجاجية التي يدخلها في نسيج كلامه ويوظّفها حجاجيا على النحو الذي يتوخّاه، وتطالعنا في مقالاته روابط كلامية من قبيل: لذلك هو، مع أنه، على أنني، بعض، كل، جميع، إذا، لا شك في ذلك،....والكثير من الأساليب مثل: النفي، والحصر، والشرط، والجزاء....إلخ، على أن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها.

وسنعمل في هذه الدراسة على مناقشة ثلاثة روابط حجاجية من بين الروابط التي وظّفها البشير الإبراهيمي وهي: " لكن "، و" بل "، ثم " حتى ".

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص (52 - 54).

[2] ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 187.

[3] – عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية (بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة)، إشراف د. عبد الله صولة، جامعة منوبة، كلية الآداب بمنوبة، السنة الجامعية 2004/2003 ، ص 13 (مخطوط).

وسبب اختيار هذه الروابط دون غيرها يعود إلى:

أوّلا: ما هذه الروابط إلاّ نماذج من مجموع الروابط الأخرى والكثيرة في اللغة، والتي وظّف البشير الإبراهيمي الكثير منها في مقالاته.

ثانيا: كثرة استعمال هذه الروابط في الخطاب ــ خاصة الحجاجي ــ وفي الحوارات اليومية.

ثالثا: علاقة هذه الروابط العلاقة الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمر، بمعنى قابليتها للتأويل.

وهي فقط دراسة لبعض استعمالات هذه الروابط استعمالا حجاجيا دون الدراسة المعجمية والتركيبية والتداولية.

2-1- لكنْ : وهي المخفّفة من الثّقيلة العاملة عمل " إنَّ "، وتخفيفها مؤد إلى إهمال عملها اللفظي، ويبقى معناها محصورا في الاستدراك، ونصّ بعض النحاة على أن ما قبلها يجب أن يكون منفيّا، إذ يقول " ويقع قبلها النفي لازما "[1]،وباستقراء النصوص الحديثة نجد استخدامها قد ورد بعد الإثبات لإفادة التخصيص فضلا عن الاستدراك والذي هو وظيفتها الأصلية.[2]

والاستدراك " تعقيب الكلام بنفي ما يتوهّم منه ثبوته، أو إثبات ما يتوهّم منه نفيه "[3]، والتعقيب يكون بإحدى الأدوات التي تربط بين الأمرين: النفي والإثبات أو العكس، ويتفرع من هذا التعريف ما يدلّ على نتيجة غير متوقعة، فكأنّ في هذه النتيجة إثبات النفي أو نفيا لإثبات.

---

[1] - وصف المباني، ص 345.

[2] - ينظر: غازي فتحي محمد سليم، الروابط في الكتابة العربية الحديثة، ص 98.

[3] - حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1، ص 270.

و " لكن " وضعها على مخالفة ما بعدها لما قبلها، ولا يستقيم تقديره إلا شيئا لامتناع تقدير النفي في المفرد، وإذا ثبتا وجب أن يكون ما قبله نفيا، كقولك: " ما جاءني زيد لكن عمرو "، ولو قلت: " جاءني زيد لكن عمرو " لم يَجُزْ لما ذكرنا.[1]

فالفرضية حول دلالة " لكن " مثلا وقدرتها على توجيه القول الذي توجد فيه توجيها سلبيا حجاجيا، إذا ثبت أنها تفسر الاستعمالات المتنوعة للأقوال التي تتضمن " لكن " في المقامات المختلفة، فذلك يعني أنها فرضية قويّة ناجحة، كما أنّ لها ــ أيْ لكن ــ كثرة الورود في الخطاب، ولها دور في تفعيل العملية الحجاجية فيه، ولقد ميّز اللسانيون بين نوعين منها: دحضية وحجاجية.

أ– " **لكن** " **الدحضية**: هي رابط حجاجي " يجعل من الحركة التلفظية حوارا يرتبط فيه النفي مع التصحيح.... فتكون وظيفته دحض ملفوظ مخاطب آخر ".[2]

ومن أمثلته في نصوص الدراسة ما جاء في (النص 13) قوله:" وقبلت المفاوضة بنفسي مع مندوب عيّنه، ولبثنا نتحدث ثلاث ساعات من كل يوم، لمدة أسبوع، حديثا فارغا مكررا معادا، وكان محدثي يقتنع بالحجة، ويسلم بالبرهان، ويتحرك ضميره للاعتراف بالحق أحيانا..." (المقال 13 ص 236). فهو في هذا القول يظهر وكأنه قد توصل لحل نهائي للمسألة مع محاوره، وأنّه قد أخذ برأيه واعتمده وأنّه سينفذ ما اتفق عليه في تلك الجلسات، وكأنّ به ينفي كون محاوره أو محدثه لا يبالي بما يتم التحاور فيه، ثم هو بعد ذلك يذكر قولا آخر مغايرا تماما لما قاله في الأول:" ولكنه لم يكن يملك التفويض اللازم لإنهاء المشاكل...." (المقال 13 ص 236)، فهذا القول المقدّم يدحض الملفوظ الأوّل الذي قال به، ويمكن أن نوضّح ذلك بالشكل الآتي:

---

[1] – ينظر: السيد الجميلي، معجم حروف المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 166.

2-Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990, p57.

"وكان محدثي يقتنع بالحجة، ويسلم بالبرهان....
(نفي عجز محاوره عن حل المشكلة)

← لكن ←

"لم يكن يملك التفويض اللازم لحل المشاكل....
(يثبت عجز صاحبه)

↓ النفي — ↓ التصحيح

إذْ يظهر هنا تجسيد لفعل إثبات وتوكيد بواسطة الأداة لكن التي تحقق الإخبار، كما تظهر صدق الخبر بنفي الخاطئ واستبداله بالصحيح، ومن ثمّة تحصل فائدة المخاطب؛ إذ صار لديه حكم صحيح يمكن الأخذ به.[1]

ب – " لكن " الحجاجية: وهي رابط يظهر القوة الحجاجية لأطروحة على أخرى، إذ يتموقع بين الحجة وضد الحجة، ويقدم أصحاب النظرية الحجاجية الوصف الحجاجي لـ " لكن " حال استعمالها كما يلي: إنّ التلفظ بأقوال من نمط : " أ لكن ب " يستلزم اثنتين:

1- أن المتكلم يقدّم " أ " و " ب " باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجّهة نحو نتيجة معينة " ن "، والحجة الثانية موجّهة نحو النتيجة المضادة لها أي " لا — ن ".

2- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته.

ويمكن توضيح ذلك بواسطة المربع الذي افترضه ديكرو لتوضيح طريقة اشتغال " لكن الحجاجية "، إذ يرى أن " لكن " تتوسط قولين " أ لكن ب " كما يأتي:

(أ)	لكن	(ب)
↓	<	↓
النتيجة (س)	↔	النتيجة (لا لـ (س))
(ضمنية)		(ضمنية)

[1] – ينظر: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، ص 154.

بحيث: < يعني "حجة أقل قوة" .

← يعني " يكون حجة لصالح".

↔ يعني "متناقض مع".[1]

ونمثل لها من قول البشير الإبراهيمي بما جاء في (النص 8) فيما يأتي :" تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل، ولكن الاستعمار العاتي يتحدى العقول لأنه عدّوها، والشرائع لأنها عدوه، فلا يقوم إلا على قتل غير القاتل...."(المقال 8 ص 334).

يعطينا المثال السابق حجتين (قولين حجاجيين) يخدمان نتيجتين متناقضتين، واستعان المخاطب – البشير الإبراهيمي – على ذلك بأداة الربط " لكن "، فكانت كالآتي:

الحجة أ : العقول والشرائع تستحسن قتل القاتل ←ـــــــــ هذه تخدم

النتيجة ن : من الحكمة أن يقتل القاتل.

الحجة ب : الاستعمار لا يستحسن قتل القاتل وإنما قتل غير القاتل ←ـــــــ هذه تخدم

النتيجة (لا – ن) : الاستعمار غير عاقل ولا حكيم.

ونوضح ذلك في الشكل الآتي:

(العقول والشرائع تستحسن قتل القاتل) **لكن** (الاستعمار لا يستحسن قتل القاتل وإنما قتل غير القاتل)

↓ < ↓

النتيجة ن:(من الحكمة أن يقتل القاتل) ↔ **النتيجة (لا – ن)**:(الاستعمار غير عاقل ولا حكيم)

↓ ↓

(ضمنية) **(ضمنية)**

---

[1] - ينظر: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، ص 154.

فالمرسل يستعمل الأداة " لكن " لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما سيتلوها، اعتمادا على ما قبلها، وعادة ما تكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى، وكل خطاب تال لـ " لكن " يكون هو الحجة الأقوى صوب الدعوى التي يدّعيها المرسل، وبالتالي فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة (لا – ن)، كما في هذا الشكل:

(ح1 ←—— ن) لكن (ح2 ←—— لا – ن) ⇐ (لا – ن).

وإذا كنّا قد وقفنا على تحديد ديكرو للحجاج على أنه تقديم القول (ق) لحمل المستمع على فهم (ق 1)، كما رأينا مع الأداة " لكن " فإن هذه الأخيرة كذلك تحمل أدوارا حجاجية أساسية باعتبارها تسمح للمحاجج بتقديم معلومات على أساس أنها حجج.[1]

ويمكن كذلك أن نعطي مثالا آخر توضيحيا نحلله ونبين من خلاله دور هذه الأداة في توجيه الخطاب الحجاجي، كما جاء في (النص 1) قوله:" وقطع قادته وأئمته العهود على أنفسهم وعلى دولتهم ليكونُنَّ الحامين للموجود المشهود من عقائد ومعابد وعوائد، ولكنهم عملوا في الباطن على محوها بالتدرج....." (المقال 1 ص 47).

ولنا أن نوضحه من خلال الشكل الآتي:

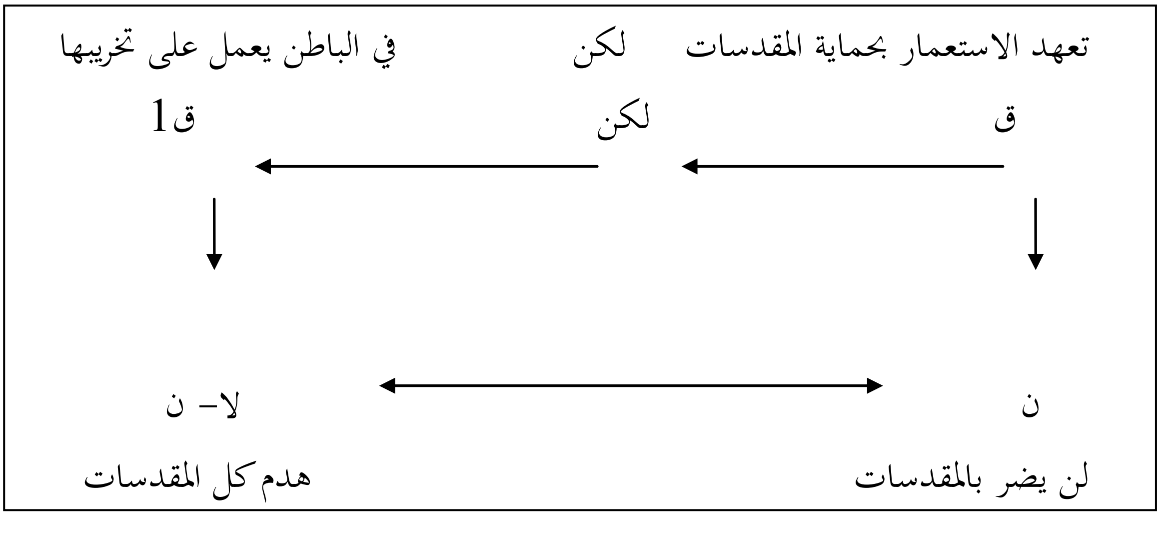

[1] – ينظر، الحواسي مسعود، البنية الحجاجية في القرآن الكريم – سورة النمل نموذجا – ، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 12، شعبان 1418هـ، ديسمبر 1997، ص 335.

فقوانين الخطاب ــ الشمول والإخبار والإفادة ــ تلعب دورا لا يستهان به في عملية تأويل الملفوظات أثناء عمل الروابط، وذلك بتدخلها في تحديد المحتويات الحجاجية [1]، وقد أكد ج.م.آدام وقبله ديكرو، على الأهمية القصوى التي يضطلع بها الرابط " لكن " في التوجيه الحجاجي.

وقد كانت مقالات البشير الإبراهيمي المخصوصة بالدراسة حافلة بتوظيف هذا الرابط الحجاجي ــ أي لكن ــ والاستفادة من دوره في العملية الحجاجية كما بينا في بعض الأمثلة، وإن كانت المقالات تحوي أكثر من ذلك فقد أحصينا ما يفوق (22) اثنان وعشرون استعملا لهذا الرابط في (12) اثنا عشرة نصا فقط، الشيء الذي يدلّل على الأهمية الحجاجية التي أولاها البشير الإبراهيمي لخطابه في المقالات.

2-2- بل :

وهي من أدوات العطف التي يشيع استعمالها في الكتابة العربية، ولكنها لا تصل إلى الحد الذي وصلته أختاها الفاء و الواو في سعة الاستعمال، وتؤدي " بل " وظائف تنفرد ببعضها، وعلى رأسها الإضراب عمّا قبلها وإثبات الحكم لما بعدها، ونص على هذه الوظيفة أكثر النحويين، وتأتي كذلك لتأدية وظيفتي الاستئناف والاستدراك، ثم تؤدي وظيفة التدرج إذا تكرر ورودها في التركيب [2]، وهي تأتي بعد النفي وبعد الإيجاب على السواء، وتؤدي وظيفتها على أي منهما دون خلل في التركيب اللغوي.

وتكمن حجاجية " بل " في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت.

ومما يتسق مع " بل " في التركيب تلك الخطابات التي تتضمن: (ليس، فحسب،بل)، وذلك بمعنى تثبت كل من الجزأين،بعد ترتيبها صعودا، فيصبح الوضع ثبوت الأول بوصفه حجة دنيا، وزيادة الآخر فوقه بوصفه الحجة الأقوى، إذ إن الحجج التي تقع بين (ليس...فحسب) تعد في درجة أدنى حتى لو كانت ذات قيمة عليا في نظر المرسل إليه،

---

[1] - ينظر: عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 187.

[2] - ينظر: عباس السوسوة، أداة العطف " بل " " و " في العربية (مقال)، مجلة علوم اللغة، ع4، 1998، مج1، ص 248.

إذ يضعها المرسل بهذا في أدنى السلم، ليوحي إلى المرسل إليه مقدما بأن ما بعدها أقوى منها.[1]

وهذا الرابط عادة يستعمل للإبطال والحجاج، مثله مثل " لكن "، وله حالتان: فقد يكون ما بعده " مفردا " أو " جملة "، فإن وقع بعده مفرد، فإن كان ما تقدمه أمر أو إيجاب فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه، ولا يحكم عليه بشيء، ويثبت الحكم لما بعده (اضرب زيدا بل عمرو)، (قام زيد بل عمرو).

وإن تقدمه نفي أو نهي فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده (ما قام زيد بل عمرو) ، (لا تضرب زيدا بل عمرو).

أما إذا وقع بعد " بل " جملة فيكون معنى الإضراب :

إمّا الإبطال نحو :(أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ، بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ).

ب – وإمّا الانتقال من غرض إلى غرض نحو: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُوثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا).[2]

ويهمنا في بحثنا هذا الاستعمال الثاني، أي عندما يكون الإضراب على جهة الترك، للانتقال من غرض إلى غرض آخر، من غير إبطال، والأمر متعلق بـ " بل " الحجاجية المرادفة لـ " لكن " الحجاجية، أي المرادفة للأداة الفرنسية " Mais ".

وقد وظّف البشير الإبراهيمي هذا الرابط الحجاجي في مقالاته في أكثر من موضع كما في (النص 10) قوله:" فقد أخرجت الزيتونة طرازا من الرجال لو لم تفتنهم الوظائف المحدودة لأتوا في الإصلاح الديني والدنيوي بالعجب، وما زالت هذه الوظائف المقيّدة للنبوغ، بل مدفنا للعبقرية، تنزل المواهب منها بدار مضيعة..." (المقال 10 ص 550).

إن الرابط يقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين الحجة (الزيتونة أخرجت طرازا من الرجال)، والنتيجة (سيكون لهم دور كبير في الإصلاح والتغيير)، وعلاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد " بل " وهي (فتنوا بالوظيفة المذهبة للعبقرية)، والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة

---

[1] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 516.

[2] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 64 ، 65.

(لن يسهموا في الإصلاح)، والنتيجتان مضمرتان، ويمكن توضيح هذه الترسيمة الحجاجية على الشكل التالي:

ح1 ⇄ ن ←ـــــ بل ←ـــــ ح2 ⇄ لا – ن ←ـــــ (لا – ن).

حيث (ح 1) و(ح2) يشيران إلى الحجج و (ن) تشير إلى النتيجة التي تخدمها هذه الحجج، و(لا – ن) تشير إلى النتيجة المضادة للنتيجة السابقة (ن)، والرمز " ⇄ " يشير إلى العلاقة الحجاجية.

فالرابط الحجاجي " بل " يربط بين الحجج والنتائج، والنتيجة المضادة " لا – ن " ستصبح نتيجة القول برمته، لأن الجملة التي بعد " بل " أقوى من الحجة التي ترد قبلها.[1] فهؤلاء الرجال ــ في المثال السابق ــ طبيعتهم أنهم أصحاب مصالح ووظائف، فبالتالي أراد البشير الإبراهيمي أن يبيّن أنه على الرغم من تكوينهم وتخرجهم من الزيتونة، أي أنهم يملكون الأهلية والقدرة على التغيير، ولكن غلبت عليهم طباعهم فانساقوا لها وبذلك لن يسهموا في الإصلاح بشيء.

والشيء نفسه ينطبق على كافة الأمثلة الواردة في المقالات، وقد بلغ توظيف الإبراهيمي لهذا الرابط إلى حد كبير، ربما لطبيعة المقالات الحجاجية في حد ذاتها، فقد ورد استعمال هذا الرابط ما يقرب سبعة عشر (17) مرة في ثلاثة عشر (13) مقالا، إذ نجد أن الرابط " بل " في أكثرها يخدم حجتين متضادتين، ولكن الحجة الواقعة بعد الرابط هي الحجة الأقوى، والنتيجة المضادة " لا – ن " هي النتيجة المعتمدة.

إلى جانب الاستعمال الحجاجي الذي يكون فيه الرابط " بل " مرادفا لـ" لكن " الحجاجية، هناك استعمال حجاجي آخر يكون فيه مرادفا لـ " حتى ".

ونجد ذلك في المقالات في أكثر من نص، فقد نوّع البشير الإبراهيمي في توظيف هذا الرابط، نأخذ من كل تلك التوظيفات مثالا نقوم بدراسته ومناقشته، وهو ما ورد في (النص 10) قوله: " ما قيمة الشباب؟ وإن رقّت أنداؤه... بل ما قيمة الكهولة؟ وإن استمسك بنيانها... بل ما قيمة المشيب؟ وإن جلّله الوقار بمُلاءته... ما قيمة ذلك كله؟ إذا

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 67.

لم تنفق دقائقه في تحصيل علم، ونصر حقيقة، ونشر لغة، ونفع أمة، وخدمة وطن " (المقال 4 ص 511 ، 512).

يمكن استخراج صيغة حجاجية متكونة من حجج ونتيجة على الشكل الآتي:

ما قيمة الشباب؟ ما قيمة الكهولة؟ بل ما قيمة المشيب؟ إن لم يكن في خدمة العلم أو الأمة أو الوطن.

فالرابط " بل " في المثال السابق يربط بين ثلاثة حجج متساوقة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، إلاّ أنّ الحجة الواردة بعده أقوى من الحجج التي تتقدمه، ومن هنا ترادفت " بل " و " حتى "، فـ " بل " هنا تعبر عن " التساوق الحجاجي "، في حين أنها في الاستعمال الحجاجي السابق تعبر عن " التعارض الحجاجي ".

نجد أن الحجج الثلاثة التي يربط بينها الرابط في المثال السابق هي عن: " قيمة الشباب"، " قيمة الكهولة "، " قيمة المشيب " وكلها تخدم نتيجة مضمرة وهي :" قيمة عمر الإنسان فيما يقدم لوطنه وأمته وللعلم "، والحجة الواردة بعد الرابط " ما قيمة المشيب " هي القيمة الأقوى.

ويمكن أن نوضحها بالشكل الآتي:

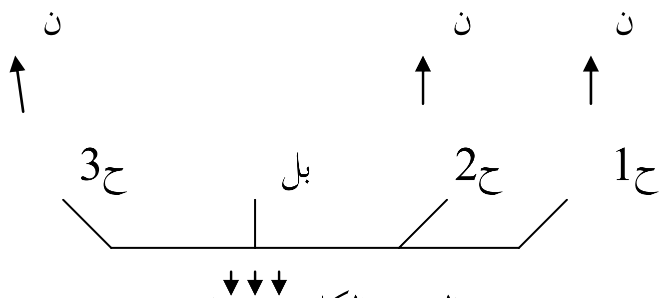

النتيجة الكلية نفسها: ن

فالحجة (ح3) أقوى بالرغم من أنها تخدم نفس النتيجة (ن)، والشيء نفسه مع بقية الأمثلة الأخرى الواردة في المقالات، والتي كانت على شاكلة التساوق لا التعارض.

كما قد تستعمل " بل " للإبطال فليس بشرط أن تكون دائما حجاجية، حتى وإن بدا أن هناك تعارض، فهو ليس بحجاج كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾[1].

من خلال دراسة الرابطين " لكن " و " بل " يمكن أن نستنتج بعض الملاحظات كمقارنة بين الرابطين:

أ- أن " لكن " لها استعمال حجاجي واحد، وتكون بين حجتين متعارضتين، أما " بل " فلها استعمالان حجاجيان: الأول أن تربط بين حجتين متعارضتين، وهي في ذلك تكون مرادفة لـ " لكن " ، واستعمال حجاجي آخر تربط فيه بين حجتين متساوقتين، أي تؤديان إلى نتيجة واحدة وهي في هذه الحالة تكون مرادفة لـ " حتى".[2]

ب- كما أن لـ " بل " و" لكن " أحكام مختلفة تجاه الواو فـ " لكن " تسمح بأن تدخل عليها الواو، و" بل " يمكن أن تكون متلوة بالواو، كما أن الواو تعطف و " لكن " تقوم بإنجاز الربط التداولي الحجاجي، وإن كانت " لكن " مجردة فإنها تقوم بالوظيفتين معا[3]، كما أنها تميز بين " بل " المرادفة لـ " لكن " و" بل" الرابطة بين الحجج المتساوقة والمرادفة لـ " حتى".

ج- كما أنه قد تلتقي " لكن " الحجاجية و" بل " الحجاجية في سياق واحد، فيمكن أن تكون " لكن " إبطالية و " بل " حجاجية تفيد التعارض الحجاجي أي بمعنى " لكن "، فلا يمكن أن يلتقي الرابطان في سياق واحد ويؤديان نفس الوظيفة، أي يكون الاثنين يفيدان التعارض الحجاجي، عدا ذلك ممكن الحدوث.

---

[1] - سورة البقرة، الآية 154.

[2] - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 79.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص (70 ، 72)، أيضا: عباس السوسوة، أداة العطف " بل " في العربية.

2- 3 - حتى :

تؤدي حتى وظائف كثيرة منها العطف، حيث تعطف مفردا على مفرد وجملة على جملة، فيتبع المعطوفُ المعطوفَ عليه لفظا أي في الرفع والنصب والجر، ومعنى أي في النفي والإيجاب.[1]

و لـ " حتى " دور في ترتيب منزلة العناصر، ولما لمعانيها واستعمالاتها من سلميّة، ففي استعمالات " حتى العاطفة " على المرسل أن يراعي شروط المعطوف وهي شرطان: أولا: أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه، والثاني: أن يكون غاية لما قبلها في الزيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير. وتفيد حتى العاطفة التخصيصَ والتوكيد، إذا تخصص المعطوف لأنه جزء من المعطوف عليه، أو تؤكد المعنى المراد بذكره.[2]

كما سنحاول هنا دراسة الأداة " حتى " دراسة حجاجية، لنبرز بعض الاستعمالات الحجاجية لهذا الرابط، فليس دورها منحصرا في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع)، بل " إن دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية ".[3]

وهذا الرابط يربط بين حجتين أو أكثر لهما نفس الوجهة الحجاجية ويخدمان نتيجة واحدة، بمعنى أنها متساوقة، وقد تكون النتيجة تلك مذكورة أو متضمنة، كما أن الحجة الواردة بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله.

ولنا أن نمثل لها مما ورد من توظيف لهذا الرابط في نصوص الدراسة، فقد استغل البشير الإبراهيمي هذا الرابط في سياقات حجاجية كثيرة في مقالاته، فقد وظفه أكثر من عشرين (20) مرة في اثنتا عشر (12) مقالا فقط، من ذلك ما جاء في (النص 2) قوله: " حكومة لائكية في الظاهر، مسيحية في الواقع،... تجمع يدها على دين المسلمين ودنياهم، وتتدخل حتى في كيفية دفن موتاهم..." (المقال 2 ص 60). والشيء نفسه مع

---

[1] - وصف المباني في شرح حروف المعاني، ص 258.

[2] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 518.

[3] - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 33.

(النص 8) في سياق كلامه ووصفه لمجزرة 8 ماي، وصور القتلى والدماء التي خالطت كل شيء، قوله الآتي:" وأين قتلى ضمختْ دماؤها الغريين *، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار حتى ماء البحر أشكل " (المقال 8 ص 334).

فالصيغة الحججية في المثال الأول تكون كالآتي:

تتدخل الحكومة في أمور الدين، وأمور الدنيا، حتى في دفن الموتى.

أمّا في المثال الثاني كالآتي:

فاقت الدماء ما ضمّخ به الغريين والأرض، حتى ماء البحر أشكل.

في المثال الأول الحجج هي: ح1: التدخل في أمور الدين.

ح2: التدخل في أمور الدنيا.

ح3: التدخل في دفن الموتى.

النتيجة ن: تدخل الحكومة في كل أمور الناس صغيرها وكبيرها، خاصها وعامها.

وفي المثال الثاني نسوق الحجج وهي: ح1: ضمخت دماء الموتى الغريين.

ح2: ضمخت الدماء الأرض.

ح3: ماء البحر أشكل بالدماء.

النتيجة ن : حجم القتل فاق كل تصور بل لا يوصف.

يتعلق الأمر في المثالين بـ " حتى " الحجاجية، ففي المثالين يربط بين ثلاثة حجج لها نفس التوجه الحجاجي، أي أنها تخدم نفس النتيجة، إلّا أن النتيجة مذكورة أو ظاهرة في المثال الأول وهي مضمنة في الثاني، كما أن الحجة التي وردت بعد الرابط في المثالين وهي " ح3 " هي الحجة الأقوى من بقية الحجج التي قبل الرابط.

وغالبا ما تكون " حتى " الحجاجية عاطفة، وقد تكون جارة إذا كان ما بعدها داخلا فيما قبلها، لأن المجرور بحتى – حسب جمهور النحاة – إما يكون داخلا فيما قبلها أو لا يكون، ولا تكون حتى الحجاجية جارة إلّا عندما يكون ما بعدها داخلا فيما قبلها.[1]

* – الغريان: بناءان قرب الكوفة كان النعمان يلطخهما بدماء قتلاه.

[1] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 74.

وقد وافق ما ذهب إليه النحاة وجهة القول في النظرية الحجاجية الحديثة كما قدمها ديكرو وأسكومبر في أن الحجة التي تأتي بعد " حتى " هي الأقوى، فنجده موافقا تماما لما يقصده النحاة بقولهم " أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها...". وأحيانا تخرج " حتى " عن الغاية المكانية والزمانية، ومن هنا كان لابد أن نعرض أنه في الحديث عن " حتى " لا بد أن نراعي ذلك؛ إذ أنها تفيد الغاية الزمانية والمكانية والغاية الحجاجية.

كما أن هناك استعمالات حجاجية أخرى لـ " حتى " فقد تستعمل للدلالة على التعليل أو الغاية، وهي في ذلك ذات استعمال حجاجي كما قد تفيد الشرط أو التفسير أو التبرير،" ونشير إلى أن روابطها تترابط وتتعارض وتتقابل فيما بينها، وعادة ما يرتبط بالطريقة التي قدمت بها الحجة، ومفهوم العلاقة الحجاجية مفهوم عام ومرن، وقد يرد على شكل علاقة شرطية أو سببية أو تفسيرية أو تبريرية أو استنتاجيه ".[1]

كما قد تدخل " حتى " في تحديد علاقات الحيّز بين النفي والأسوار فدخول حتى " يجعل الجمل أو العبارات لا تقبل إلاّ تأويلا واحدا، وهو التأويل الذي يمنح للسور الكلي الحيّز الأوسع، ويجعله غير خاضع لتأثير النفي " [2]، فوجود الأداة " حتى " يزيل الالتباس، ويجعل الجمل لا تقبل إلا تأويلا دلاليا واحدا، ويصير التأويل الذي بموجبه يكون السور مندرجا في حيز النفي غير وارد ولا ممكن أصلا، ومن ثم يحصل انسجام القول دلاليا وحجاجيا.

ولتوضيح ذلك نقف عند توظيف هذا الرابط في (النص 2) قوله:" ثم يلتقي هؤلاء جميعا مع الاستعمار في نقطة اتصال، تلجئهم إليها الضرورة إلجاء، حتى يصير المختار فيها كالمكره، وهي حرب الجمعية..." (المقال 2 ص 61).

ففي هذا المثال لو لم يكن فيه الرابط " حتى " لكان بهذا الشكل: يلتقي جميعهم مضطرون مع الاستعمار في حرب الجمعية. وهذا يبقي على أكثر من تأويل، فربما هناك من

---

[1] – المرجع السابق، ص 80.

[2] – المرجع نفسه، ص 83.

هو مخير ولم يشارك الاستعمار محاربته للجمعية، ولكن بإدخال الرابط " حتى " أسقط كل التأويلات الأخرى وأبقى على تأويل واحد، فالكل شارك حتى المخيّر منهم.

والرابط الحجاجي " حتى " لا يستعمل – في السياق – وداخل القول الواحد إلاّ مع الأسوار الكلية (كل، جميع،...)، أو الأسوار شبه الكلية (جلّ، أغلب، كثير،...)، أما الأسوار البعضية أو الجزئية (بعض، قليل، ...) فلا يتلاءم معها بتاتا، ويكون القول معها لاحنا وغير سليم ولا مقبول[1]، ففي المثال السابق لو قال مثلا: (يلتقي قليل منهم مضطرون مع الاستعمار في حرب الجمعية حتى المخيرون، فإن هذا الأمر لا يستقيم،وهو قول لاحن ولا بد أن يعوّض بسور كلّي، ومن خلال تتبعنا لنصوص الدراسة كلها لم نعثر على مثل هذه الصياغات اللاّحنة في توظيف هذا الرابط، وهذا إن دلّ فإنما يدل على التمكن اللغوي عند البشير الإبراهيمي خاصة ما تعلق بالخطاب الحجاجي.

بعد التطرق للرابطين الحجاجيين " بل " و " حتى " في المقالات، وتحليلهما من عدة جوانب يمكن أن نستنتج بعض الملاحظات المتعلقة بهما كمقارنة بين الرابطين، من ذلك:

أ- يمكن لهما أن يتعاوضا ويتبادلا، إذ قد يردان في نفس الموقع من القول دون أن تُلحن الجملة أو تصبح غير مقبولة، كما في مثال سابق: تتدخل الحكومة في أمور الدين، وأمور الدنيا، حتى في دفن الموتى. يمكن لـ " بل " أن تأخذ مكان " حتى " في هذا المثال مع الحفاظ على سلامة الجملة، وأداء نفس الدور الوظيفي، كالآتي: تتدخل الحكومة في أمور الدين، وأمور الدنيا، بل تتدخل في دفن الموتى.

ب- من الفروق بينهما أن " بل " يمكن مجيء الواو بعدها أما " حتى " فلا، وإدراجه بعد " بل " اختيار أما بعد " حتى " فممتنع ، وهذا " الاختلاف البنيوي أو التركيبي ليس مُجانبا أو هامشيا؛ بل إنه جدّ مهم، وله صلة بفرق آخر يتعلق بالطبيعة الحجاجية لكل رابط أي بالطريقة التي يتم بها تقديم الحجج والأدلة" [2]، وهي سمة تركيبية تفرض قيودا حول طبيعة أو نمط الحجة المختارة.

---

[1] - ينظر: السابق، ص 84 ، 85.

[2] - المرجع نفسه، ص 87.

ج- الخاصية الأساسية للحجة التي ترد بعد " حتى " تتمثل في أن هذه الحجة تعد أقوى حجة يمكن أن نقدمها لصالح النتيجة المقصودة، وينبغي أن تتموقع في أعلى السّلم الحجاجي، وتسند إليها أعلى المراتب الحجاجية، وأن تكون آخر حجة يمكن تقديمها لصالح النتيجة المقصودة.

فلو مثّلنا المثال السابق (تتدخل الحكومة في أمور الدين، وأمور الدنيا، حتى في دفن الموتى) في رسم للسلم الحجاجي له، حتى نبين مراتب الحجج فيه كالآتي:

ن : تدخل الحكومة في كافة أمور الناس.

- تدخل الحكومة في دفن الموتى.
- تدخل الحكومة في أمور الدين.
- تدخل الحومة في أمور الدنيا.

أما مع " بل " فالوضع مختلف، فهي لا تقدم الحجة القوية باعتبارها أقوى وأفضل حجة تخدم النتيجة المقصودة، أو باعتبارها حجة واقعة في أعلى مراتب السلم، إذ يمكن أن تتلوها حجة أقوى منها وأفضل في صالح خدمة النتيجة. فلو أخذنا مثالا سابقا وطبقنا عليه بوضعه في سلم حجاجي وملاحظة ذلك، كما في الآتي: ما قيمة الشباب؟ ما قيمة الكهولة؟ بل ما قيمة المشيب؟ إن لم يكن في خدمة العلم أو الأمة أو الوطن.

نمثله في السلم الحجاجي بالشكل الآتي:

ن : خدمة العلم والوطن والأمة

- ما قيمة المشيب
- ما قيمة الكهولة
- ما قيمة الشباب

ويمكن أن نعطي حجة أخرى من الحجة التي هي في أعلى مرتبة من الحجج بالسلم الحجاجي لصالح النتيجة نفسها، وهي: ما قيمة الإنسان أصلا.ويصبح شكل السلم كالآتي:

ن : خدمة العلم والوطن والأمة

- ما قيمة الإنسان أصلا
- ما قيمة المشيب
- ما قيمة الكهولة
- ما قيمة الشباب

د – يمكن لـ " حتى " أن تقدم فقط الحجة الأقوى وتبقي عن الأخرى مضمرة، وهذا في أغلب الحالات، ويبقى المتلقي قادرا على اكتشافها وتلقيها، أما بل فلا يمكن لها ذلك، وإنما ينبغي لها أن تكون ظاهرة الحجتين أو الحجج.

هـ - إنّ " بل " تتضمن شيئا من التصحيح، لا تصحيحا تاما – غير إبطالية -، وهذا غير وارد مع " حتى " فحججها متساوقة تماما، ومع ذلك نجد في تأويل القول مع الرابط " حتى " توافقا تاما بين المتكلم والمتلقي، في حين أنه مع " بل" قد يحدث عدم موافقة المتكلم لتأويل المتلقي في بعض التفسيرات.

وفي الأخير وبعد أن أبرزنا بعض الاستعمالات لهذه الروابط " لكن " ، " بل " ، "حتى"، وهناك حتما استعمالات حجاجية أخرى، وليس الهدف من هذه الدراسة إجراء دراسة شاملة واستقصائية لهذه الروابط ولا دراسة جوانبها التركيبية والتداولية، فذلك يتطلب بحثا مستقلا بل بحوثا عدة، وإنّما الغرض كان إبراز مظهر من مظاهر الحجاج اللغوي، وهو ما تعلق ببعض الروابط الحجاجية، والتي أخذنا منها نماذج فقط، وإلا فإنها تتطلب بحثا مستقلا خاصا بالروابط والعوامل الحجاجية.

3/- بعض الروابط العوامل الحجاجية الأخرى في المقالات:

بعد أن درسنا بعض الروابط الحجاجية في المقالات، وهي أهم الروابط في المقالات وفي غيرها من الخطابات اليومية، والتي كثيرا ما توظف تلك الروابط الثلاثة السابقة أكثر من غيرها، نقف كذلك في هذا الجزء على بعض الروابط الأخرى التي غالبا ما توظّف في الخطابات الحجاجية، لكن بشكل أقل من السابقة، وعليه سيكون الأمر مقتصرا على نموذجين اثنين مما توفّرت عليه المقالات بدءا بأسلوب القصر فواو الحال.

3 – 1 – أسلوب القصر :

يقوم أسلوب القصر أساسا على تحديد موقف السامع ممّا يتلقاه، وتغيير ما يعتقده إذا كان مخالفا للحكم، وهو – بهذا المفهوم – يشترك مع مجال اللسانيات التداولية التي تتناول ما يرتبط بالسامع في دراستها للغة.[1]

ويميز القزويني بين حالتين للمخاطب في أساليب القصر:

المخاطب الأول: يعتقد الشركة، أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا، فيكون القصر حقيقيا، نحو: ما زيد إلّا كاتب، لمن يعتقد أنّه يتصف بصفات أخرى غير الكتابة.

المخاطب الثاني: يعتقد العكس، أي اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة، فيكون القصر فيها قصر قلب، لأنه يتم فيها قلب حكم السامع، نحو: ما شاعر إلا زيد، لمن يعتقد أن غيره شاعر أيضا.[2]

واعلم أن موضوع " إنّما " على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحّته أو لمن ينزل هذه المنزلة (إنّما هو أخوك) حق الأخوة وليس إنكارها، أمّا الخبر بالنفي والإثبات نحو " ما هذا إلّا كذا " فيكون لأمر ينكره المخاطَب ويشك فيه، ما لا مصيب، ما هو إلا زيد، لمن ينكر ذلك.[3]

---

[1] – ينظر: في اللسانيات التداولية، ص 187.

[2] – ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 213 ، 214.

[3] – ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص (330 – 332).

فالتركيب الذي يتضمّن الأداتين " ما ... إلّا " تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية إذ تترتب في سلم واحد، ف " ما ... إلّا " عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه بفعل شيء ما.

ومن أدوات السلم الحجاجي كذلك القصر باستعمال " إنّما "، والسبب في إفادة " إنّما " معنى القصر، هو تضمينه معنى : ما وإلّا، وترى أئمة النحو يقولون : إنما تأتي إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه.[1]

من خلال نصوص الدراسة يمكن توضيح الفكرة السابقة، فقد استعمل البشير الإبراهيمي القصر أكثر من ثلاثين مرة، توظيفا بأشكاله المختلفة في كافة نصوص المدونة، من ذلك ما جاء في (النص 7) قوله :" وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرّعتم بها إلى هذا المنصب، يستحي أن يسميكم نوابا بمعنى النيابة الذي يعرفه الناس، وإنّما أنتم أعضاء تألّف منها هيكل غير متجانس الأجزاء.... وإنّما أنتم موظفون، لكم من النيابة لفظها وحروفها، ولكم من الوظيفة معناها وحقيقتها..." (المقال 7 ص 185).

وكذلك ما ورد في (النص 5) قوله :" وزاد الطين بلة وضْعٌ منحرف لمكان الزوجة من زوجها، حتى أصبح متخلخلا متزلزلا لا استقرار فيه، وما جاء هذا التخلخل إلّا من سوء فهم من الرجل،.... وما جاء سوء الفهم إلّا من سوء التفهيم من الفقيه..." (المقال 5 ص 219).

من النص الأول نجد مثالين اثنين :

إنّما أنتم أعضاء تألف منها هيكل غير متجانس الأجزاء.

إنّما أنتم موظفون، لكم من النيابة لفظها وحروفها، ولكم من الوظيفة معناها وحقيقتها.

كذلك في النص الثاني هناك مثالين اثنين :

ما جاء هذا التخلخل إلّا من سوء فهم من الرجل.

ما جاء سوء الفهم إلّا من سوء التفهيم من الفقيه.

[1] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 520.

نرى أنّ في المثال 1 و 2 تنبّه دون نفي من المخاطِب، أو لدفع لبس وهو أن يعتقد المستمع بأن هؤلاء الأعضاء هم نوّاب يمثلون الشعب، فهم ليسوا كذلك بل هم مجرد أعضاء لا يمثلون ربّما أنفسهم حتى.

أمّا في المثال 3 و 4 سياق تحاور وجدال بين المتخاطبين، يظهر لنا أولا: إنكار المخاطَب كون الخلل يقع في فهم الرجل وفي سوء تفهيمه الفقيه، وثانيا: محاولة المخاطِب إقناعه باستعمال أسلوب القصر بأنّ الخلل يقع في فهم الرجل وفي سوء تفهيمه الفقيه.

والأمثلة الأربعة ذات قيمة حجاجية، في المثال 3 و 4 واضح من خلال إنكار السامع ومحاولة إقناع المتكلم له، بينما في المثال 1 و 2 ذات قيمة حجاجية أقل من حيث كون المتكلم فيها يسعى إلى تنبيه المخاطب بمعارفه السابقة، وتأكيدها في نفسه مما يندرج ضمن مبدإ الإقناع عموما، وعلى هذا تظهر النتيجة الحجاجية من كل الأمثلة نتيجة متضمنة وغير صريحة، يدلّ عليها كما أسلفنا الاستعمال الذي يختلف حسب السياق.[1]

والعامل الحجاجي " ما ... إلّا " لا يضيق من احتمالات المحاجة المسجلة في جملة من الجمل، ولكنه يضيقها بمسارات تربط بين الحجة و والنتيجة، فلو أخذنا قول البشير الإبراهيمي من (النص 2) وهو " وما جاء هذا البلاء إلّا من الوضعية الشاذة التي بني عليها نظام الحكم الاستعماري على المسلمين في الجزائر" (المقال 2 ص 60).

فالرابط هنا سائغ، وتفسير ذلك يعود إلى دخول الحصر على الجملة التي استعملت حجة، فحدّ من احتمالاتها الحجاجية ووجها وجهة إيجابية، أي وجهة تدعم النتيجة " حكومة عنصرية ظالمة ".

وما يجب الانتباه إليه هنا هو أن هذه الوجهة الإيجابية موجودة في بنية " ما ... إلّا " بقطع النظر عن الاستعمال المقامي وهي لا تلمس بالمحتوى القضوي للجملتين، فهما جملتان مختلفتان حجاجيا، وإن اتّفقتا في المحتوى الخبري، والمهم من ذلك كله أن تلك

---

[1] – ينظر: محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية (دراسة)، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع3، ماي 2008، ص 115 ، 116.

المعطيات اللغوية تمثل تعليمات توجه استخلاص النتيجة، أي أنها تفرض ربطا معيّنا بين الأقوال دون غيره.[1]

وفي أسلوب القصر لا بد من مراعاة أن يكون الواقع المعبر عنه ملائما للواقع النفسي للمخاطَب لا الواقع الخارجي، بأن يؤدي المعنى الذي يرغب المتكلم في التعبير عنه، وأسلوب القصر في ذلك شأنه شأن الأسلوب البلاغي عموما؛ إذ يهدف إلى إحداث التأثير النفسي، كما يحسن اختيار الأداة التي تظهره محدثا تأثيره في السامع من خلال تخيّر الموقف المناسب.[2]

3 – 2 – واو الحال :

الواو حرف كثير الدوران في العربية، كما أنّه يرد لمعان كثيرة، وهو من أكثر حروف العطف استخداما في الكلام العربي، وقد أوصل بعضهم عدد أنواعها إلى عشرين نوعا [3]، ولكن الشائع منها في الاستعمال ولاسيما في الكتابة العربية الحديثة لا يتجاوز عدد أصابع اليد.

والذي يعنينا هنا هو " واو الحال " وهو رابط حجاجي يتمثل دوره الأساسي في كونه " مقدّم حجج "[4]، ومع استعمال " واو الحال " تكون الحجة أقوى لها طابع البرهان، لأن البنية الحجاجية هناك لا تبدأ بالمعطاة وإنّما بالنتيجة، فيكون الخطاب الحجاجي بهذا الشكل:

النتيجة ← واو الحال ← المعطيات (الحجج).

---

[1] – ينظر: شكري البخوت، مرجع سابق، ص 376 ، 378.

[2] – ينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1998، ص 132.

[3] – ينظر: محمد عبد الرحمن محمد الريحاني، واو الربط وظائفها ودلالتها (دراسة)، مجلة علوم اللغة، ع 4، 1998، مج1، ص 151.

[4] – الحواسي مسعود، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، ص 333.

ومن أمثلته ما ورد في (النص 1) قوله :" كما يفعل وعّاظ الاستعمار، ومشعوذوا السياسة، لتخدير الأمم المستضعفة، فيقبّحون لها العنصرية، وهم من حماتها، ويزهدونها في الجنسية، وهم من دعاتها " (المقال 1 ص 46).

فالوظيفة التي أدّتها الواو ــ واوا الحال ــ هنا هي الدلالة على إنشاء علاقة سياقية نحوية مصطنعة بين الجملتين بطريق الربط، هي علاقة الملابسة أي إفادة معنى الحال، وقد استعان به البشير الإبراهيمي لتقوية حجته، عندما جعل النتيجة سابقة للمعطاة، بحيث يصبح لها إذ ذاك طابعا برهانيا، ويمكن التمثيل لها كالآتي:[1]

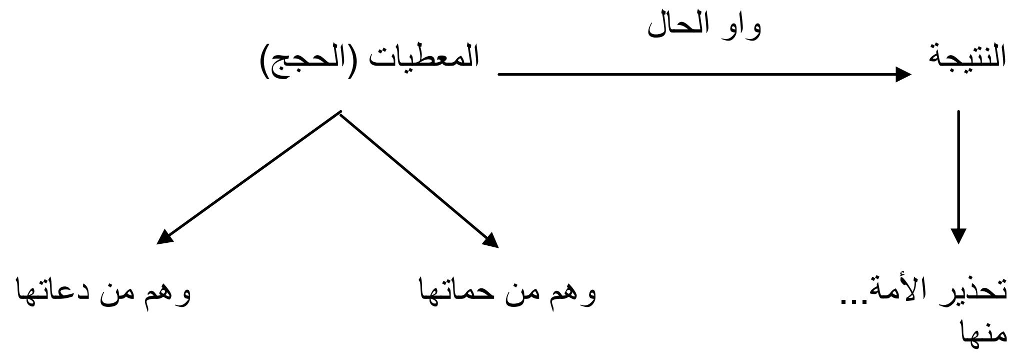

وبواسطة هذا الترتيب "نعلّل إثباتا سبق نصيّا ولكنه يلي حجاجيا "[2]، وعليه يعطي الإبراهيمي قوّة حجاجية لما آتى بعد واو الحال، ذلك أنها ذات دلالة تصلح للاستدلال.

نستنتج مما سبق أنّ للأدوات اللسانية دورا هاما في إحداث المعنى، ذلك أنّها تحمل شحنة حجاجية تعمل على التأثير في الآخر، وهذا ما لمسناه من خلال الاتساق بين الوحدات الخطابية والانسجام الحاصل بين عناصرها بحيث أنّ لكل مقدمة نتيجة محددة بواسطة رابط يبيّن إمّا تقديم حجة أو إظهار نتيجة، كما أنّ هذه الروابط مختارة بعناية تعمل على جذب المتلقي وتحويل وجهة نظره.[3]

والنزعة الحجاجية بادية في البناء اللغوي للمقالات، بتضمينها تلك اللوازم والعوامل الحجاجية، وتوجيهها من البداية توجيها حجاجيا خاصا.

[1] – ينظر: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، ص 159.
[2] – الحواسي مسعود، البنية الحجاجية في القرآن الكريم ، ص 334 .
[3] – ينظر: يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، ص 159.

الفصل الثالث:
وسائل الإقناع في المقالات

1 -وسائل الإقناع المنطقية الدلالية

2 -وسائل الإقناع اللغوية

أ - بنية التكرير

ب بنية التوازي

ج – بنية الازدواج

المبحث الأول: وسائل الإقناع المنطقية الدلالية في المقالات

يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من وسائل الإقناع في النص الحجاجي العربي وهي: الوسائل المنطقية الدلالية، والوسائل اللغوية، والوسائل الموقفية، و" التفاعل بين تلك الوسائل جميعا وأنماطها المختلفة في أداء الوظيفة الإقناعية هو الأمر الطبيعي "[1].

إلاّ أننا هنا سندرس كل نوع على حده، وذلك قصد بيان صوره وهيئاته البنائية والدور الخاص الذي يشغله في تلك الوظيفة العامة، مكتفين بالنوعين الأوليين فقط (الوسائل المنطقية الدلالية والوسائل اللغوية) دون الوسائل الموقفية، وذلك لارتباط الأخير بالخطاب المنطوق في المقام الأول، كما أننا سنقدم في بداية هذا المبحث بسطة عامة حول مفهوم الإقناع، وسنفرد مبحثا خاصا لدراسة الوسائل اللغوية.

1/- مفهوم الإقناع:

يعتبر الإقناع الوظيفة الأولى للمقال الحجاجي ـ الخطاب الحجاجي ـ، وذلك عن طريق التعامل مع العقل، وهذا يعتبر ميزة للخطاب الحجاجي خلاف باقي الخطابات الإقناعية الأخرى، والتي تهدف إلى التعامل مع مشاعرنا أكثر من التعامل مع عقولنا.

يرى " أوستين فريلي " أن الحجاج والإقناع جزءان من عملة واحدة، إلاّ أنّ الإقناع يعتمد التوكيد كوسيلة لإبطال الرأي الضدّي، في حين الحجاج يَعْمَد إلى الدعاوى المنطقية أكثر، آخذا في عين الاعتبار الدعاوى الأخلاقية والعاطفية منها.

كما يرى " هوارد مارتين " و " كينيث أندرسين " أن كل اتصال هدفه الإقناع، ومقصدهما من هذا هو الإقناع العام، وليس الإقناع الحجاجي الذي يصدر عن وسائل منطقية

---

[1] – محمد العبد،النص والخطاب والاتصال، ص 217.

ولغوية خاصة، في حين يعتبره " توماس شايدل " مجرد محاولة واعية للتأثير على السلوك.[1]

على أنّ " محمد العبد " يعتبر كلَّ نص حجاجي نصًّا إقناعيا، وليس كلُّ نص إقناعي نصا حجاجيا، فالإقناع يرتبط بالحجاج ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة (النص الحجاجي) في محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات والسرديات.[2]

إنّ الإقناع ضرب من الخطاب الحجاجي يبعثه اختلاف في الموقف، وهو " يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[3]، ولنا أنْ نحدّد أطر الإقناع على النحو الآتي:

- إنّ الإقناع يقوم على الترجيح والاحتمالية بخلاف الجدل القائم على اليقين والإلزام، فالأدلّة التي يقدّمها الإقناع ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة في ما تثبت أو تنفي، بحيث تقرّر ما تقرّره أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة التي لا تقبل شكا أو لا تقبل احتمال خطأ ما تثبته أو صحة ما تنفيه، بل لها حقائق متعددة، وعلى الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى.[4]
- ملاحظة المتلقي عند الإقناع واعتماد المقام وعدم إغفاله، فالإقناع خطاب مقامي يكون محوره المتلقي، ويتأثر الإقناع بنوع المتلقي فهو يبنى على خصوصية المتلقي بمختلف جوانبه النفسية والاجتماعية والثقافية.

---

[1] - ينظر: نبوية علي محمد علي، مرجع سابق، ص155.

[2] - ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص192، 193.

[3] - المرجع نفسه، ص 205.

[4] - ينظر: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص106.

- الإقناع بحكم انطلاقه من مسلمات ومشهورات مُخْتَلف في شأنها ينأى بالمتلقي من وضعه في موضع القسر والإلزام عند التسليم بالنتائج، بل يعدّه للإقناع بعد مناقشة هاته المقدمات الاحتمالية.

وعليه فالإقناع " محصّلة قول حجاجي ترفع بسلطته المسافة بين الإنسان والإنسان، ويوجه لتحقيق أغراض مختلفة"[1]، فأسلوب الإقناع يعمل على عكس معاني موضوعية من الخبرة الاجتماعية، وذلك من خلال مؤشر الحياة الفعلية والنشاط الفعلي للإنسان، بحيث تصبح المعلومات التي تقدمها الرسالة الدعائية أحد عناصر بنية الفرد النفسية الداخلية، وأحد عناصر منظومة تصاميمه وقيمه ومصالحه واهتماماته، ولمفهوم الإقناع في السيكولوجية الاجتماعية بضع معان من أهمها بالنسبة للدعاية الحجاجية ما يلي:[2]

- يعد الإقناع النتيجة النهائية والعنصر الخاص المتميز لنظام تصورات المرء وآرائه التي لا تنفصل عن كلا خبرته الحياتية وعن حوافز النشاط لديه.
- يعد الإقناع طريقة(أسلوبا) للتأثير الدعائي والمنظم في الفرد أو الجماعة.

وصاحب الدعاية الحجاجية حينما يحاول أن يقنع الجمهور المتلقي بصحة استنتاجاته، فإنّه يلجأ إلى ثلاث فئات أساسية من الحجج هي:[3]

الفئة الأولى: الوقائع " الجدّية" التي لا مراء فيها، والتي إمّا أن تدفع الجمهور إلى تقييم الاستنتاج المعروض واعتباره صحيحا، وإمّا أن تتيح له استخلاص الاستنتاج بنفسه بصورة مستقلة.

الفئة الثانية: الحجج التي تتضمن المخاطبة " الإيجابية" للارتياح السيكولوجي الذي يوفّره قبول الرسالة المعروضة.

---

[1] - هشام الريفي، مرجع سابق، ص79.

[2] - ينظر: شمس الدين بن أحمد زاوية، مرجع سابق، ص230.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص 233.

الفئة الثالثة: الحجج التي تتضمن المخاطبة " السلبية"، والتي توجه الانتباه إلى العواقب غير المتطابقة التي قد تنشأ بسبب عدم قبول الرسالة.

2/- الوسائل المنطقية – الدلالية:

لقد تناولنا في ما سبق بناء النص الحجاجي، وبيّنا أن له علاقات خاصة يقيمها النص الحجاجي وهي علاقات الدعوة أو النتيجة " ويشترط ــ من المنظور الدلالي ــ أن يرتبط محتوى النتيجة بمحتوى المقدمات" [1]، ومن منظور القياس المنطقي – الدلالي فهو يقوم بتحديد العلاقات المنطقية – الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا، ويمكن أن نميز في النص الحجاجي العربي بين الوسائل المنطقية الدلالية الآتية:

2 – 1– القياس المنطقي:

يُعير الباحثون اهتماما كبيرا للقياس المنطقي أكثر من غيره، ذلك لأنه بنية أساسية في الخطاب الحجاجي، و" التعلق بين المقدمات للوصول إلى نتائج والتركيز على المخاطب أو المستمع هما الأمران الأهم في مبحث القياس المنطقي في النظرية الحجاجية المعاصرة" [2]، فالقياس المنطقي وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال.

ففي القياس المنطقي يصبح أحد القولين مرتبطا بالآخر عن طريق تعليقهما بقول ثالث، يمثل طبقة من موضوعات أو مفاهيم أعلى من القولين الآخرين.

كما نفهم القياس المنطقي فهما أفضل في ضوء تأمل كيفية فهم عا لم المنطق له، فالقياس المنطقي التقليدي يكون على الشاكلة الآتية:

- كل الناس فانون.
- سقراط إنسان.

---

[1] – محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 217.

[2] – المرجع نفسه، ص 218.

– سقراط فان.

وتتكون البنية ذات القياس المنطقي من ثلاث أقاويل:

الأول: مقدمة منطقية كبرى ← يكون مصرحا بها.

الثاني: مقدمة منطقية صغرى ← يكون مصرحا بها.

الثالث: نتيجة ← تستنتج استنتاجا.

ولكن في حقيقة الأمر لا يعني مجرد وجود ثلاثة أقاويل أن هناك قياسا منطقيا؛ بل يجب على الأقل أن يشتمل المقام على ثلاث كلمات وتكون متعالقة؛ هذا معناه يجب أن لا يتغير معنى الكلمة خلال الحجاج؛ بل وينبغي أن تكون المقدمة الصغرى منضوية تحت سياق الطبقة الكبرى أو المفهوم الذي تقدمه، وهذا ما يكشف عنه القياس التقليدي كما بينا، كما أن الكاتب في القياس المنطقي يبدأ من مقدمات منطقية سليمة يستمد منها استنتاجاته.

ولا يتم الحكم على القياس المنطقي من خلال معرفة هل الاستنتاج صحيح أم خطأ، ولكن من خلال معرفة هل العلاقة بين الأقوال صحيحة أم غير صحيحة [1]، وعليه تبقى وظيفة القياس المنطقي في الخطاب الحجاجي هي الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب (المتلقي)، وهي المقدمة الكبرى إلى ما هو مشكل، وهي النتيجة.

وسنعمل على إيراد العديد من النماذج الكثيرة التي حفلت بها مقالات البشير الإبراهيمي، ولكن نأخذ بعضها مع مراعاة التنوع بناء على ما قلنا.

ففي (النص 1) قوله :" في هذا الوطن الجزائري شعب عربي مسلم، ذو ميراث روحاني عريق، وهو الإسلام وآدابه وأخلاقه،...وذو لسان وسع وحي الله،وخلّد حكمة الفطرة، وجرى بالشعر والفن، وحوى سر البيان،.... حافظ هذا الشعب على هذا التراث قرونا تزيد

---

[1]- Brandt, William,J: The Rhetoric of Argumentation, 1 st, Printing, USA, 1970, p.27.

على العشرة، وغالبته حوادث الدهر عليه ولم تغلبه، وما كان هذا الشعب بدعا في الحفاظ على هذه المقومات الطبيعية؛ بل كل شعوب الدنيا قائمة على أمثال هذه المقومات..." 1 / 46.

ويمكن اختزال القضايا في القطعة السابقة إلى الشكل الآتي:

مقدمة كبرى: كل شعوب الدنيا تقوم على مقومات تراثها ← مصرح بها.

مقدمة صغرى: ميراث الشعب الجزائري الإسلام والعربية ← مصرح بها.

النتيجة: الشعب الجزائري مسلم عربي ← مستنتجة.

↓↓↓

قياس منطقي

وفي هذا المثال لم تقتصر قضاياه على فقرة واحدة، وإنّما امتدت على مساحة معتبرة في النص وهذا أمر وارد، ويمكن اعتبارها ذات قياس منطقي واحد ما دام يحكمها رابط علائقي واحد بين مكوناتها.

ونجد الشيء نفسه في (النص 2) حيث يقول:

" للسياسة في جميع بلاد الله وعند جميع خلقه معنى محدود قار في حيزه من الإدراك، إلاّ في هذا البلد وعند حكومته الاستعمارية وساسته المقلّدين، فإنّ معناها غير محدود ولا مستقر، يتسع إلى أقصى حدود الاتساع " 2 / 59.

ويمكن تصوير القياس المنطقي في المقولة السابقة على النحو التالي:

مقدمة كبرى: السياسة لها معنى محدود ومعروف وقارّ ← مصرح بها.

مقدمة صغرى: السياسة في هذا البلد معناها غير محدود ولا معروف ←مصرح بها.

النتيجة: لا سياسة في هذا البلد ← مستنتجة.

↓↓↓

قياس منطقي

نلاحظ أن مقولات هذا القياس قد اشتملت على ثلاث كلمات متعالقة، وهي السياسة ومعناها، كما أنه ــ أي البشير الإبراهيمي ــ قد بدأ بمقدمات منطقية سليمة، الشيء الذي يقود إلى استنتاجات صحيحة بناء عليها.

ونضيف مثالا آخر للتوضيح، ولتبيين أن العملية منطقية ما توافرت مقولاتها واشتملت عل رابط كأن تكون كلمات متعالق بينها، فإن الأمر يسير إلى قياس منطقي مباشرة، كما في قوله في (النص 7):

" أيها السادة: اسمحوا لنا حين سميناكم أعضاء ولم نسمكم نوابا فإننا ممن لا يكذب على الحقيقة، وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرّعتم بها إلى هذا المنصب، يستحي أن يسميكم نوابا بمعنى النيابة الذي يعرفه الناس، وإنما أنتم أعضاء ..... النيابة وكالة عن جمهور، والشرط في الموكل أن يكون حرّا مختارا مطلق التصرف " 7 / 185.

يمكن عرض القياس المنطقي في القطعة السابقة على النحو الآتي:

مقدمة كبرى: النيابة وكالة عن جمهور أو شعب ← مصرح بها.

مقدمة صغرى: أعضاء المجلس الجزائري ليسوا وكلاء عن الشعب ← مصرح بها.

النتيجة: الأعضاء بالمجلس ليسوا نوابا أصلا ← مستنتجة.

↓↓↓

قياس منطقي

ونرى أحيانا أن المقولات المنطقية تنتشر في النص وتتباعد في فقراتها، آخذة مساحة معتبرة من النص، كما في (النص 9) قوله:

" اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي ... ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع

الإسلام... من قال إن البربر دخلوا في الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوا، لأنهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعا " 9 / 206.

ويمكن تصوير القياس المنطقي في هذه القطعة على الشكل التالي:

مقدمة كبرى: الإسلام أصيل ودائم في هذا الوطن ←── مصرح بها.

مقدمة صغرى: تلازم الإسلام والعربية ←── مصرح بها.

النتيجة: اللغة العربية أصيلة في هذا الوطن دائمة ←── مستنتجة.

↓↓↓

قياس منطقي

ومن جهة أخرى قد تكون مقولات الخطاب الحجاجي للقياس المنطقي في فقرة واحدة، أو ذات عبارات متقاربة يجملها المرسل بصورة مركزة، ربما تكون مقصودة أحيانا حتى يُظهر المفارقة، أو أن يُبرز دعواه بفعل القياس المنطقي الذي يقود المستمع إلى الإقتناع أو التسليم، من ذلك ما جاء في (النص 21) قوله:

" لغة الأمة هي ترجمان أفكارها، وخزانة أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية ـ زيادة على ذلك القدر المشترك ـ أنّها حافظة دينها... وهي لغة العرب؛ ذلك لأن لغة العرب قطعة من وجود العرب، وميزة من مميزات العرب " 21 / 281 .

ويمكن اختزال القضايا المنطقية في القطعة السابقة إلى الشكل الآتي:

مقدمة كبرى: اللغة ترجمان لأفكار الأمة ←── مصرح بها.

مقدمة صغرى: لغة الجزائر العربية ←── مصرح بها.

النتيجة: العربية ترجمان لأفكار الجزائر ←── مستنتجة.

↓↓↓

قياس منطقي

وبعد تحليل عيّنات الدراسة، يمكن الاستدلال ستدل على أن القياس المنطقي من البُنى المنطقية – الدلالية المهمة في النص الحجاجي العربي، ولعله أهمها على الإطلاق.

تبقى الإشارة إلى أنّه من البديهي أن كاتب الحجاج في عرضه لأقواله لا يعتمد دائما الصياغة والترتيب المباشر كالنموذج القياسي التقليدي، بل كثيرا ما يخالف في الترتيب ويزيد في العبارة بأحد الأقوال، وربما توزعت أقوال القياس على أكثر من فقرة في النص، فليس شرطا أن تكون مجملة، فقد تتوزّع في مساحات عدة من النص، ولكن القارئ الحصيف الذي ينبغي له أن يبذل مع النص الحجاجي جهدا خاصا، لن يعسر عليه معرفة الصلات بين تلك الأقوال وإن تناءت.[1]

2 – 2– القياس المضمر (الإضماري):

يختلف القياس المضمر عن القياس المنطقي، ومعياره أنّه قياس محذوف المقدمة؛ وعادة ما تكون المقدمة الكبرى، وهو عادة ما يقبل هذه المقدمة على أنّها قضية مسلم بها [2]، وتبنى المقدمة المحذوفة على القولين الآخرين.

وهو في ذلك على غير القياس المنطقي في الحجاج؛ إذ تقتصر وظيفته على الانتقال مما يسلم به المتلقي وهو المقدمة الكبرى، إلى ما هو مشكل وهو النتيجة، فإذا لم يقبل المتلقي المقدمة الكبرى يصبح الحجاج باطلا.

والإضمار من العادة أن لا يقع على بعض المقدمات فحسب، وإنما قد يشمل كذلك النتيجة، فـ " النتيجة الضمنية التي يترك أمر استنباطها للمتلقي نفسه أبلغ أثرا من النتيجة المصرح بها، من حيث إنّ المساهمة المطلوبة إليه في استخراجها تؤدي إلى جعله لا يعتبر النتيجة

---

[1] – محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 221.

[2]- Brandt, William,op. cit. p32, 33.

مفروضة عليه من الخارج، وإنما يعتبرها نتيجته هو شخصيا" [1]، ويصبح بذلك الأداء الحجاجي هنا أقوى لأن الإقناع أبلغ، فكأن المخاطِب قد نجح إلى حد كبير في توجيه المتلقي إلى الحد الذي اكتشف معه واستنبط النتيجة لوحده، فهذا يعطي مصداقية أكبر لدعاوى المحاجج (المخاطِب) وصحة قضيته.

كما قد يمتد الكلام شيئا ما ولا يكون تقدير الطبقة الكبرى في المقدمة الكبرى إلا استنباطا، لأن المحاجج أو المخاطب في كثير من الحالات في القياس المضمر لا يصرّح وإنّما يعرّض، ويبقى على المتلقي الاستنتاج.

وكأنّ بتلك المقدمة في القياس المنطقي لابد أن يقبل بها المخاطَب وإلاّ كان الحجاج عبثا، أمّا في القياس المضمر فإن المخاطَب يسلم جدلا بتلك المقدمة، والقياس المنطقي والمضمر هما الشكلان المنطقيان الأعم في الخطاب الحجاجي العربي وذلك من خلال عينات الدراسة .

فالأصل في القياس الإضماري هو حذف المقدمة الكبرى، فمن خلال مدونة الدراسة يمكن الكشف عن الآتي:

ففي (النص 5) يقول:

" من مشاكلنا الاجتماعية: الطلاق، الطلاق حلّ عقد، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كلّ ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعا بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم " 5 / 297 .

---

[1] – عبد الله صولة، كتاب الأيام لطه حسين خطابا حجاجيا، أحد بحوث ندوة صناعة المعنى وتأويل النص، قسم اللغة العربية بكلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس (24 – 27 / 4 / 1991)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992، مج 8، ص 302.

تبدو لنا الأقوال التالية ظاهرة مصرّحا بها:

(1) – ينتج عن الطلاق التشتت بين الأسر والتباغض والحقد.

(2) – الطلاق من مشاكلنا الاجتماعية.

فالقول الأول يمكن أن يدخل تحت طبقة أكبر وهي:

"كل ما ينتج عنه تشتت وتباغض وتظلّم يعدّ من المشاكل الاجتماعية ".

وعليه يصبح القياس الإضماري على الشكل الآتي:

مقدمة كبرى: كل ما ينتج عنه تشتت وتباغض يعد من المشاكل الاجتماعية ⟵ مضمنة.

مقدمة صغرى: ينتج عن الطلاق التشتت بين الأسر والتباغض والحقد ⟵ معبر عنها.

النتيجة: الطلاق من مشاكلنا الاجتماعية ⟵ معبر عنها.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى.

ومنه فإن المقدمة الكبرى هي التي كانت محذوفة، وأننا نحن من سعى إلى استنتاجها، والأمر نفسه في المثال المتعلق بـ (النص 3) في قوله:

" إنّ فلسطين أرض عربية لأنّها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلائل من العرب، استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكّن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية..." 5 / 437 .

من خلال هذه القطعة يمكن استخراج المقولتين المصرح بهما وهما :

(1) – فلسطين تاريخها وكفاحها عربي وموروثها إسلامي.

(2) – فلسطين أرض عربية مسلمة.

فالقول الأول يدخل تحت طبقة أكبر وهي :

" أن الدول تحدّد وتعرف من خلال تاريخها وكفاحها وموروثها ".

وعليه يمكن اختيار القياس المضمر للقطعة السابقة على النحو الآتي:

مقدمة كبرى: تحدد الدول وتعرف من خلال تاريخها وكفاحها وموروثها ← مضمنة.

مقدمة صغرى: فلسطين تاريخها وكفاحها عربي وموروثها إسلامي ← معبر عنها.

النتيجة: فلسطين أرض عربية مسلمة ← معبر عنها.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى.

كذلك في ظل الكلام عن حذف المقدمة في القياس الإضماري، نرى صورة أخرى كذلك متكررة في (النص 14) من قوله:

" فصل الدين عن الحكومة،... كأنّي بهذه الحكومة اللائكية المسيحية _ معاً _ الديمقراطية الديكتاتورية _ معًا _ ترمي ببصرها إلى ما وراء حدود الجزائر من الأقطار الإسلامية الحرّة في دياناتها.... فلا نريد أن تبقى للحكومة يد ولا إصبع في تعليمنا العربي الديني، ولا في شعائرنا الدينية ولا في مساجدنا، ولا نريد إلاّ أن تكون الأمة حرّة في دينها، مطلقة التصرف في مساجدها وأوقافها وشعائرها ودينها " 14 / 100 – 102 .

في هذا النص نلحظ أن المقولات قد أخذت مساحات شتّى من فضاء النص وامتدت لأكثر من فقرات بل صفحات، وهذا ممكن الحصول في النص الحجاجي، وعلى المتلقي إدراك ذلك واستنتاج الحجج والمقولات، وقد بدت لنا مقولتين مصرح بهما في النص وهما:

(1) – الأمة مسلمة والحكومة لائكية.

(2) – فصل الدين عن الحكومة.

نرى أن القول الأول ينضوي تحت طبقة أكبر وهي :

" إذا خالف دين الحكومة _ خاصة الاستعمارية _ دين تلك البلاد، فُصلا وأوكل الدّين لأهل البلد ".

وعليه فإن القول الأول يصبح كمقدمة صغرى تنضوي تحت القول المستنتج، وهو عبارة عن مقدمة كبرى والقول الثاني هو النتيجة. ويمكن تصوير القياس الإضماري في القطعة السابقة على النحو الآتي:

مقدمة كبرى: في كل بلاد العالم ومستعمراتها يفصل دين البلد عن الحكومة إذا اختلفا في الديانة ⟵ مضمنة.

مقدمة صغرى: الأمة مسلمة والحكومة لائكية ⟵ معبر عنها.

النتيجة: يجب فصل الدين عن الحكومة ⟵ معبر عنها.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى.

والعكس من ذلك قد تقتصر المقولات على فقرة واحدة أو حيّز ضيّق جدا من النص، وقد يتعمد المحاجج ذلك قصد إبراز دعواه أكثر، وحذفه للمقدمة الكبرى يكون بدعوى استحضار المتلقي ذهنيا، نلمس ذلك في (النص 19) قوله:

" والدّين المظلوم في زماننا هو الإسلام في الجزائر: مظلوم من أهله؛ إذ لم يدافعوا عنه، ولم يأخذوا له بحقه من ظالمه، ومظلوم من هذه الحكومات ذات الألوان التي تحكم الجزائر بما تمليه القوة " 19 / 138.

من خلال القطعة يمكن استخلاص قولين اثنين مصرح بهما:

(1) – الدّين الإسلامي في الجزائر لا يدافع عنه أهله ولم يأخذوا له بحقه.

(2) – الدّين الإسلامي في الجزائر مظلوم.

يدخل القول الأول ضمن قول أعم وطبقة أعلى وهي:

" أنّ الدين الذي لا يدافع عنه أهله ويحتقره الآخرون مظلوم ".

وعليه يمكن عرض القياس الإضماري في القطعة السابقة على النحو الآتي:

مقدمة كبرى: الدّين الذي لا يدافع عنه أهله ويحتقره الآخرون مظلوم ←مضمنة.

مقدمة صغرى: الدّين الإسلامي في الجزائر لا يدافع عنه أهله ←معبر عنها.

النتيجة: الدّين الإسلامي في الجزائر مظلوم ← معبر عنها.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى.

كما قد تحذف في القياس المضمر " النتيجة " ويبقى على المتلقي استنتاجها، وفي هذه الحالة يكون أثرها في المتلقي أفضل من المصرح بها؛ لأن المتلقي يستشعر بأنها من قناعته الخاصة ولم تفرض عليه فرضا، ويصبح بذلك الفعل الحجاجي أقوى لأن وسيلة الإقناع هنا أصدق وأقنع.

من خلال عينات الدراسة يمكن التمثيل لذلك بما ورد في (النص 12) قوله:

" فإنّ الديمقراطية _ عند الأمم التي تنتحلها وتزعمها لنفسها _ تتجلّى في عدة مجالي أرفعها الانتخابات...أمّا في الجزائر فالانتخابات منذ سنّت لعبة لاعب وسخرية ساحر، ورهينة استبداد ولدت شوهاء ناقصة...وسنّت للانتخابات الجزائرية دستورا عنوانه (الحيف والسيف)" 12 / 343 ، 344.

نلاحظ في هذا النص كذلك أن المقولات الحجاجية امتدت على أكثر من فقرة، وتباعدت حججه، وبيّنا بأن هذا وارد في القياس المضمر، ومن خلال القطعة السابقة يمكن رصد القولين التاليين:

(1) – الديمقراطية عند الأمم مطلق اختيار الشعب وأرفعها الانتخابات.

(2) – الانتخابات في الجزائر عنوانها الحيف والسيف.

فالقول الثاني ينضوي تحت القول الأول وهو ذو طبقة أكبر، لذا يكون مقدمة صغرى والقول الأول مقدمة كبرى، كما لم تذكر النتيجة ولكن يمكن أن نستنتجها من خلال المقدمتين السابقتين:

مقدمة كبرى: الديمقراطية عند الأمم مطلق اختيار الشعب وأرفعها الانتخابات ←معبر عنها.

مقدمة صغرى: الانتخابات في الجزائر عنوانها الحيف والسيف ← معبر عنها.

النتيجة: لا ديمقراطية في الجزائر ← مضمنة.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف النتيجة.

من صور حذف النتيجة كذلك في القياس المضمر ما ورد في (النص 18) قوله : " وأنا أسمي ثلّة من هؤلاء المستشرقين الحكوميين، تسمية صادقة أصدر فيها عن روية تثبّت، فما هم إلا أذناب لحكوماتهم، وما هم إلا موظفون أو مستشارون حكوميون، وما هم إلاّ تراجمة للحكومات الاستعمارية وأدلاّء، من الطبيعي أن تكون أذهان هؤلاء المستشرقين المأجورين منصرفة إلى الاختراع كأذهان الكيماويين... كوّن هذا المستشرق لجنة في فرنسا التي هي أحد طرفي الاسم..." 18 / 351 ، 352 .

كذلك نلحظ امتدادا للمقولات في النص وهذا وارد، ويمكن استخلاص مقولتين:

(1) – المستشرقون المأجورون عملاء للاستعمار.

(2) – لجنة (فرانس – إسلام) فكرة مستشرق مأجور.

ويمكن استنتاج النتيجة على اعتبار القول الأول مقدمة كبرى والقول الثاني مقدمة صغرى، فيكون القياس الإضماري على الشكل الآتي:

مقدمة كبرى: المستشرقون المأجورون عملاء للاستعمار ←معبر عنها.

مقدمة صغرى: لجنة (فرانس – إسلام) فكرة مستشرق مأجور ←معبر عنها.

النتيجة: لجنة (فرانس – إسلام) عميلة للاستعمار ← مضمنة.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف النتيجة

كما قد يحصل وأن تحذف المقدمة الكبرى والنتيجة في القياس الإضماري، ويبقى القول المعطى هو المقدمة الصغرى فقط، والذي من خلاله نستنتج المقدمة الكبرى لأنه ينضوي تحتها، ومن خلالهما تكون النتيجة.

نلحظ ذلك الأمر في (النص 15) من نصوص المدونة، وذلك في قوله:

" إنّ حكومات الجزائر تعاقبت في ألوان من المذاهب، ولكن الشعب الجزائري لم ينل على يدها خيرا، ولم يصل إلى قليل ولا كثير من حقه المهضوم " 15 / 93 .

يمكن استخراج مقولة من هذه القطعة القصيرة، والتي في العادة في مثل هذه الحالات من حذف للمقدمة الكبرى والنتيجة تكون قصيرة، نرصد القول:

–أن الحكومة في الجزائر لا تخدم الشعب.

وهي تنضوي تحت مقولة أو طبقة أكبر وهي:

" أن الحكومات في العالم تخدم الشعب ".

فباعتبار القول الثاني مقدمة كبرى والأول مقدمة صغرى يمكن استخلاص نتيجة لهذا القياس المضمر وهي : " الحكومة في الجزائر ليست حكومة أصلا ".

وعليه يكون شكل القياس المضمر بهذه الطريقة:

مقدمة كبرى: أن الحكومات في العالم تخدم الشعب ← مضمنة.

مقدمة صغرى: أن الحكومة في الجزائر لا تخدم الشعب ← معبر عنها.

النتيجة: الحكومة في الجزائر ليست حكومة أصلا ← مضمنة.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى والنتيجة

2 – 3– القياس المتدرج:

يعد القياس المتدرج امتدادا معقدا للتعليل القائم على القياس المنطقي، وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة.[1]

يمكن أن نضرب مثالا توضيحيا على القياس المتدرج فيما يلي:

(1)- كل المسايرين للموضة متحررون من القيود.

(2)- كل المتحررين من القيود مزعزعون.

(3)- كل المزعزعين مرضى عقليا.

[1] - Brandt, William,op. cit. p31.

(4)- كل المرضى عقليا في حاجة إلى التعاطف.

(5)- كل المسايرين للموضة في حاجة إلى التعاطف.

يمكن أن نستنتج مما سبق عدة أقيسة منطقية وإضمارية يضمها هذا القياس المتدرج في المثال، وذلك على النحو الآتي:

(1) - يلاحظ أن القولين الأولين وهما عبارة عن مقدمتين تقودان إلى نتيجة صالحة وهي (كل المزعزعين مرضى عقليا).

وعليه يكون القياس بهذا الشكل:

مقدمة كبرى : كل المسايرين للموضة متحررون من القيود ⟵ معبر عنها.

مقدمة صغرى: كل المتحررين من القيود مزعزعون ⟵ معبر عنها.

النتيجة: كل المسايرين للموضة مزعزعون ⟵ ضمنية.

↓↓↓

قياس منطقي

(2) - نلاحظ كذلك أن النتيجة الأخيرة هذه هي في حد ذاتها مقدمة كبرى لقياس آخر، وعليه تكون بهذا الشكل:

مقدمة كبرى: كل المسايرين للموضة مزعزعون ⟵ ضمنية.

مقدمة صغرى: كل المزعزعين مرضى عقليا ⟵ معبر عنها.

النتيجة: كل المسايرين للموضة مرضى عقليا ⟵ ضمنية.

↓↓↓

قياس إضماري

(3) – النتيجة السابقة هي بدورها مقدمة كبرى والقول الرابع مقدمتها الصغرى، والقول الخامس هو نتيجة القياس المنطقي الضمني، والاستنتاج المتدرج الكلي، ويكون بالشكل الآتي:

مقدمة كبرى: كل المسايرين للموضة مرضى عقليا ⟵ الأصل فيها مضمنة.

مقدمة صغرى: كل المرضى عقليا في حاجة إلى تعاطف ⟵ معبر عنها.

النتيجة: كل المسايرين للموضة في حاجة إلى تعاطف ⟵ معبر عنها

↓↓↓

قياس مضمر

(4) – النتيجة العامة للقياس المتدرج هي القول الخامس والأخير؛ إذ يعتبر الاستنتاج المتدرج الكلي، وهو: كل المسايرين للموضة في حاجة إلى تعاطف.

وغني عن البيان أن كاتب الحجاج لا ينشغل بأن تأتي أقواله مقيدة بقالب القياس المنطقي المتدرج التقليدي، فأحيانا يتحرر المخاطِب في نسق النظم بعض الشيء من غير أن يفسد المحتوى الجوهري الذي تؤسس عليه البنية الأساسية لهذا النوع من القياس المنطقي.

كما قد يمتد القياس المتدرج إلى عدة أقوال وهذا الغالب الأعم، ولكن في بعض الأحيان يبنى على عدد من الأقوال محدود، وذلك بما يكفي للوصول إلى النتيجة التي يريدها المتكلم.

وفي القياس المتدرج يبنى القول اللاحق على جزء من القول السابق حتى ينتهي القياس المتدرج إلى نتيجة، أمّا في القياس المنطقي التقليدي تنتمي المقدمة الصغرى إلى الطبقة الأعلى في المقدمة الكبرى، وهذا تمييز واضح بين النوعين.[1]

[1]– ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 228 ، 229.

ومن خلال نصوص الدراسة يمكن أن نسلّط الضوء على (النص 13)، والذي من خلاله يمكن أن نستخرج الأقوال الآتية:

(1) -كل ما بني على الفاسد فهو فاسد.

(2)- قرارات الحكومة في التعليم مبنية على خلفيات فاسدة.

(3)- قرارات الحكومة مكرسة لتبعية التعليم للحكومة.

(4)- تبعية التعليم للحكومة تقيده.

(5)- لا حرية للتعليم في الجزائر.

يمكن عرض القياس المنطقي المتدرج على النحو الآتي:

(1) - نلاحظ بأن القول الأول والثاني عبارة عن مقدمتين تخدمان نتيجة من قبيل : " قرارات الحكومة فاسدة " وهي نتيجة مستنتجة استنتاجا، وبالتالي فالقولان مع هذه النتيجة يمثلان قياسا منطقيا، ويكون شكله على هذا النحو:

مقدمة كبرى: كل ما بني على الفاسد فهو فاسد ⟵ مصرح بها.

مقدمة صغرى: قرارات الحكومة في التعليم مبنية على قرارات فاسدة ⟵ مصرح بها.

النتيجة: قرارات الحكومة فاسدة ⟵ مستنتجة.

↓↓↓

قياس منطقي

(2) - كذلك ننطلق من النتيجة المتوصل إليها في القياس السابق، إذ تصبح مقدمة كبرى لقياس ثان، وبما أنّها مقدمة كبرى وهي في الأصل مضمرة فإنّ هذا القياس إضماري، خاصة وأن المقدمة الصغرى مصرح بها، ويكون بالشكل الآتي:

مقدمة كبرى: قرارات الحكومة فاسدة ⟵ مضمنة.

مقدمة صغرى: قرارات الحكومة مكرسة لتبعية التعليم للحكومة ⟵ مصرح بها.

النتيجة: تبعية التعليم للحكومة أمر فاسد ⟵ مضمنة.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى والنتيجة.

(3) – كذلك تصبح تلك النتيجة عبارة عن مقدمة كبرى لقياس إضماري آخر، مذكور المقدمة الصغرى وهو القول الرابع، ومذكور النتيجة وهي القول الخامس والأخير ويكون على الشكل الآتي:

مقدمة كبرى: تبعية التعليم للحكومة أمر فاسد ⟵ مضمنة في الأصل.

مقدمة صغرى: تبعية التعليم للحكومة تقيده ⟵ مصرح بها.

النتيجة: لا حرية للتعليم في الجزائر ⟵ مصرح بها.

↓↓↓

قياس إضماري محذوف المقدمة الكبرى.

الاستنتاج الكلي للقياس المتدرج هو القول الخامس والأخير وهو: لا حرية للتعليم في الجزائر، وتعتبر هي النتيجة العامة للقياس المتدرج، على الرغم من أنّها هي نتيجة القياس الإضماري الأخير.

وبوجه عام فالنتيجة غير مطلوب منها أن تقرر أكثر مما هو مذكور في المقدمتين، وعادة ما تتبع الأضعف منها لأن ذلك يضمن لها سلامة الاستدلال.[1]

[1]– ينظر: محمد مهران رشوان، مبادئ التفكير المنطقي، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1994، ص 150.

المبحث الثاني: وسائل الإقناع اللغوية في المقالات:

الوسائل المنطقية واللغوية في كل نص حجاجي هي سداه ولحمته، فكما كانت اللغة الأداة اللفظية لنقل المعنى أو النتيجة في كل سياق منطقي، فإنّها في الحجاج وسيلة لفرض سلطة على الآخرين من قبيل استدراجهم إلى الدعوى المعبّر عنها وإقناعهم بمصداقيتها.[1]

ومن ثَمَّ شُرع البحث عن بدائل غير لغوية في كثير من المواقف المألوفة غير الحجاجية، إلاّ أننا في هذا المقام سنقتصر على الوسائل التي لها صلة وثيقة بالإقناع والاستمالة، لنقف عند أنماطها المختلفة محاولين تحليلها، دون الخوض في كثير من مجالات البحث اللغوي الاتصالي الذي يزودنا بكثير من المعطيات المفيدة عن النص الحجاجي العربي، والتي أخذنا منها ما يميز النص الحجاجي العربي عن غيره من النصوص.

وسنقتصر في هذه الدراسة على ثلاث بنيات لغوية وهي: بنية التكرير، وبنية التوازي، وبنية الازدواج أو التوازن.*

1 -بنية التكرير:

يعد التكرار وسيلة من وسائل تدعيم المعنى، والتكرار من العلاقات الدلالية التي تظهر من خلال قضايا كبرى، على أن تكرار قضية كبرى يؤكد على أن الكاتب يلح على فكرة معينة، ويحاول أن يوصلها إلى المتلقي عبر طرق معينة تتطابق فينتج عنه تكرار.[2]

---

[1]- ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 230.

*- اقتصرنا في أنواع البنيات اللغوية عند الأنواع الثلاثة المذكورة، بناء على ما حدده الدكتور محمد العبد، على اعتبار أن البنيات الثلاثة هي الأبرز في النص الحجاجي العربي، وهي مميزة له، لذا آثرناها دون غيرها، راجع تفصيل ذلك: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 230، 231.

[2]- ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط 1، 2003، ج2، ص 77 ، 78.

وتكرار تلك القضية يؤكد على تقدير الكاتب للمرسل إليه بشكل مبالغ فيه، يهدف به إلى الاستمالة، فوحدة الموضوع مع تطابق المحمول هو البناء الأساسي لمفهوم التكرار.

والتكرار لغة هو مصدر كرّر، وكرّر الشيء تكريرا وتكرارا أعاده مرة بعد أخرى. [1]

وفي اصطلاح البلاغيين: التكرار " هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مردد، واللفظ واحد ".[2]

وهو عند ابن الأثير كذلك ينقسم إلى قسمين:

(1) - تكرار في اللفظ والمعنى.

(2) - تكرار في المعنى دون اللفظ.

وقد يسمى التكرار الترداد كما عند الجاحظ، وقد قيده بأمرين اثنين:

الأول: على قدر المستمعين وما يمكن أن يخلصوا إليه، وإلا فإنه لا حد له، وحسب من يحضره منهم من عوام وخواص.

الثاني: مراعاة المتكلم للمقام ويكفي في الإفهام شطر الكلام دون التكرار إن كان ذلك كافيا وإلاّ فعليه التكرار بالقدر الذي يحول دون أن يكون خطلا وزيادة.[3]

وقد ذكر الجاحظ نوعين من التكرار؛ تكرار اللفظ، وتكرار المعنى، دون أن يفصل في ذلك، وفي ذلك يقول:" ما سمعنا أحدا من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عِيًا ".[4]

والحقيقة أن التكرار ظاهرة لغوية قلّما تجد نصا يخلو منها، وقلّما تجد كاتبا لا يستعين بها، وقد رصدها البلاغيون وعلماء اللغة فوجدوها أنواعا شتى، كتكرار الحرف، وتكرار الكلمة،

---

[1]- ينظر: الوسيط، ج2، ص 788.

[2] - ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 110.

[3]- ينظر: الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1988، ج1، ص 91.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 105.

وتكرار الجملة، وتكرار المعنى، وكلها تؤدي دورها الفني والبياني بحسب السياقات والمقامات التي تقال فيها، وقد نبّه أبو هلال العسكري إلى أنّ " التكرار يراد منه تأكيد الحجّة على المأمور به"[1].

فهناك دائما قضية أساسية يتم توسيعها من خلال إدخال معلومات جديدة (صفات، أفعال،...)، وهذا يوضح ما للتكرار من تأثيرات بنائية ودلالية، فالكلمات والجمل المكررة غالبا ما تسهم في تمييز القضية الأساسية وتشير إليها، " كما أنّ التكرار عامة يسمح للمتكلم أن يقول شيئا مرة أخرى بالتتابع، مع إضافة بعد جديد له "[2].

ويؤكد منظرو الحجاج على أهمية التكرار بوصفه وسيلة لعرض الخطاب عرضا حجاجيا لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، وكذلك التشديد على بعض مقاطع الخطاب، والتكرار بالإضافة لوظيفته التركيبية، مثل دوره في السبك المعجمي، فإن له وظيفة اتصالية إقناعية، حتى يكون تكرير اللفظ في إطاره الحجاجي الإقناعي لابد وأن يراعى فيه القصد.

فالتكرار عبارة عن إحالة قبلية، حيث تحيل اللفظة نفسها إلى مثيلتها السابقة أو يحيل المرادف إلى مرادفه[3]، مما يعطي المخاطِب إمكانية إنتاج صور لغوية مغايرة، قد تسهم في فهم مقصود المتكلم أو زيادة ترسيخ لدعواه ورأيه.

قد يحدث وأن تخلو مقالة ما من التكرار، فربما يعود ذلك إلى البناء المنطقي المحكم والمكثف لتلك المقالة، والذي جعلها مترابطة الأفكار، وهو لم يعط لأية فكرة من الأهمية أكثر

---

[1]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 156.

[2] - Micheal Hoey, Patterns of lexis in text, Oxford University press, 1991, p 52.

[3]- ينظر: خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص201.

مما أعطاه لمثيلاتها، خاصة في حالة تعدد الأغراض؛ إذ قد يؤدي التأكيد على إحدى الأفكار إلى اعتقاد القارئ بتملق الكاتب لذلك الطرف، ومع ذلك لابد وأن يلجأ الكاتب إلى غير التكرار لكشف وإبراز موقفه من خلال سياق الخطاب، " كأن يلجأ إلى الترادف ويكون بديلا أكثر مقبولية لدى قارئه "[1].

ويمكن أن نجمل العديد من المعطيات المهمة عن التكرار نوردها فيما يلي:

1 - للتكرار وظائف خطابية عدة، عبّر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف، وتوكيد الكلام والتشديد من أمره وتقرير المعنى وإثباته.[2]

2 - ليس التكرير محض وقوع اللفظ في الكلام أكثر من مرّة، أو صياغة المعنى الواحد أكثر من مرة، إذ يخرج عن حكم التكرير مثلا إطالة الفصل من الكلام وافتقار أوله إلى متمم لا يفهم إلاّ به، فيقتضي سبك الكلام — إذ ذاك — أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل.[3]

3 - قد ترتبط بعض حالات التكرار بالتغيير في سلوك المخاطب، كالحث على المبادرة لامتثال أمر ما على الفور في تلك اللحظة، كقولك: أسرع، أسرع، أسرع، فإنّك ما تريده بهذا اللفظ المكرر هو أن يبادر بالإسراع في تلك الحال الحاضرة.[4]

4- قدّم ابن الأثير محاولة لتصنيف التكرير، واعتبره نوعين:

أ - التكرير في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه: أسرع، أسرع.

---

[1]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص _ نظرية منهجية في بناء النص النثري _ ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2007، ص 109.

[2]- ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 20، 21.

[3]- ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 231 ، 232.

[4]- ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص 3.

ب –التكرير في المعنى دون اللفظ، كقولك أطعني ولا تَعْصني، فإنّ الأمر بالطاعة نهي عن المعصية.

وقد ذهب ابن الأثير إلى أن التكرير في المعنى يدل على معنيين: خاص وعام، ولكنه تقسيم جزئي جانبي للغاية.[1]

كما قد عولج التكرير في اللسانيات النصية من منظور دوره في السبك المعجمي، وإن كانت التكريرات التركيبية تخرج عن إطار دراستنا وغرضنا هنا، فما نقصده من خلال تحليلنا لبنية التكرير هو الوظيفة الاتصالية الإقناعية.

كما سنختار ما ذهب إليه محمد العبد من اختيار تصنيف التكرير إلى تكرير الشكل، وتكرير المضمون، من بين العديد من التصنيفات، والقول بتكرير المضمون بدلا من المعنى عنده – أي محمد العبد – هو أن " ما يسمى بتكرير المعنى لا يكون المعنى فيه مكررا، بل يتغير بتخصيص أو تعميم أو اشتراك في جزء من المعنى، وإذن ما يجمع المعنى والمعنى هنا نقل مضمون عام واحد "[2]، وهذا ما نراه وسنعمل به في هذه الدراسة، من بين ما أتيح لنا في مقالات البشير الإبراهيمي – أي مدونة الدراسة –، من تبيين لتكرير الشكل، ثم تكرير المضمون.

I– تكرير الشكل:

ينبغي أن نشير أولا إلى أنّه ليس كل تكرير شكلي بالضرورة يؤدي إلى إقناع، بل الأساس أن " تكرير الشكل لا صلة له بالإقناع إلاّ إذا لوحظ فيه قصد إلى ذلك"[3]، وفي بعض الأحيان لا يكون للكاتب أو المخاطب من بديل عن التكرار، فلا يمكن أن نضيفه في تكرير

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 27.

[2]– محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 235.

[3]– المرجع نفسه، ص 235.

الشكل الإقناعي، كما قد يقتضي طول الفصل من الكلام فيضطر المخاطب أو الكاتب إلى تكرار لافتقار أول الكلام إلى تمام لا يفهم إلاّ به، إلى غير ذلك من الحالات التي يقتضيها السبك.

1- تكرير المكرر بذاته:

سواء أكان لفظا مفردا أو غير ذلك، في منطوق واحد أو غير ذلك.

أ - **تكرير اللفظ المفرد:**

حيث يتكرر اللفظ كما هو دون تغيير، فقد يكون لدفع دعوى خصومه، أو قد يكون في سياق تبرير دعواه، وبدوره يمكن أن يصنف إلى:

أ – 1 – تكرير اللفظ المفرد الذي يمكن الاستعاضة عنه بالضمير:

مثل قوله:" إنّها تدخلت في **السياسة** وما ينبغي لها، لأنّها لا تحسن **السياسة** ولا تنطق بها..." 2 / 61، كان بإمكانه الاستعاضة عن لفظة " السياسة " بضمير فيقول : (لأنها لا تحسنها) ولكنه كرر اللفظ ذاته، لأنه في هذا المقام هو محور الكلام.

كذلك الأمر مع قوله :" أمّا العلة فهي أنّ اجتماعنا كان **لله** ولنصرة دين **الله** ولتأدية حق **الله** في عباده.." 10 / 553. فعلى الرغم من إمكانية الاستعاضة عن لفظ الجلالة بضمير إلاّ أنّه ذكره، وذلك لعظم الأخوة في الله بينه وبين عبد الحميد بن باديس وجماعته، فلم يكن رابطا يربطهم إلاّ ما ذكره من خدمة لله وفي الله، فقصد إبرازها حتى لا تُخاطر المخاطَب فكرة التلاقي على المصالح الدنيوية، فكان حجاجه بإبراز الأصل والسكوت عن الحجة (لا – ن) لعدم ورودها في ذهنه ومن ثمة ذهن المخاطَب.

والشيء نفسه في قوله:" ارم **دينك** باسم **دينك** ، واخدع **أمتك** باسم **أمتك** ..." 12 / 341. فلقد كان بإمكانه الاستغناء عن لفظتي " دينك " و " أمتك " بضمير ومع ذلك ذكرهما، هذا من أجل إظهارهما، ليبيّن لمحاججه ــ وهو العاصمي ــ عظيم وكبر ما رمى

ومن خدع، فأن ترمي الدين باسم السياسة أو التجارة أو غيرهما أمر معيب وينم عن مكر الفاعل وخداعه، فما بالك أن تحتال على الدين باسم الدين، وتخدع الأمة باسم الأمة، فتجمع بين كبيرة الخداع والمكر وكبيرة الاستغلال، وفي هذا تدعيم لدعواه ودحض دعاوى الخصم وحججه.

على الرغم من إمكانية الاستغناء عن التكرارات السابقة بضمير إلاّ أنّه كرّر اللفظ قصد تهييج خصمه ــ بإبراز دعوى المحاجج عن طريق الذكر ــ مع كل مرة، فتكريره هنا إذن وسيلة لإقناع الخصم عن طريق دحض زعمه وكشف حقيقته،كما تكشف سياسة السياق اللغوي مع تلك البنية عن كفاءة اتصالية حجاجية عالية.

أ – 2 – تكرير اللفظ المفرد الذي لا يمكن الاستعاضة عنه بالضمير:

من ذلك قوله في الأكاذيب التي يقول بها خصوم جمعية العلماء :" إنّ هذه السفاسف لم تبن على مقاصد **صحيحة** ، فلم تأت بنتائج **صحيحة** ، ولم تنشأ عن إيمان راسخ... " 2 / 60.

كذلك قوله في المقال نفسه؛ إذ يبيّن ردّ جمعية العلماء :" ثم تقول لكل فريق على انفراد ما يلجم فاه، وإن لم يردعه عن هواه، تقول للاستعمار: إنّه لا يصدقك جلية **الجمعية** إلاّ **الجمعية**،..." 2 / 62.

والشيء نفسه في قوله مبيّنا دور الجمعية :" وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين **العربي** و**العربي**، لأن ذلك طريق إلى خدمة اللغة والأدب " 2 / 62.

وفي قوله الآتي نجد حالتين لتكرار اللفظ، لكنهما بصورتين مختلفتين، إحداهما تكرار مباشر؛ أي أن اللفظتين متتاليتان، والثانية فيها تباعد، وذلك عند قوله:" و**إليك إليك ترامت**

همم الفاتحين، و **ترامت** الأيْنُق الذلل بالفاتحين، تحمل الهدى والسلام، وشرائع الإسلام " 3 / 435.

وفي النص السابع قوله مخاطبا أعضاء المجلس :" ولكننا نعلم أن زماننا أملك بأحوالنا، وأن أحوالنا أشبه ببعضها من **الغراب** با**لغراب** ، فلا نستنكر من فرض الدستور أن يفرض رجاله، ولا على من ضيّق نصوصه أن يضيّق مجاله " 7 / 187.

كذلك الأمر في تبيين قول عبد الحميد بن باديس على اقتراح الإبراهيمي له في نشر دعوته وعلمه في الشرق، قوله:" ويقول لي: أنت أعرف بالشرق، وألين عريكة مني (وهذه عبارته بحروفها). وكنا نتّفق على الأصل و **نسوّف** و**نسوّف** إلى أن فرّق الموت بيننا " 10 / 554.

والشيء نفسه في قوله مخاطبا الشباب وحثّهم على طلب العلم:" **العلم** ...**العلم**... أيّها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب، ينفخ في ميزاب ..." 11 / 316.

كذلك قوله في نفس المقال؛ إذ نعثر على تكرار للفظين اثنين بنفس الصورة، تكرارا مباشرا :" إنّ هؤلاء اللصوص يغدون على أبنائكم ويروحون، ويقعدون لهم بكل صراط، ويتنقلون بهم في الإفساد وتضييع الأوقات وتعطيل المواهب من **منزلة** إلى **منزلة**، ومن **مرحلة** إلى **مرحلة**..." 11 / 317.

أ – 3 – تكرير اللفظ المفرد الذي يعد نواه الكبرى:

إذ قد يصل المخاطب بتكراره للفظ المفرد إلى حد يصير فيه هو أساس ونواة الدعوى الرئيسة؛ إذ يكرره تدعيما وتشييدا لدعواه، كما في قوله " ويقول آخرون قطعت الطريق بينهم وبين الأمة: إنّها تدخلت في **السياسة** وما ينبغي لها، لأنها لا تحسن **السياسة** ولا تنطق بلسانها، لسان **السياسة** أعجميٌ، ولسانها عربي مبين ..." 2 / 61.

فمع تكرار لفظ السياسة في هذه الجملة ــ وفي جمل كثيرة من النص ــ يريد الكاتب تشييد و تبرير دعواه، فيرتبط مصطلح الدعوى باللفظ المكرر.

والشيء نفسه مع النص الرابع عشر من تكرير للفظ " الدين "، وذلك في قوله: " فترى أن حكومات تلك الأقطار هي القائمة على شؤون **الدين** ، ... وهنّ يتصرفن في **الدين،** فأنا أتصرف في **الدين** ... فهي تمارس شؤون **الدين** بحكم **الدين،** وتجري هي تصرفاتها فيها وتسيّرها لها على أحكام **الدين** ، وترجع في ما يُشكل عليها إلى رجال **الدين** ، وهم ــ بالطبع ــ ليسوا كعلماء دين الحكومة الجزائرية..." 14 / 101.

كذلك لفظة " مصر " في قوله:" وإنّ الشعب الجزائري حين يظهر بهذا الإحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصري، إنما يقدّم جهد المقلّ، من قلوب ملؤها الحب **لمصر،** والاعتزاز بأخوّة **مصر،** والإعجاب بما صنعت **مصر** ، وإنه يعتقد أنّ كلّ مصري يخرج عن إجماع **مصر** فهو مدخول العقيدة، مغمور النسب، وأن كلّ عربي لا يؤيّد **مصر،** فهو عاقّ للعروبة، ناكث لعهدها، وأن كلّ مسلم لا يعين **مصر** بما يملك فهو مارق من الأخوة الإسلامية الشاملة " 20 / 493.

فمما سبق من تكرار للفظ " مصر " نلحظ أن الكاتب يريد تشييد و تبرير دعواه، وذلك لارتباط مصطلح الدعوى باللفظ المكرر وهو " مصر " هنا.

ب – تكرير عبارة أو جملة :

ويقع ذلك في المقدمات لتقرير المعطيات، كما يقع في التبريرات والدعاوى جميعا، يلفت الانتباه هنا تكرير الجملة في الدعوى، سواء أكانت المقدمة دعوى الحجاج أم وقعت الدعوى والمقدمة في مكانيهما المعتاد.

ب – 1 – تكرير الجملة كاملة أو عبارة منها:

حيث يكون المكرر جملة دون أيّما تغيير، وذلك لتأكيد مضمونها؛ إذ نجد في النص الرابع تكرارا مطولا لعبارة " **أتمثله** " على رأس أكثر من ستة جمل متوالية، ثم تكرر الأمر في بقية النص ككل، كذلك في النص نفسه صياغة " كل ... أخا له أخوة... " ثلاث مرات.

والأمر نفسه تكرار جزء من الجملة أو عبارة منها في النص الواحد والعشرين أكثر من ثلاث مرات متوالية، وهي عبارة " في وقت ما "، كان ذلك في سياق كلامه عن العربية، ليبين أنها كانت ناقلة وحاوية العلوم في زمن ما، ولولا الاستعمار الذي قصد تغييبها بالتضييق والمحاربة والمنع من تعليمها أو التعليم بها لكانت لا تزال قادرة على ذلك.

وفي النص ذاته تكرير عبارة، وذلك عند قوله:" **والأمة تريد تعليما عربيا** يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت، **والأمة تريد تعليما عربيا** عليه طابعها... " 21 / 283 ، 284.

كما قد يقع التكرير مع تغيير في التركيب، وعادة ما يكون هذا التغيير بتوسع المدى بين الشكل الأول (المكرر) والشكل الثاني (المتكرر)؛ إذ يبرهن الكاتب على دعواه حتى يخلص إلى قوله، مكررا العبارة مع تغيير في التركيب.

قد نلمس له مثالا في النصوص المختارة، من مثل ذلك قوله:" فلا نريد أن تبقى للحكومة يد ولا إصبع في تعليمنا العربي الديني، **ولا في شعائرنا الدينية ولا في مساجدنا** ، ولا نريد **إلا أن تكون الأمة حرة في دينها، مطلقة التصرف في مساجدها وأوقافها وشعائر دينها** " 14 / 102، تكرار للجملة مع اتساع في مدى تعبير الثانية.

ب – 2 – تكرير صدر الجملة:

ويقع هذا النوع من التكرار في أول الجملة، وقد يلحق بالجزء المكرر بعض التغيير أحيانا.

من ذلك قوله :" في هذا الوطن الجزائري شعب عربي مسلم، **ذو ميراث** روحاني عريق وهو الإسلام وآدابه وأخلاقه، **وذو ميراث** مادي شاده أسلافه لحفظ ذلك التراث، وهو المساجد بهياكلها وأوقافها..." 1 / 46.

وكذلك الحال في قوله:" وإنّما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه، **وما دافع** بابل إلاّ انحسارُ الموجة البابلية بعد أن بلغت مداها، **وما دافع** الرومان إلا عمر والعرب وأبطال اليرموك وأجنادين، **وما دافع** الصليب وحاميه إلا صلاح الدين وفوارس (حَطّين)" 3 / 436.

والأمر نفسه في قوله:" **ما قيمة** الشباب؟ وإن رقت أنداؤه.....بل **ما قيمة** الكهولة؟ وإن استمسك بنيانها.... بل **ما قيمة** المشيب؟ وإن جلله الوقار بملاءمته... **ما قيمة** ذلك كله؟ إذا لم تنفق دقائقه في تحصيل علم..." 4 / 512.

كذلك في قوله:" **وإن تدبير** الأحوال الاجتماعية لأقوى وأبقى من تدبير الجماعات، **وإن تدبير** الجماعات لأثر من روح الاجتماع،... " 10 / 549.

ومن ذلك أيضا قوله:" **هذه الحركة العلمية** الجليلة القائمة بالقطر الجزائري،.... **وهذه الحركة العلمية** لم يضع أصولها العلمية،..... **وهذه الحركة العلمية** لا تبلغ مداها...." 11 / 312.

وفي النص نفسه قوله:" وإلاّ باء بجريمتين: **الإساءة إلى** العمل في صميمه، و **الإساءة إلى** الشريك العامل بالفتّ في عضده " 11 / 313.

كما قد يكون المكرر من الجملة أو صدر الجملة " ضميرا "، كما في قوله:" **أنتم** ــ يا أبناءنا ــ نتاج هذه الحركة العلمية المباركة، و **أنتم** غلة سنة خضراء بين سنين يابسات، و**أنتم** الركاز الذي أظهرته هذه الرجة العنيفة.... " 11 / 314.

ومن تكرار صدر الجملة ــ مع تغيير طفيف ــ ما ورد في قوله:" ويسوؤنا **ويسوء الحقيقة أن تزوروا الجزائر** فتزوروا كل شيء إلاّ الجزائر، **يسوء الحقيقة أن تزوروا الجزائر** زيارة تعد من أعمالكم... **يسوء الحقيقة والواقع أن تزوروا الجزائر** هذه الزيارة التقليدية..." 15 / 91.

من تكريرات صدر الجملة في المقالات كذلك، قوله:" **وإن قليلا للنهضة** ــ ولو كانت في مبدئها ــ أربعون ألف تلميذ يتعلمون المبادئ الأولية...، **وإن قليلا للنهضة** عشرات من الملايين تنفق على العلم... " 16 / 255.

ومن أمثلته في نصوص الدراسة أيضا، ما كان في قوله :" **في العربية تركيب** الإسناد، والإسلام لا يرضى أن يسند إلى فرنسا الاستعمارية...، **وفي العربية التركيب** الإضافي، والإسلام....، **وفي العربية التركيب** الوصفي، والإسلام... " 18 / 350.

كذلك من تكرار الضمائر ما ورد في النص السابق نفسه عند قوله:" **وهم الذين** رضوا للعلم بالامتهان، **وهم الذين** لم يعتصموا بالاستقلال العلمي...،**وهم** ــ من منازل الاعتبار ــ في المنزلة... " 18 / 352.

ومن تكرير صدر الجملة، تكرار ما في أولها، من ذلك ما ورد في قوله:" **دفع** الإسلام أبناءه بتلك الروحانية...، **دفع** الأبطال إلى الفتح...، **ودفع** أولي الهمم إلى الملك...، **ودفع** العلماء إلى التربية...، **ودفع** الأغنياء إلى بناء المآثر..." 19 / 137.

ب – 3 – تكرير عجز الجملة:

حيث يتكرر آخر الجملة مع بعض التغيير اللاحق بها في بعض الأحيان، ويهدف هذا التكرير إلى تثبيت الدعوى أو تقرير المعطيات، إنّه يهدف إلى جعل محتوى الحجاج مفهوما أكثر، إنّه يزيد الفهم بجذب انتباه المستقبل وامتلاكه.

نجد ذلك في قوله:" وتعامل بها العربية في موطنها، وكانت تقوم بتنظيمات وبيانات، ولكنها كانت دائما تقابل **بالسكوت والإهمال**،..... وقد لقيت تلك المطالب ما لقيه قبلها من **سكوت وإهمال** " 1 / 48.

والأمر نفسه في قوله:" أما جمعية العلماء فليست **من أولئك ولا من هؤلاء** ، ولكنها بطبيعة الحال وبمكانتها من الأمة متهمة **من أولئك وهؤلاء** " 2 / 61.

نلمس الشيء نفسه في قوله:" لتعلم أنه ما دام الإسلام عقيدة وشعائر، وقرآنا وحديثا وقبلة واحدة، فالمسلمون **كلهم أمة واحدة** ، وما دامت اللغة العربية لسانا وبيانا وترجمانا فالعرب **كلهم أمة واحدة** " 2 / 63.

كذلك الأمر في قوله :" تستحسن العقول **قتل القاتل**، وتؤيدها الشرائع فتحكم **بقتل القاتل** " 8 / 334.

كذلك قوله:" فلقد ــ والله ــ كنا **إخوان صفاء** ، وما زلنا **إخوان صفاء** ، وسنبقى **إخوان صفاء**، حتى نجتمع عند الله راضين مرضيين إن شاء الله " 10 / 553.

ومن أمثلته أيضا في المقالات، ما جاء في قوله :" وهل الجزائر فرنسية؟..لا يا قوم لا، إن الله خلقها **عربية مسلمة**، وستبقى **عربية مسلمة**... " 17 / 348.

والأمر نفسه في قوله:" ولا تصدّها عن أداء واجبات الأخوّة هذه الحدود الوهمية التي خطّها الاستعمار بين أجزاء **الوطن الواحد** ، ولا هذه السدود الواهية التي أقامها بين أبناء **الوطن الواحد** " 20 / 492.

I– 2– التكرير في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة:

قد يتسع تكرار هذا النوع حتى يصير آلية لغوية مهمة من آليات دفع دعوى الخصم، وإقناعه بالإقلاع عنها.

ونراه في غير نص من نصوص الدراسة، وقد أتى على الشاكلة الآتية:

ففي النص الأول قوله:" فلم ينظر إلى ذلك كله على أن حق طبيعي معقول، ضاع بين **حيلة المحتال** ، **وغفلة الغافل** في وقت، فمن المعقول أن يرجع إلى نصابه بين **إنصاف المنصف، وحزم الحازم**،...لأنصف الأمم من نفسه **فاستراح وأراح** " 1 / 47.

كذلك في قوله:" وتتدخل حتى في كيفية دفن موتاهم، وما دامت هذه **السيادة سائدة**، وما دامت العنصرية موجودة،... " 2 / 60.

وقوله في النص نفسه :" فبحت الأصوات، وَأَكْدت الوسائل، فلا **يقولن قائل** فيها وفينا غير هذا فأهل مكة أدرى بشعابها... أقوالا **تختلف باختلاف** أهوائهم فيها... **تلجئهم** إليها الضرورة **إلجاء**... " 2 / 61.

وبصياغات مختلفة في النص ذاته نجد قوله:" وأننا لا نستنزل عن ذلك الفهم **برقية راقّ**، ولا **بتهديد مهدّد**... " 2 / 62.

كما وردت بصور كثير ومتعددة في النص، من ذلك قوله:" وما ظلمت يا فلسطين ولكن بنيك **جرّوا** عليك **الجرائر**" 3 / 436.

أيضا في قوله:" ولتيسر لهم سبل الاختلاط، حتى يجر **حديث حديثا** " 6 / 81.

كذلك في قوله:" وبين **سخط الساخط** و**حسد الحاسد** جرت أمور ... فلن تستغنوا عن و**عظ واعظ**، و**نصيحة ناصح**... " 7 / 186.

وفي قوله:" تستحسن العقول **قتل القاتل** ..." 8 / 334. وأيضا قوله:" لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين **ترحل برحيلهم** و**تقيم بإقامتهم** " 9 / 206.

والأمر نفسه في قوله:" وأرتهم مصداق ذلك حتى لا **يرتاب مرتاب** " 10 / 550.

وأيضا قوله:" تنتقل بها من **عال** إلى **أعلى**، ومن **نافع** إلى **أنفع**... وأن من آثار يقظة الفكر التنبه **لتدجيل الدجّالين** " 11 / 313.

كذلك في قوله:" أجهز على **البقية الباقية** ولك مني الجنة الواقية " 12/ 341.

وأيضا:" أما في الجزائر فالانتخابات منذ سنت **لعبة لاعب** ، **وسخرية ساخر**..." 12 / 343.

وقوله:" وإن المجلس الذي انبثق منه **ناقص بنقصه، مختل باختلاله** " 15 / 93 .

وكذلك :" وشادت له من المدارس ما **يفخر** به **الفاخر** " 16 / 255 .

وأيضا قوله :" فقد أتى في هذه السنة **بالعجب العجاب** " 16 / 256.

ومنه كذلك قوله:" وكل واحدة من هذه المؤثرات كافية لتحويل النظرة من **أفق** إلى **أفق**، ونقل الاتجاه من **سبيل** إلى **سبيل**، وتبديل العقلية من **نزعة** إلى **نزعة** " 22 / 178.

هذه الهيئة من التكرير المبنية على : فعل + اسم فاعل (وردت تقريبا مرتين)،

أو فعل + مفعول مطلق(وردت مرة واحدة)،أو مصدر+ اسم فاعل (مضاف ومضاف إليه) هذه الأخيرة وردت كثيرا وأكثر من الحالتين السابقتين، وغيرها كثير ، هذه تعكس في سياقها

الحجاجي حالة من حالات التأثير في سلوك الخصم ــ في منازعة محتدمة ــ، وذلك باستخدام علاقات لغوية تعتمد في تأثيرها السمعي على مبدأ التجانس.[1]

II – تكرير المضمون:

يبنى تكرير المضمون أو المحتوى على مكونات لغوية مترادفة أو مشتركة في جزء من المعنى، دون تكرار للفظ، وهو عدة أنواع حسب ما تتيحه لنا النصوص المختارة من تصنيفات، وفيما يلي تفصيل ذلك:

1/– تكرير مفردتين متواليتين أو أكثر في جملة واحدة أو منطوق واحد لمعنى واحد، أو لمعان عدة:

وهذا النوع لم يكد يخلو منه نص من نصوص الدراسة ــ فقط النص الواحد والعشرون ــ؛ بل من خلال الإحصاء يتبين بأنه النوع الأشيع الأعم؛ إذ يمثل حوالي 75% من مجموع أنواع تكرير المضمون؛ أي ما يعادل ثلاثة أرباع كم الأنواع الأخرى مجتمعة.

ويمكن التمييز بين أنواع عدة لهذا الصنف من التكرار:

1 – أ – يستخدم الكاتب مفردتين أو أكثر على أنها مترادفة وأن إحداهما يمكن أن يحل محل الأخرى.

وهذا الشكل من التكرار هو أكثر أشكال هذا النوع وقوعا في النصوص الحجاجية العربية، إنّه يمثل ما يقرب من 75% من جملة الأشكال الأخرى في النصوص العربية عموما، وهو في مجموع نصوص المدونة يمثل حوالي 60%.

وهو ما يسمى بالترادف الكامل حيث يتطابق اللفظان تمام المطابقة، ولا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما، ولذا تجد أنهم يبادلون بينها بحرية في كل السياقات.[2]

---

[1]– ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 241.

[2]– ينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص 220.

إذ يرى الكاتب في الجمع بين مفردتين أو أكثر لمعنى واحد آلية لشغل فضاء ذلك المعنى كاملا، حيث تقصر المفردة الواحدة _ في ذلك السياق الحجاجي طبعا _عن أداء تلك الوظيفة، يعني هذا أن الترادف لا يبلغ _ مهما بدا قريبا _ أن يكون ترادفا كاملا.[1]

ومن أمثلته في نصوص الدراسة ما يأتي:

قوله:" فتعهد في الظاهر باحترامها، والمحافظة عليها، وقطع **قادته** و**أئمة** العهود على أنفسهم..." 1 / 47.

كذلك في قوله:" وبعد أن كان من نتائجه هذا الجو المتغير الذي يتمنى له كل عاقل **الصفاء** و**الإشراق**... " 1 / 47.

وفي قوله:" للسياسة في جميع بلاد الله وعند جميع خلقه معنى **محدود قارّ**.... " 2 / 59.

وكذلك قوله في النص نفسه:" فإن هذه اللفظة _ لفظة السياسة _ تبقى **ذليلة مهينة**، مجردة من **جلالها وسموها** ، نجدها في باب الإجرام والاتهام، أكثر مما نجدها في باب **الإكبار والاحترام** ... ،إنّ من أعلى معاني السياسة عند المحكومين هو تدبير المماليك **بالقانون** و**النظام** ... أما عند المحكومين فأعلى معانيها إحياء المقومات التي ماتت أو **ضعفت** أو **تراخت** ... ثم الإصرار على المطالبة في **قوة** و**شدة** ... وهذا الجدل **الشاتم السباب**..." 2 / 60.

وأيضا قوله في النص ذاته:" سلاح **ترهيب** و**تخويف** للمصلحين " 2 / 61.

---

[1]- ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 243.

كما نلحظ ذلك في قوله:" فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه **ودواعيه وحججه** وغاياته ... تعتمد عليه وعلى **الحيلة والمكر** والتباكي والتصاغر في حينه " 3 / 437.

وفي قوله كذلك :" وأذهبت منه ما يذهب القفص من الأسد من **بأس وصوله** ... أتمثله مقبلا على **العلم والمعرفة** ليعمل **الخير والنفع**... " 4 / 509.

ومنه قوله:" يأبى أن يكون حظّه منها **الأخسّ الأوكس**.. " 4 / 511.

وفي النص ذاته قوله:" أتمثله مصاولا لخصومه **بالحجاج والإقناع**، لا **باللجاج والإقذاع** ... " 4 / 517.

كما نجد ذلك في قوله:" وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من **التياع وحرارة ، وحسرة ومرارة** ، ويزيد عليها جميعا بمعنى آخر، وهو ما يلحقه من **الحقد والبغض والتألم والتظلم**... " 5 / 297.

وفي قوله:" حتى أصبح **متخلخلا متزلزلا** لا استقرار له " 5 / 299.

كما نجد ذلك في قوله:" وصمها بعضهم **بالتحريف والتبديل** ، وخلطها بعضهم **بالأجنبي والدخيل** " 6 / 78.

وفي النص ذاته قوله:" هذه هي معاملة الإسلام للدينين حيثما جمعتهم الأرض، يوم كانت له **السيادة والسلطان** ... ولكننا نكتب لجريدة فحسبنا أن **نلمح ونشير**... " 6 / 80.

وقوله:" وتجهزها بكل وسائل **الإغراء والإغواء** ... وإنما تقدر المصلحة بالحاضر وإن كان **زائفا** أو **مدخولا** " 6 / 81.

والشيء نفسه في قوله:" وإن كانت اللغة سائرة إلى **المحو والاندثار** " 7 / 188.

وفي قوله:" اللغة العربية في الجزائر ليست **غريبة** ولا **دخيلة** " 9 / 206.

وكذلك نجد قوله:" وأن بناءه في الوطنية الإسلامية هو البناء الذي لا **يتداعى** ولا **ينهار** " 10 / 552.

وكذا في قوله:" ولم يحم حماها من كل **دسّاس** وكل **خنّاس** ... حتى تنشق عن نهضة شاملة تفرّع النهضات **رسوخا وتمكنا** " 11 / 312.

وقد يكون التكرار في أكثر من كلمة كما في قوله:" أن تراخي الجمعيات المحلية **وتهاونها وتخاذلها وتقصيرها** في العمل " 11 / 314.

وقوله في النص نفسه:" وتجنيب **نياتكم ومقاصدكم** " 11 / 316. وفيه قوله: " وعلى عقائدهم حتى لا **تفسد** ولا **تزيغ** " 11 / 317.

وقوله أيضا:" وما يقتضيه من **ظلم وعنت** للمستضعفين ... فإذا اقتضتها الظروف شيئا من **التعمية والإيهام** " 12 / 341.

وفي النص ذاته قوله:" ويقيمها **بسيئاتها وموبقاتها وفواحشها** " 12 / 342.

وفيه كذلك قوله:" والفقر ينهى عن **الفحشاء والمنكر** أحيانا " 12 / 343.

وقوله:" عادت عليها هذه الأيام **بالتضييق والتعسير** ... وأخرجت ما كان مخبوء في جعبتها من **القوانين والقرارات** " 12 / 344.

وفيه أيضا:" ولكن الذي **يغيض ويحنق** " 12 / 345.ومما نلحظه كذلك قوله: " حديثا فارغا **مكررا معادا** " 13 / 236.

ومن تلك التكرارت أيضا ما ورد في قوله:" من طول ما **جرّب ومَارَسَ** ... وتسفيه **للوعود والعهود** " 15 / 92.

كذلك في قوله:" ونذكر ما **بنوا وشادوا** وما **نقضوا وتبّروا** " 16 / 252.

وفي النص ذاته قوله:" لما في طبيعة يومك هذا من **الغلوّ والإسراف** " 16 / 253.

ومن قوله نجد:" جملة **تردد وتعاد** " 17 / 347. وفي ذات النص قوله:" ولعددناها غثة **مرذولة ممجوجة مملولة** " 17 / 349.

ومنه أيضا قوله:" بل نراها في غاية **البساطة والسهولة** " 19 / 140.

أيضا في قوله:" فكانت التي فيها **الشرف والكرامة** ... وعادت نوبة **المماطلة والتسويف** والوعود الكاذبة " 20 / 491.كذلك قوله:" فتلك ألوان غير **قارة** ولا **ثابتة** " 22 / 177.

وإن كان النوع السابق يسمى بالترادف الكامل، فإن الأنواع الآتية يمكن أن تسمى بالتقارب الدلالي، حيث تتقارب المعاني، لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملمح هام واحد على الأقل.[1]

1 – ب – أن تضمن الكلمة الثانية الكلمة الأولى، وهو أن تكون علاقة الثانية بالأولى علاقة العام بالخاص والعكس.

1 – ب – 1 – علاقة العام بالخاص:

وهو تضمن محدود بحدود الانتقال من درجة إلى أخرى أقوى، وهذا الشكل كثير الورود في النص الحجاجي العربي. وقد قارب 15% من باقي الأنواع الأخرى في نصوص الدراسة.

ومن أمثلته في النصوص المختارة ما ورد في قوله:" وتم لهم ــ على طول الزمن ــ بالقوة وبطرائق من **التضليل والتغفيل** " 1 / 47.

---

[1]- ينظر: أحمد عمر مختار، علم الدلالة، ص 221.

ففي لسان العرب " التغفيل: أن يكفيك صاحبك وأنت غافل لا تعي بشيء... وأغفله تركه وسهى عنه...، وأغفلت الرجل: أصبته غافلا "[1].

والتضليل: تصْيير الإنسان إلى الضلال، والضلال والضلالة: ضد الهدى والرشاد... وأضللت الشيء إذا غيّبته[2].

" فالتضليل " أعم من " التغفيل "، فبما أنه " ضلّله " فالأولى أن يكون قد " أغفله ".

ومن ذلك أيضا قوله:" وإن العصمة لرجالكم، ما لم **تطغوا** فيه و**تظلموا**... " 5 / 299.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والظلم الميل عن القصد، والعرب تقول: الزم هذا هذا الصواب ولا تظلم عنه أي لا تجر عنه.[3]

وطَغَى يَطْغَى طَغْيًا ويَطْغُوا طُغْيانا جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، ...وكل شيء جاوز القدر فقد طغى.والطاغية: الذي لا يبالي ما أَتَى يأكُل الناس ويقهرهم، لا يثنيه تحرُّجٌ ولا فرق.[4] فأن يطغى أعمّ من الظلم.

1 – ب – 2 – علاقة الخاص بالعام:

والتضمن هنا محدود بحدود الانتقال من الخاص إلى العام.

مما ورد في نصوص الدراسة قوله:" يقول عنها الاستعمار في معرض **التبرم** بها و**التسخط** عليها " 2 / 61؛ إذ يبتدئ الأمر بالتبرم من الشيء ليصل إلى حدّ التسخّط منه فيما بعد.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 37، باب الغين (غفل)، ص3277.

[2]- المصدر نفسه، مج4، ج28، باب الضاد (ضلل)، ص2601.

[3]- ينظر: المصدر نفسه،مج4، ج31، باب الظاء (ظلم)، ص2756، 2757.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، مج4، ج29، باب الطاء (طغى)، (2677 – 2679).

فقد ورد في لسان العرب " والبرم، بالتحريك: مَصْدر بَرَمَ بالأمْرِ، بالكسر، برما إذا سَئِمَه، فهو بَرِمٌ وضَجِر ... ورجل مُبْرِمٌ: ثقيل...كأنّه يقتطع من جلسائه شيئا"[1].

في حين السَّخْطُ السُخْطُ: الكراهية للشيء وعدم الرضا عنه. [2]

ومنه قوله:" يعلم أي حكم مبثوثة تحت كل **كلمة** وكل **جملة** ..." 5 / 298.

فالكلمة أخص من الجملة والأخيرة أعم.

كذلك قوله في النص ذاته:" لأن دينها يأبى عليها **الكذب والرياء والنفاق** " 2 / 62، فهناك ترتيب في المفردات الثلاثة من الكذب إلى الرياء ثم النفاق الذي يحويهما بل هو أعم من الأوليتين، كما أن النفاق أعم من الكذب، وذلك لأن الكذب آية من آيات المنافق الأربع.

1 – ب – 3– ارتباط اللاحق بالسابق ارتباط التدرج من هيئة إلى هيئة أخرى:

من ذلك ما ورد في قوله:" فما بال هذه الطائفة من الصهيونية اليوم **تنكر** الحق، **وتتجاهل** الحقيقة، **وتجحد** الفضل، **وتكفر** النعمة... " 3 / 436.

ومنه كذلك قوله:" فالإسلام إبان قوته وعنفوان فورته، تعرف إلى الدينين **بالخير والحق والعدل والإحسان** " 6 / 79.

ومن ذلك أيضا قوله:" ... في غير **الطلب والتحصيل** للعلم، **والقراءة والمذاكرة** في العلم... " 11 / 315. ومنه قوله:" كما **تعقله وتفهمه وتعرفه وتعلمه** " 14 / 101.

---

[1]- المصدر السابق، مج1، ج3، باب الباء (برم)، ص268، 269.

[2]- المصدر نفسه، مج 3، ج21، باب السين (سخط)، ص1964.

1 – ب – 4 – ارتباط الثاني بالأول ارتباط السبب بالمسبب:

وقد عثرنا على مثالين من نصوص الدراسة، وربما هناك أكثر، منه ما جاء في النص السادس قوله:" فهي تتطلب ما يسد **الفراغ** أو يدفع **الملل**، زيادة عن كونها لم تصحبها **دعاية** ولا **إقناع** " 6 / 78.

فهنا العلاقة واضحة بتدرجها بالشكل الذي أتت به في النص من أن " الفراغ " يسبب " الملل "، وكذلك في أن " الدّعاية " سبب أو سبيل " الإقناع ".

كذلك ما ورد في النص السابع عشر من قوله:" كذلك يتفاوتون في العوراء، ينطق بها أحدهم كاسمها عوراء شوهاء، **تجرح وتؤلم** ، وينطق بها الآخر ملفوفة في معارض النصح " 17 / 349، فالارتباط بين السبب والمسبب هنا هو العلاقة بين " الجرح " كسبب و" الألم" كمُسبب.

2/– تكرير المضمون المبني على مفردتين في جملتين:

وفيه يستخدم الكاتب مفردتين يتطابق معناهما بحيث يمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى، وهو ما يسمى بالترادف الكامل (على ألاّ تكونا مترادفتين)، كأن تكون الأولى في صدر الجملة والثانية في عجزها.

من ذلك قوله:" ويجعلها الثاني **وسيلة** جاه، **وذريعة** تضليل للأمة ... " 2 / 61.

ومنه أيضا في قوله:" ولكن **السخافة** كلها في هذا **التبذل** الذي أصبحت معه كلمة السياسة ... وهذه **المناقشات** الفارغة في القشور، وهذا **الجدل** الشاتم السباب ... في حين أن ذلك كله ليس في **مصلحة** الأمة الجزائرية، ولا في **فائدة** قضيتها " 2 / 60.

نجده كذلك في قوله:" بل وجد المنهج واضحا **فمشى** على سوائه، والأعلام منصوبة **فسار** على هداها ... " 4 / 511.

ومن ذلك أيضا قوله:" ولم تهشّ لها النفوس **المبتلاة** بالتقليد، و **المريضة** بالمنافسة ... " 10 / 549.

كذلك الأمر في قوله:" إلاّ أنّ لصوص العقول **أفتك** من لصوص الأموال، **وأشد** منهم عبثا وإفسادا " 11 / 316.

ومنه ما جاء في قوله:" لا يهبط بها **إنصاف**، ولا يصعد بها **عدل** ... " 15 / 92.

ومن خلال دراسة النصوص المختارة ودراسة التكرير فيها يتبين أن هذا النوع أقل الأنواع وقوعا، فهو يمثل ما يقرب نسبة 7% من مجموع الأنواع الأخرى، وهذا يزيد قليلا عن معدله العام في الخطاب الحجاجي العربي عموما، والذي هو بنسبة 4 - 5 % من مجموع تكرير المضمون ويكون عادة في سياق تدعيم الدعوى.

3/– تكرير مفردتين في ثنائية:

يمثل هذا النوع حوالي 9 % من مجموع الأنواع الأخرى، أي ما يقل كثيرا عن سدس تلك الأنواع، بينما وقوع ذلك النوع كثيرا نسبيا في النصوص الحجاجية القديمة؛ إذ يصل إلى أكثر من 40%، في حين النصوص الحجاجية الحديثة يقل فيها وقوع تكرير المضمون على مستوى ثنائية لفظية من جملة واحد مقارنة بالقديمة.

ومن أمثلته التي وردت في نصوص الدراسة ما جاء في النص الثاني قوله:" على أن معنى السياسة عندنا في تردده بين طرفي السعة والضيق، **يتسفّل دائما** ولا يعلو، **ويتبذل أبدا** ولا يسمو ... " 2 / 59، وعلى هذا يمكن تصوير التكرار هكذا:

(يتسفل / يتبذل)، (دائما / أبدا).

ومنه أيضا قوله:" وما استمرار الهجرة إلاّ **مدّ للحمأة وتأريث للنار** ... " 3/ 436.

ويمكن تصوير التكرار هكذا: (مدّ / تأريث)، (الحمأة / النار).

ومن أمثلته كذلك ما جاء في قوله:" طاغيا عن **القيود العائقة** دونها، جامحا عن **الأعنة الكابحة** في ميدانها ... " 4 / 509، وقد جاء التكرار هنا في المقدمات لتقرير المعطيات، ويمكن تصويره هكذا:

(القيود / الأعنة)، (العائقة / الكابحة).

كذلك الأمر ما ورد في قوله:" وبينهما مجال **واسع للبخت** ، وملعب **فسيح للحظ** " 8 / 334، ويمكن تصوير التكرار هنا هكذا:

(واسع / فسيح)، (البخت / الحظ).

وفيه أيضا ما كان في سياق تبرير دعواه، قوله:" وحسبه أنه **حرّك الخامد** ، **وزعزع الجامد** ... " 10 / 550، وتصويره يكون هكذا:

(حرّك / زعزع)، (الخامد / الجامد).

وفيه قوله:" وإنّما تقوم على **عطاء الكرماء** ، **وبذل المحسنين** " 10 / 551، وقد جاء التكرار هنا في إطار تدعيم دعواه، ويمكن تصويره هنا كما يلي:

(عطاء / بذل)، (الكرماء / المحسنين).

ومما ورد أيضا ما كان في قوله:" أو لجعله **صورة بلا حقيقة** أو **جسد بلا روح** " 15 / 92، وذلك في سياق دحض دعوى محاججه، ويمكن تصوير التكرار هنا هكذا:

(صورة / جسد)، (حقيقة / روح).

وفي نفس النص قوله:" وإنما هي **مظاهر تتبدل** ... **وسطحيات تتغير** ... " 15 / 93، ويمكن تصوير التكرار هنا هكذا:

(مظاهر / سطحيات)،(تتبدل / تتغير).

والشيء نفسه في قوله:" في قطر واسع الأرجاء، مترامي الجنبات " 16 /254.
ويمكن تصويره هكذا: (واسع / مترامي)، (الأرجاء / الجنبات).
وفي الغالب ــ كما في عينات الدراسة ــ نرى أن هذا النوع من التكرير يميل إلى جعل الطرف الثاني في الثنائية اللفظية أعم وأقوى من الطرف الأول فيها.
كما تجدر الإشارة إلى أن تكرير المضمون من هذا النوع يبدو آلية أساسية من آليات تشييد المعنى وإقناع المستقبل (المتلقي) على وجه خاص[1]، وهو الحاصل مع نصوص الدراسة كما تناولناه، وهو بذلك يؤكد فكرة المكاثرة أو المغالبة التي اقتضاها احتجاج الإبراهيمي، لمنزلة الموضوع عنده – أي الإصلاح – والقضية جمعاء قضية الجزائر بكليتها محور الاحتجاج.

4/– تكرير المضمون على مستوى الجمل والعبارات:

ويسمى أيضا بالتعبير المماثل أو الجمل المترادفة، وذلك حين تملك جملتان نفس المعنى في الجملة الواحدة.[2]
ويمثل هذا النوع ما يقرب من ربع حالات تكرير المضمون في النص الحجاجي العربي، إذ يمثل نسبة 24.3% كمعدل النسبة بين القديم والحديث من جملة الأنواع الأخرى في الحجاج العربي، وهو بنسبة 7.61% في نصوص مدونتنا، فمقارنة بين هذه النسبة ونسبة تكرير المضمون على مستوى الجمل في النصوص الحجاجية العربية القديمة، والتي قد تصل إلى نسبة 40% تبين أن البشير الإبراهيمي لا يميل إلى الأسلوب الحجاجي العربي القديم في توظيف هذه الخاصية أو الوسيلة الإقناعية.

[1]– ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 246.
[2]- ينظر: عمر مختار، علم الدلالة، ص 222.

ومن الأشكال التي وردت في النصوص المختارة، ما جاء في قوله:" تلجئهم إليها الضرورة إلجاء، حتى يصير المختار كالمكره " 2 / 61 ، فالمكره والمضطر شيء واحد، فالجملتان تحملان المضمون نفسه.

ومنه أيضا في هذا النص قوله:" وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتعمل لتمكين أخّوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم " 2 / 62، وفيه أيضا قوله:" في تدخلك في ديننا، وابتلاعك لأوقافنا " مع الجملة الموالية لها وهي " واحتكارك للتصرف في وظائف ديننا وتحكمك في شعائرنا " 2 / 63.

كذلك في كلامه عن فلسطين ورد قوله:" فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله " 3 / 435، فالمسجد الأقصى هو أولى القبلتين.

والأمر نفسه في قوله:" أتمثله حلف عمل لا حليف بطالة " وقد كرر المضمون نفسه في الجملة التي تلتها وهي: " وحلس معمل لا حلس مقهى " 4 / 503. ومثله في النص ذاته قوله:" أَمِنَ بعقله وفكره أن يضلّل في الحياة كما أَمِن بهما أن يضلّل في الدين "، وقد أعاد تكرير المضمون نفسه في الجملة التي تليها مباشرة وبتغيير بسيط في الصياغة وهي : " وفي الحياة كما في الدين تضليل " 4 /511.

ومنه ما جاء في قوله:" فجاء المقال وعليه نفض من روح صاحبه " فقد كرر المضمون بالجملة التي بعده وهي " وجاء كصاحبه يلهث تعبا " 16 / 252.

ومن خلال النظر في حالات هذا النوع من التكرار، يمكن أن نستنتج بأن الجملة الثانية ــ في الغالب ــ ما تكون أعم وأقوى في دلالتها من الجملة الأولى، والتي تشترك معها في الدلالة العامة أو المعنى العام، وهذا الاطراد في العلاقة بين الجملتين ــ في هذا المستوى من التكرار ــ يؤدي إلى دفع المعنى إلى مستوى أقوى، وهذا ما يزيد في فاعلية هذه الوسيلة اللغوية

الإقناعية في إقناع المخاطب واستمالته إلى وجهة نظر المتكلم أو دعواه أو مصداقيته أو دحض دعوى الخصم أو ربما حتى إقناعه بالعدول عن دعواه – أي الخصم – .

2 – بنية التوازي :

ذهب هاليداي إلى التفريق بين التوازي والتركيب، فالتوازي عنده هو ربط بين عناصر متساوية الحال ، عنصر سابق وآخر لاحق متصل به ، وكلا العنصرين ــ السابق واللاحق ــ يتميز بالاستقلالية أو أنه حر، بمعنى أنه يمثل كيانا وظيفيا كاملا؛ أي أداء وظيفة تامة.

وفي المقابل من ذلك نجد أن التركيب عنده متميز عن التوازي بالشكل السابق ، فالتركيب ربط بين عناصر غير متساوية في العمل أو الحالة، فهناك العنصر المتحكم وهو العنصر الحر المهيمن والمتميز بالاستقلال، وهذا ما لا يتمتع به العنصر الملازم أو المتحكم فيه، فهو عنصر غير حرّ بل مرتبط بالعنصر الأول. وطبع كل منطوق أو كل خطاب خليط من السلاسل المتوازنة والمتراكبة[1].

وهذا التقسيم الذي قدمه هاليداي M. AK. HOLLIDAY في كتابه(مدخل إلى النحو الوظيفي) يعد أفضل منهج لدراسة التوازي وهو الأدق والأوفى حتى الآن، واعتمدناه لأنه يصلح تطبيقه على اللغة العربية [2] ، وسنعمل على إثبات ذلك في هذه الدراسة، ونعرض منهجه هنا بإيجاز واختصار، تيسيرا لمتابعة معالجة التوازي في نصوص الدراسة.

وتتمثل العلاقات الدلالية المنطقية التي تقع بين العنصرين: السابق واللاحق في بنية التوازي ــ كما حددها هاليداي ــ في علاقتين رئيسيتين هما: العلاقة الأولى وهي التمديد expamsion، العلاقة الثانية وهي التصميم projection .

1- Halliday, M.A.k :Am Introduction To Functional grammar, New York, 2nd Edition, 1994. P221.

2 – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص254.

العلاقة الأولى:التمديد ويعني تمديد الجملة الثانية للجملة الأولى بإحدى الطرق الثلاث الآتية:

الطريقة الأولى: **الإحكام** والذي فيه تحكم الجملة الثانية الجملة الأولى كاملة أو تحكم جزء منها فقط، وذلك بأن تقررها ــ تصيغها ــ بعبارة أخرى أو بأن تحددها بشكل أكثر تفصيلا، أو بأن تعقب عليها؛ أي بمعنى تعلق عليها، أو تقوم بتوضيحها فتعطي لها أمثلة. [1]

وكمثال توضيحي نضرب المثال الآتي:

فلان لم ينتظر ، جرى بعيدا.

1 = 2

الجملة الثانية لا تدخل عنصرا جديدا إلى الصورة، بل تشخص عنصرا مذكورا بالفعل تشخيصا أكثر، بأن تقرره أو توضحه أو تنقحه، أو بإضافة خاصة أو تعليق وصفيين.[2]

وللإحكام ثلاث صور:

الصورة الأولى هي العرض :

وفيه تربط الجملة الثانية موضوع الجملة الأولى بتعبير مختلف، فتقدم من وجهة نظر أخرى أو من أجل تقوية الرسالة لا أكثر.

وربما تكون العلاقة بين الجملتين صريحة ــ في حالة العرض ــوذلك عندما نستخدم الروابط الصريحة مثل : أو، بتعبير آخر، ويمكن أن يقال ....

ومن أمثلته في المقالات ما جاء في قوله:

" لبثت عوامل الاستعمار تهدم من هيكل الإسلام، ولا تبني....." 1 / 47 .

1 =2

ومثله في قوله:"..وللعلم أن عين المظلوم كعين الاستعمار، كلتاهما يقظة " 1 / 47.

1 =2

1- Haliday. ,op cit. P 220.

2 – – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص255.

و قوله:" فجاء بمادة صريحة في فصل الإسلام عن الحكومة الجزائرية، وكان النص على

2= 1

ذلك صريحا لا يقبل التأويل " 7 / 187.

الصورة الثانية هي الإيضاح (الشرح) بالتمثيل:

وفي هذا النوع تطور الجملة الثانية أطروحة الجملة الأولى أو الفرضية الموجودة فيها، وذلك بأن تخصصها أو تحددها على نحو أشد ، وعادة ما يكون ذلك بالتمثيل الفعلي الحقيقي.[1]

وقد تستخدم في هذه الصورة الروابط الصريحة مثل : على سبيل المثال ، على سبيل الاستشهاد، نحو، مثل، خاصة ....

ومن أمثلته في المقالات قوله:" البصائر ميزان حق ولسان صدق، فهي تزن الرجال بأعمالهم ... " 11 / 314.

2= 1

ومثله قوله (مع ترتيب عكسي للجملتين):

" ...ممن يلبس لباس هذه الأمة المسكينة ويدعي باسمها، كالعاصمي مثلا " 12 / 341.

2= 1

الصورة الثالثة هي التوضيح:

في هذه الصورة توضح الجملة الثانية الفرضية الموجودة في الجملة الأولى، بإحدى أساليب التوضيح أو بتعقيب توضيحي.

ويشيع في هذه الصورة تعبيرات مثل : الحق، في الحقيقة، فعلا، على الأقل [2] ، وليست هذه الروابط مؤشرات بنائية على علاقة التوازي، إنما هي مؤشرات سبكية أكثر منها بنائية ، ويغلب جدا أن تتجاور الجملتان (من غير رابط).[3]

1- Hallyday, op cit. p 226.

2- ينظر: المرجع السابق، ص 258.

[3] - ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 259.

ومثاله في المقالات:" وليس هذا الرأي ابن يومه ولا ابن التقرير، وإنّما هو ابن سنين "14 / 101.

2= 1

وقوله:"والأمة الجزائرية ناهَضت عدة استعمارات روحية ومادية، فلم تقهر ولم تخذل"21/ 282.

2= 1

وقوله كذلك:" وما هاجمت دينا بالباطل، وإنّما نعيت على رجال الأديان... " 22 / 179.

2= 1

الطريقة الثانية: الإطالة (يضاف إلى)، وذلك بأن تمد الجملة الثانية الجملة الأولى بإطالتها، وتضيف إليها بعض العناصر الجديدة، أو تستثني منها شيئا، أو بأن تعرض بديلا(الواو، أو).

مثل : فلان جرى بعيدا واختبأ فلان وراءه.

2+ 1

وللإطالة صورتان : الإضافة والتوزيع

الصورة الأولى هي الإضافة:

وذلك بأن يضم نسق إلى آخر، أو أن تجاور جملة جملة أخرى، دون أن يستلزم ذلك أي علاقة سببية أو زمنية بينهما.

وغالبا ما تصحب الإضافات المتوازية بمواد سبكية مثل : أيضا، كذلك، بالإضافة، إلى، فضلا عن ذلك، من ناحية أخرى.[1]

ومن أمثلته في المقالات قوله:" ... وبما يبدع من أسبابها، أبوابا وطرائق، كذلك جازف بكلمة السياسة يرمي بها ..... " 2 / 59.

2+ 1

وقوله:" النيابة وكالة عن جمهور، والشرط في الموكل أن يكون حرا " 7 / 185.

2+ 1

[1] – ينظر: المرجع السابق ص 259.

وفي المثالين السابقين نوع الإضافة هو إضافة إيجابية، وصورتها عادة هي: س و ص .

الصورة الثانية هي التنويع :

وفيه تقدم الجملة على أنها بديل الكلي أو الجزئي لجملة أخرى .

من الروابط السبكية التي تصاحب هذه الصورة نجد: بدلا من ذلك ، على العكس من ، من ناحية أخرى ، على الرغم من، غير أن ، بيد أن .

وغالبا ما يأتي التنويع في ثلاث صور كما بينها هاليداي وهي: [1]

الصورة	المعنى
- "على رغم " استبدال [يد مسد].	- ليس (أ) ولكن (ب).
- " غير أن" طرح أو إسقاط.	- (أ) ولكن ليس كل (ب).
- " أو" بديل.	- (أ) أو (ب).

يشير الرمز(أ) في الجدول السابق للجملة الأولى والرمز(ب) للجملة الثانية أو الثانوية.

ومن أمثلة التنويع في نصوص الدراسة ما جاء في قوله:" يوم ليس غريب عن رزنامة الاستعمار ....،

1

ولكن الغريب فيه أن يجعل _ عن قصد _ ختاما لكتاب الحرب " 8 / 333.

2+

وهذا نوعه استبدال وصورته: ليس " س " ولكن " ص ".

وقوله:" .... وزيادة لآخر، وإذا هو هو، **غير أن** القديم متفرق والجديد مجموع " 13 / 235. 1 2+

نوعه طرح وصورته: " س " ولكن ليس كل " ص ".

وقوله:" تعرض عليكم حلولا لا تحقق رغائبَ الأمة، **أو** برنامجا من سلالة الدستور" 7 / 188. 1 2+

1- ينظر: المرجع السابق، ص 260.

نوعه بديل وصورته " س " أو " ص ".

الطريقة الثالثة: التعظيم (تكاثر بواسطة)، وذلك بأن تمد الجملة الثانية الجملة الأولى بتنميقها بواسطة تكييفها مع ظرف زماني أو مكاني أو علة أو شرطها أو حالة، وذلك بالإشارة إلى إحدى هذه الطرق .

والروابط السببية المصاحبة لهذا النوع هي عادة: هكذا، كذلك ، لهذا السبب، مع ذلك، مع أن ، على أن ، ولكن، إذن، من ثم، حينئذ، إذ ذاك، ....[1]

مثال: كان فلان مذعورا، ولهذا جرى بعيدا.

2× 1

ومن خلال نصوص الدراسة نلحظ بعض الأنواع المنطوية تحت هذا النوع منها:

قوله:" إنكم أقمتم في الجزائر في عهدها الأخير عامين، وأحطتم رؤية وعلما بما يجري " 15 / 94. 1 ×2 التعظيم الزماني.

ومنه:" إن برّ الآباء للأبناء أساس لبرّ الأبناء للآباء فأقرضوا أبناءكم....." 16 / 253.

1 ×2 هيئته: سبب ـ أثر.

ومنه:" أهذه شكشوكة أديان؟ فلماذا _ **إذن** _ ذكرت فرنسا في الاسم..." 18 / 352. 1 ×2

وقوله:" ... هذا الوصف على القضايا الأرضية، **مع أنّ** منها ما يفرع الكواكب..." 22 / 176. 1 ×2

العلاقة الثانية: التصميم projection وتعني أن الجملة الثانية تُصمَّم من خلال الجملة الأولى، وللجملة المصممة حالتان:

(**الحالة الأولى**): أن تكون ملفوظا (" يقول ")؛ أي تنصيص مزدوج، وذلك بأن تصمم الثانية على أنها ملفوظ (منطوق تعبيري) أو بناء لفظي.

مثل: قال فلان : " سأجري بعيدا".

2 " 1

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 256.

أما (الحالة الثانية) : أن تكون فكرة (′ يفكر ′) ــ خاطرة ــ (أي تنصيص مفرد):

وذلك بأن تصمَّم الثانية على أنها فكرة أو بناء معنوي:

مثل: فكر فلان في نفسه: ′ سأجري بعيدا ′ .[1]

1 ′2

العلاقات المنطقية – الدلالية التي تحكم علاقة التوازي وطرق هذه العلاقات هي ذاتها التي تحكم علاقة التراكيب، ولكن طبيعة علاقة جُزأي المنطوق أو المركب الجملي أو العباري أحدهما بالآخر تميز بين التوازي والتراكيب.[2] والجدول التالي يبين هذا التمايز في علاقة التصميم :

الطريقة	التوازي	التراكيب
التلفظ	قال "س":" سأجري بعيدا"	قال" س " بأنه كان يجري بعيدا
	1 " 2	أ " ب
الفكرة	فكر" س" في نفسه :′ سأجري بعيدا′	فكر " س " أن يجري بعيدا
	1 ′ 2	أ ′ ب

ففي الجدول السابق ومن خلال الأمثلة يتبين أن:

1 -الرقم " 1 " يشير ــ في علاقة التوازي ــ إلى الجملة السابقة، وأن الرقم " 2 " يشير إلى الجملة اللاحقة، وكل منهما يماثل الآخر.

2 - أن الحرف (أ) يشير ــ في علاقة التراكيب ــ إلى الجملة العاكسة، وأن الحرف(ب) يشير إلى الجملة المحكومة؛ أي أن الجملة الحاكمة تقوم على تكييف الجملة الأخرى المحكومة.

وعن أمثلته في نصوص الدراسة، أنّ النوع الأول يكون بعدد حالات مقول القول، سواء أكانت للكاتب ذاته أم لغيره، وهي قليلة إذا ما قورنت بحالات التمديد.

---

[1] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 256.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 257 ، 258.

ومن التصميم بالقول قوله: " وقال يخاطبه: قد زعمت أننا لا نعود،...." 22 / 179.

2" 1

ومنه:" وقال لي: إن مساعي العقبي ضائعة .... " 14 / 101.

2" 1

وقوله:" فقلت له ما معناه: إن المفتيين اللذين سلما المساجد سلما ما لا يملكان " 14 / 101. 1 2"

ومنه كذلك:" وقال التاريخ: إنّ العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود " 3 / 437.

2" 1

ومن التصميم بالفكرة ما جاء في قوله:

" إن هذه الأمة تعتقد _ وتموت في اعتقادها _ أنّ لغتها جزء من كيانها السياسي والديني " 21 / 284. 1 2′

لم نعثر على التصميم بالفكرة في مقالات الدراسة إلّا المثال السابق _ وإن كان لا يمثلها بدقة _، وإلا فالمقالات خالية تماما من التصميم بالفكرة، وهذه صفة النص الحجاجي العربي بصفة عامة؛ إذ تندر فيه ندرة بالغة جدا.

3 – بنية الازدواج (التوازن):

الأبنية المتوازنة أبنية تركيبية تتوافق أجزاؤها في عدد وحداتها وأوزان هذه الوحدات والبنية النحوية، أو هيئة ترتيب هذه الوحدات، وهي كذلك متوافقة في فواصلها.[1]

ومن المعروف أن " المزدوج " من أقسام الشعر، وهو ما أتى على قافيتين قافيتين إلى آخر القصيدة، والمزدوج في النثر نحسبه أصيلا في اللغة العربية ذات الأصول الشفاهية، وليس من باب محاكاة النثر للشعر في بنية إيقاعية جوهرية ذات تأثير سمعي وعاطفي في المستمع فقط، وقد عولج عند البيانيين العرب القدامى على أنه من مظاهر الجودة في صناعة الكلام.

فقد ورد لفظ " التوازن " عند الثعالبي في فصل " حفظ التوازن "، ورأى أن العرب تزيد وتحذف حفظا للتوازن وإيثارا له، ومثّل للزيادة بقوله تعالى:(وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) / الأحزاب،

---

[1]– ينظر: إيمان السعيد جلال، تطور لغة الخطاب السياسي في مقالات " فتحي رضوان "، ندوة فتحي رضوان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مايو 1999،ص 62.

جزء من الآية 10، وللحذف بقوله تعالى:(واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)/ الفجر، الآية 4 وغيرها[1]، وهو في هذا غير ما نقصده في هذا المقام.

وقد ورد التوازن عنده بالصورة التي نريد تحت مسمى " الإتباع "؛ إذ هو عنده ــ أي الإتباع ــ" من سنن العرب وذلك بأن تَتْبَع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها ورويها، إشباعا وتوكيدا واتساعا، كقولهم: جائع نائع، وساغب لاغب، وعطشان نطشان، وصَبّ ضَبّ، وخراب يباب "[2]، وإن كانت الأمثلة التي أوردها عبارة عن كلمات مفردة لا عبارات أو جمل.

كما ورد " التوازن " بمعنى " الإتباع " عند أبي هلال العسكري أيضا، من ذلك قوله: " وكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها ... قصدا للتوازن "[3]، كما عرّفه بالازدواج؛ إذ يقول:" ولا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج "[4].

وقد رادف أبو هلال العسكري بين التوازن والازدواج والسجع؛ إذ يذهب إلى أنّ حضور الازدواج قصدا للتوازن وصحة للتسجيع.

هذا وقد عرّفه ابن فارس تحت مسمى " المحاذاة " وذلك عنده بأنْ " يُجْعَلَ كلامٌ بحذاءِ كلام، فيُؤتى به على وزنه لفظا، وإن كانا مختلفين " [5]، وقد مثل له بالألفاظ المفردة والجمل وذلك بآيات من القرآن الكريم.

وذكره ابن الأثير على أنه " السجع "، وتناوله من باب توازن الجملتين في عدد الوحدات وكذا توافق الفاصلة.

---

[1] – ينظر:أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، شرح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، 2003، ص 369.

[2] – المصدر نفسه، ص 420.

[3] – العسكري، الصناعتين، ص 261.

[4] – المصدر نفسه، ص 260.

[5] – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائل وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص 231.

وقسم السجع على ذلك إلى ثلاثة أقسام هي:

- قسم أول يكون فيه الفصلان متساويين، لا يزيد أحدهما على الآخر؛ أي تطابق تام بين الفصلين وهو الأفضل عنده.
- وقسم ثان يكون فيه الفصل الثاني أطول من الأول، طولا معتدلا وإلا عد ذلك عيبا وقبحا واستنكر ذلك على صاحبه.
- وقسم ثالث يكون فيه الفصل الأخير أقصر من الأول وهو عنده عيب فاحش.[1]

يستخلص من جملة ما ذكره القدماء عن " الازدواج "، وما اختاروا له من نماذج من القرآن الكريم وكلام العرب ما يأتي:

(1)- إن الازدواج تكوينات كلامية متوازنة الأجزاء في عدد وحداتها اللغوية، وهيئات ترتيبها، وكذا فواصلها.

(2)- أن الازدواج يقع أيضا في اعتبارين اثنين أحيانا، رغم الاختلاف بين الأجزاء في أحد الاعتبارات الثلاثة السابقة.

(3)- إذا لم يقع التوازن بين الأجزاء في الطول، فالأفضل أن يكون الجزء الأخير أطول، وإن كان قد ورد عكس ذلك في كلام العرب.

(4)- توازن الأجزاء توازنا كليا أجمل وجوه التوازن.

(5)- فضلا عما للتوازن من أثر سمعي إيجابي في رونق الكلام، فإن له علاقة بتمكين معناه.[2]

---

[1] - ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ص (255 - 257).

[2] - ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 268، 269.

وتتحقق بنية التوازن إذا توافرت فيها العناصر الأربعة، توازن عدد الوحدات وأوزانها وهيئة ترتيبها وفواصلها، كما يتحقق باختفاء بعض تلك العناصر أو وجودها ناقصة غير تامة.

ومهما يكن فاستقراء نصوص الدراسة في ظل الاعتبارات المختلفة التي توفر توازنا للعبارات المزدوجة، يمكننا تبيين أصناف وأنماط أبنية التوازن في مدونة الدراسة كما يأتي:

1/– التوازن التام في العناصر الأربعة: وذلك بالاتفاق التام في زنة الوحدات وعددها وهيئة ترتيبها وفي الفاصلة.

نلمس ذلك في إطار تبرير دعواه بأن لا سياسة في هذا البلد، وذلك في قوله:" على أن معنى السياسة عندنا ــ في تردده بين السعة والضيق ــ **يتسفل دائما ولا يعلو، ويتبذل أبدا ولا يسمو** " 2 / 59.

والشيء نفسه في قوله:" وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من **التياع وحرارة، وحسرة ومرارة** " 5 / 297.

ومنه في قوله:" من أخذ فقه الطلاق من هذا المنبع العذب، يعلم أيُّ حِكم مبثوثة تحت **كل كلمة وكل جملة** " 5 / 298.

كذلك في إطار تدعيم دعواه، قوله:" وإن الدين الذي **يطوي المناهل بلا سائق ولا حاد، ويقتحم المجاهل بلا دليل ولا هاد** " 6 / 81.

وفي نفس الإطار التبريري التدعيمي قوله:" **الحمى الذي لا يطرق، والسياج الذي لا يخرق** " 6 / 82.

وما جاء في قوله:" وتعطيل المواهب **من منزلة إلى منزلة، ومن مرحلة إلى مرحلة** " 11 / 317.

ومن أمثلته قوله:" **ارم دينك باسم دينك، واخدع أمتك باسم أمتك** " 341/12.

وقوله:" **رقيق زراعي، وخدم صناعي** " 15 / 91.

ومنه أيضا :" وظلم ذوي القربى **أشد مضاضة، واشنع غضاضة** " 19 / 138.

2/– التوازن بين الأجزاء بالاتفاق في زنة وحدتها اتفاقا ناقصا، فضلا عن الاتفاق في الترتيب والفاصلة.

من ذلك قوله في تدعيم دعواه، من أن لعبد الحميد بن باديس دورا في التغير والإصلاح:" **وحسبه أن حرّك الخامد، وزعزع الجامد** " 10 / 550. وكذلك قوله مخاطبا أعضاء المجلس الجزائري :" فهل أنتم ــ بعد خمود الفورة والصحوة من نشوة الفوز ــ **شاعرون بواجبكم، ومقدرون لمسؤوليتكم** ؟ " 7 / 186.

ومنه كذلك ما جاء في قوله:" فلتحرص هذه الجمعيات على أن تكون **صلة متينة، وواسطة أمينة** .... هؤلاء **الدعاة الفاشلون، والسماسرة المضلّون** " 11 / 314، 315.

وكذلك قوله:" **أجهز على البقية الباقية، ولك مني الجنة الواقية**..." 12 / 341.

كذلك من أمثلته ما ورد في قوله:" ... ضاع بين **حيلة المحتال وغفلة الغافل** ، في وقت ... " 1 / 47.

ومنه :" يقول عنها الاستعمار في معرض **التبرم بها والتسخط عليها** " 2 / 61.

وقوله:" كأنما هو **منحدر لانصبابها وقرارة لانسكابها** " 4 / 514. وكذا قوله:" **وصمها بعضهم بالتحريف والتبديل، وخلطها بعضهم بالأجنبي والدخيل** " 6 / 78.

3/– التوازن بين الأجزاء بالاتفاق في الترتيب والفاصلة دون زنة الوحدات. من ذلك قوله في تدعيم دعواه من أن الدستور مستمد نقصه وضعفه من ضعف المجلس ذاته:" وإن المجلس

الذي انبثق منه **ناقص بنقصه، مختل باختلاله** ... " 15 / 93. ومنه كذلك :" لأن السلاح خطيب جمعة **يجب الإنصات له، ويحرم الكلام معه** " 20 / 491.

4/– التوازن بالاتفاق في زنة الوحدات اتفاقا ناقصا مع الاتفاق في الفاصلة دون الترتيب. من ذلك قوله مشيدا بالشباب الجزائري في سعيه لتحقيق مراده:" **طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانه** " 4/ 509. ومنه في نفس الإطار : " أتمثله مصاولا لخصومه **بالحجاج والإقناع، لا باللجاج والإقذاع** " 4 / 517.

كذلك الأمر مع قوله:" **فإن الإسلام حي خالد في داره، وإن العربية حية خالدة في جواره** " 12 / 345.

5/– التوازن بالاتفاق في الفاصلة دون سائر الملامح الأخرى. ومنه قوله في سياق تبرير دعواه:" ... إليك **ترامت همم الفاتحين، وترامت الأينق الذلل بالفاتحين** " 3 / 435.

6/– التوازن بالاتفاق في زنة الوحدات اتفاقا تاما وفي الترتيب دون الفاصلة. من ذلك قوله:" وبين **سخط الساخط وحسد الحاسد** جرت أمور " 7 / 186.

ومنه كذلك: " تنتقل بها في كل عام **من عال إلى أعلى، ومن نافع إلى أنفع** " 11 / 313. وقوله:" ونذكر **ما بنوا وشادوا، وما نقضوا وتبروا** " 16 / 254.

7/– التوازن بالاتفاق الناقص في زنة الوحدات، والاتفاق في الترتيب دون الفاصلة. من ذلك قوله:" وأننا لا نستنزل على ذلك الفهم **برقية راق، ولا بتهديد مهدد** " 2 / 62. وكذلك في قوله:" فلا تستغنوا عن **وعظ واعظ، ونصح ناصح** " 7 / 186. وأيضا في قوله:" وبينهما **مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظ** " 8 / 334.

ومن أمثلته في نصوص الدراسة كذلك قوله:" أما في الجزائر فالانتخابات منذ سنّت، **لعبة لاعب وسخرية ساخر** " 12 / 343. ومنه أيضا:" **لا يهبط بها انصاف ولا يصعد**

بها عدل " 15 / 92. وكذلك قوله:" وإنما هي باقية حيث تركتموها، **ما تقدمت إلا في التأخر، وما ترقت إلا في الانحطاط** " 15 / 94. ومنه:" لتستبدلي **حالة بحالة، ولبوسا بلبوس** " 16 / 254.

8/– التوازن بالاتفاق في ترتيب الوحدات فقط. ومن أمثلته في المقالات ما كان في قوله:" وعرضت القضية على مجلس عدل وحق **لا يستهويه بريق الذهب، ولا يرهبه بريق السيوف** " 3 / 436. وكذلك الأمر في قوله:" ... ما كانت تصبو إليه من **وحدة الكلمة واجتماع الشمل** " 12 / 343.

ومنه:" أو لجعله **صورة بلا حقيقة** أو **جسدا بلا روح** " 15 / 92. وكذلك قوله: " **ومنهوك من الظلم، ومستشرف إلى العدالة** .... وإنما هي **مظاهر تتبدل بلا فائدة، وسطحيات تتغير بلا جدوى** " 15 / 93.

ومنه كذلك:" فأيّنا **قام بحظه من الأمانة، وقام بعهده من القسط** " 16 / 254. كذلك في قوله:" كل واحدة من هذه المؤثرات كافية **لتحويل النظرة من أفق إلى أفق، ونقل الاتجاه من سبيل إلى سبيل، وتبديل العقلية من نزعة إلى نزعة** " 22 / 187.

مما يلاحظ هنا أن الأنواع 1 – 2 – 7 هي الأكثر وقوعا في المقالات، في حين أن النص الحجاجي العربي القديم يميل إلى الأنواع الثلاثة الأولى، أما النص الحجاجي العربي الحديث فيميل إلى الأنواع الباقية، وهو على عكس ما جاء في المقالات، مما يدلل على ميل الإبراهيمي إلى الأسلوب الحجاجي العربي القديم في الازدواج، لأن الأنواع الأولى أكثر إحكاما من حيث السبك.

وإذا نظرنا للازدواج من منظور الوحدة التركيبية التي يقع فيها، كأن يكون ازدواجا بين عبارات من جملة واحدة، أو ازدواجا بين جمل تامة قائمة بذاتها، لرأينا أن الإبراهيمي أكثر ميلا

إلى استخدام الازدواج بين الجمل؛ إذ مثلت حوالي ثلاثة أرباع استخدام الازدواج في المقالات، وذلك من خلال الأمثلة السابقة، ومقارنة بالنص الحجاجي العربي القديم، فهذا الأخير يكاد يكون قسمة بين وقوعه في العبارات ووقوعه في الجمل، في حين النص الحجاجي العربي يميل إلى استخدام الجمل تامة أكثر، والتي تمثل حوالي 70% وأكثر.

من الناحية الدلالية تتقاطع حالات التوازن مع حالات ينتظمها تكرير المضمون أو التقابل أو التخالف، تجمع الجملتان :" مظاهر تتبدل بلا فائدة، وسطحيات تتغير بلا جدوى " بين التوازن والتكرير المضموني، وتجمع الجملتان في قوله:" ما تقدمت إلا في التأخر، وما ترقت إلا في الانحطاط " بين التوازن والمقابلة، وتجمع الجملتان :" منهوك من الظلم، ومستشرف إلى العدالة " بين التوازن والمخالفة في المعنى.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن حالات تقاطع التوازن بالتكرير المضموني يمثل ما يقرب من ثلاثة أرباع حالات تقاطعه مع العلاقات الدلالية الأخرى بين الأجزاء المتوازنة، وهذه مسألة مهمة للغاية لكل من التوازن والتكرير المضموني.

نحن أمام مثل هذا القدر من العبارات والجمل المتوازنة على مستوى الشكل، والمترادفة أو شبه المترادفة على مستوى المضمون، وهذه هي المنطقة المركزية الأهم التي تتفاعل فيها البنية والدلالة وتشتغلان معا في النص الحجاجي العربي وقد تهيأت له مكوناته الحجاجية المختلفة قصدا إلى تثبيت التبرير أو إقناع الخصم والمخاطب بعامة بصدق دعوى الحجاج.[1]

[1] – ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 273.

خاتمـــــــة

لقد أفضت بي هذه الدراسة إلى جملة من النتائج حاولت أن أفي ببعضها، خاصة ما رأيته مهما من بين ما استخلصته، فلا أدّعي أني قد كشفت عن كل نتائج هذا الموضوع خاصة مع أهميته وتشعبه، استهلالا بدراسة للخطاب والخطاب الحجاجي، ومسار الحجاج وتطوره إلى نظرية الحجاج اللغوية حديثا، ثم تعدد موضوعات تطبيقه على مدونة الدراسة ــ المقالات الإصلاحية لمحمد البشير الإبراهيمي ــ؛ من دراسة لبناء النص الحجاجي فيها إلى مكوناته، وكذا دراسة الروابط والعوامل الحجاجية، انتهاء بوسائل الإقناع الحجاجية.

ومن خلال المدخل وبتطرقي لطريقة تكوين البشير الإبراهيمي وأسلوبه، خاصة في مقالات " عيون البصائر " وما كان منها موجها للإصلاح، أن الإبراهيمي على درجة عالية في طريقة الإقناع والأداء الحجاجي، بناءً على الكفاءة اللغوية والمعرفية التي يكتسبها، فقد اتبع أسلوب التحليل وطريقة الاستنباط ومنهجية الإقناع بالحجة والدليل، مع اتسامه بالموضوعية العلمية في الطرح، محكما في ذلك ميزان المنطق ومراعيا لعامِلَي القناعة الشخصية والانتماء.

ومن الفصل الأول نلحظ أن الخطاب وسيلة للحجاج وهو في الوقت نفسه منتهى تلك الوسيلة، وأنَّ الخطاب الحجاجي فيما هو متداول موجه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطَب، وهو خطاب يهدف إلى الإقناع؛ إنْ بتبني أو ترك سلوك أو معتقد معين، وما الخطاب الحجاجي إلاّ طريقة في الاتصال غايته الاستمالة والتأثير، والحجاج لا يتصل بضرب من الخطاب مخصوص؛ وإنّما يشمل كافة ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب، كما قد تختلف مجالات الحجاج ولكن لا تختلف ضوابطه؛ فهي في الأدب كما في السياسة أو الفلسفة وغيرها.

كما نجد أن الحجاج عند اليونان ارتبط بالفلسفة، فقد اعتمد عند السوفسطائيين على قوة تأثير المحاجج حتى وإن كانت حججه خاطئة، مستعملين من أجل ذلك القياس المغالطي وكذا الإثارة العاطفية، فحجاجهم قام على التملق، أمّا عند أفلاطون فكان عبارة

عن جدل والذي هو عنده لا يختلف عن العلم، وقد عمل على نقل الحجاج من مجال الظنّ والاحتمال إلى مجال الحقيقة، كما خالف أرسطو أستاذه أفلاطون وذهب إلى أن البرهان أقدر الأقوال على قول الحقيقة قبل الجدل والخطاب والشعر.

كما ارتبط الحجاج عندهم – أي اليونانيين – بالخطابة، فهي عند السوفسطائيين " صناعة إقناع "، وعند أفلاطون " صناعة قيادة النفوس بالقول "، وعند أرسطو " الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع ".

في حين أن الحجاج عند العرب قد اهتم به المتكلمون والمناطقة في إثبات صحة معتقداتهم وإبطال معتقدات غيرهم، فكان الحجاج عندهم عبارة عن مناظرات وجدل وبرهان؛ إذ ناقشوه تحت مسميات عدة، ولم يكن له مصطلح موحد لهم جميعا، وهذا دليل على عدم وضوح الرؤية عندهم فيما يتعلق بالحجاج، كما أنهم جعلوا الغاية الأولى للخطاب هي " الإخبار " لا " الإقناع " الذي هو غاية الحجاج واعتبروه أمرا ثانويا، واقتصر عندهم على مباحث الجدل والبرهان والاستدلال.

أمّا في الفصل الثاني والمتعلق باستراتيجية بناء نص المقالات حجاجيا، فمن حيث البناء الشكلي لنصوص المقالات نلاحظ أن الشكل الحجاجي المتواتر في المقالات هو نفسه في النص الحجاجي العربي، وهو الشكل القائم على هذا الترتيب: مقدمات، دعوى، تبرير، تدعيم، وهذا الشكل يتسم بالمنطقية التي تعد من أُسّ الحركة الحجاجية؛ إذ تعطي ترابطا منطقيا بين العلاقات الدلالية العامة للمقالات.

وفيما يتعلق بالدعوى نجد أن الإبراهيمي قد ذهب إلى مخالفة ما هو مألوف في بناء النص الحجاجي العربي، فهو في هذا الأخير ــ أي الدعوى ــ في أكثر الحالات تذكر في هيئة منطوق واحد أو أكثر، لا أن تضّمن بالشكل الذي رأيناه مع الإبراهيمي؛ إذ كانت حوالي النصف، وهذا لا يعدّ عيبا أو نقصا وإنّما هو يتعامل مع بعض القضايا من باب أنها

معروفة أو مشهورة، وأنها تُغيّب نكرانا لا لعدم معرفتها، ويكتشفها المتلقي من خلال التدعيم والتبرير.

نلاحظ كذلك اعتماد الإبراهيمي على التدعيم باعتباره مكونا أساسيا من مكونات الحجاج، ووسيلة من الوسائل المنطقية الدلالية المعتمدة فيه، وقد جاء عنده في أكثر الحالات عبارة عن أدلة منطقية وشواهد وأمثال مدعمة لصحة الدعوى، وقد تجسد التدعيم في المقالات بوجوهه الثلاثة: التدعيم بالدليل، التدعيم بالقيمة، والتدعيم بالمصداقية.

كما لعبت الروابط الحجاجية بتوظيف الإبراهيمي لها دورا مهما في الانسجام التلفظي والتداولي؛ إذ اضطلعت بدور استمرارية النص والحفاظ على انسجامه وإسهامه في الاتساع والتدرج والاتساق الشامل للخطاب، مما سمح بتدرج وتسلسل القضايا، الشيء الذي يسند لكل قول دورا حجاجيا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، والنزعة الحجاجية بادية في البناء اللغوي للمقالات، بتضمينها تلك اللوازم والعوامل الحجاجية، وتوجيهها من البداية توجيها حجاجيا خاصا.

ومن خلال الفصل الثالث نلحظ أن الإبراهيمي قد وظّف القياس المنطقي الدلالي كوسيلة من وسائل الإقناع اللغوية، مصرحا بالمقدمة الكبرى والصغرى تاركا استنتاج واستنباط النتيجة للمتلقي، وعدم التصريح بالنتيجة وترك أمر استنتاجها للمتلقي له دور بالغ الأهمية في الإقناع، فهي تؤدي دورا أفضل من لو كان المحاجِج هو الذي يعطي النتيجة، الشيء الذي يستشعر معه المتلقي بشيء من الإجبار والفرض والإلزام، ونتائج الحجاج لا تعتمد على ذلك عادة، وإنّما تخضع لقناعات وردود أفعال المتلقي، ويصبح بذلك الأداء الحجاجي أقوى، لأن الإقناع أبلغ، ولهذا يركز المحاجج أكثر ما يُركِّز على تدعيماته أثناء الحجاج، لأنها غايته ووسيلته لإيصال المتلقي إلى النتائج.

وهو الأمر نفسه في توظيف القياس المضمر الذي نوَّع فيه الإبراهيمي بين حذف للمقدمة الكبرى وأحيانا النتيجة وأحيانا أخرى الاثنتين معا، فعادة ما ينطلق في هذا القياس مما يسلم به المتلقي وهو المقدمة الكبرى، إلى ما هو مشكل وهو النتيجة.

وربما تبقى أهم نتيجة يمكن التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، هي ثراء النص العربي الحجاجي الحديث، وإثبات مدى قدرته على إعطاء أرضية خصبة لمثل هذه الدراسات الحجاجية اللغوية والتداولية واللسانية النصية، مما يستدعي السعي أكثر إلى قراءة هذه النصوص قراء جادة وجديدة في ظل ما تم التوصل إليه في ضوء النظريات اللسانية واللغوية الحديثة، وكشف أغواره١.

المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر العربية:

📖 **القرآن الكريم .**

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، مج2.

2- البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1997، ج1، ج3.

ثانيا :المراجع العربية:

3- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت،(د.ط)،(د.ت).

4- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائل وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، .1993

5- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، (د ط)، 2009.

6- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، .1936

7- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1.

8- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط1، 2003، ج.2

9- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1954 – 1962)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007، ج.10

10- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، شرح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، .2003

11- أبو نصر الفرابي، كتاب في المنطق: الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ط)، .1976

12- أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تح: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.

13- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1998.

14- أحمد السيد الصاوي، الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ــ دراسة تاريخية فنية ــ، منشأة المعارف الإسكندرية، (د ط)، 1988.

15- أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، .1998

16- إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، طباعة ونشر جامعة بغداد، ط1، 1967.

17- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 2004، ج3.

18- بشير كاشه الفرحي، محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان، دار الآفاق، الجزائر، (د ط)، (د ت).

19- الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1988، ج1.

20- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العلمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت، (د.ط)، 1994، ج1.

21- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص ــ نظرية منهجية في بناء النص النثري ــ ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، .2007

22- حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1991، ج2.

23- حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1999.

24- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009 .

25- خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص.201

26- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)،.2005

27- سعيد بورناد،شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830 – 1962)، دار الأمل، تيزي وزو، ط2، .2004

28- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات، لونجمان، القاهرة، ط 1، 1997.

29- ــ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2004.

30- السيد الجميلي، معجم حروف المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، (د ط)، (د ت).

31- الشريف علي محمد الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2003.

32- شكري الطوانسي، البلاغة العربية والأسلوبيات الحديثة، دار الوفاء، المنصورة – مصر، ط1، .2004

33- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ع164، أغسطس / آب .1992

345- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2005 .

35- ــ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 2، 2006.

36- ــ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، .2000

37- عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، .1991

38- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل –، إفريقيا الشرق، (د ط)، .2006

39- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991.

40- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: أحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحموديّة، القاهرة، ط2، (د ت).

41- عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون: محاورة متكسينوس أو عن الخطابة، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ط1، .1972

42- عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،منشورات كلية الآداب، منوبة، 2001، ج1.

43- عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009.

44- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية – الكتاب الجديد المتحدة، ط1، .2004

45- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، 1980، ج1.

46- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، مكتبة رحاب، الجزائر، (د ط)، (د ت).

47- عمر أحمد بوقرورة، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي ــ قراءة في ظل البنية والمتغير ــ، دار الهدى ، الجزائر، (د ط)، (د ت).

48- عمر بلخير، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب – دراسة تداولية – كتاب (مخطوط)، (394 صفحة).

49- محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج1.

50- محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1.

51- محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

52- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب، القاهرة، ط 1، 2005.

53- محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، سلسلة آداب كلية الآداب منوبة، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (د ط)، (د ت).

54- محمد العمري، الخطابة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 1999.

55- محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 5، 2006 .

56- محمد مهران رشوان، مبادئ التفكير المنطقي، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، 1994.

57- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

58- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، 1997.

59- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009.

60- هدى وصفي، في فن الحجاج والجدل، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، 2002.

61- يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1994.

ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة:

62- أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 2، 1986.

63- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 2001.

64- إيف جانري، نظريات المحاجة، اكتشاف جديد خصب، ترجمة محمد يحياتن، مجلة اللّغة والأدب لمعهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،1997، ع 11.

65- باسل حاتم، نموذج المجادلة من البلاغة العربية، بحث مترجم في: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي. اختيار وترجمة د. محمد العبد، دار الفكر العربي، القاهرة(1419هـ - 1999).

66- بول ريكور، نظرية التأويل، تر: سعيد الغاني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

67- ديان مكدونيل، مقدمة في نظرية الخطاب، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2001.

68- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 1994.

69- سارة ميلز، الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004.

70- كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005.

71- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص -، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د ط)، 1999.

رابعا: المصادر والمراجع الأجنبية:

72- Alain Baissinot, les tesctes argumentatifs, CRDP, Toulouse, 1996.
73- Brandt, William,J: The Rhetoric of Argumentation, 1 st, Printing,USA, 1970.
74- C.Golder,le développement des discource argumentatifs, lausame Delachaux et niestlé, 1996.
75- C. Plantin, Essais sur L'argumentation,Paris, Éditions Kimé, 1990.
76-Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990.
77- J.M.Adam, les texts: types et prototypes, nothan, Paris, 1992.
78- Halliday, M.A.k :Am Introduction To Functional grammar, New York, 2nd Edition,1994.
79- Micheal Hoey, Patterns of lexis in text, Oxford University press, 1991.
80- Moreau (josph):Platon devant les sophists of chop: qu'est ce qu'un sophiste? Paris 1987.
81- O. Ducrot, J.C. Anscombre, L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1980.
82- Philippe Breton, L'argumentation dans La communication,3..édition,La découverte. Paris,2003.
83- Richard D.Rieke, Malcolm.O.Sillars – argumentation and the Decision Making Process, John Wiley, Sons, Inc . USA-1975.

خامسا : الرسائل الجامعية:

84- بلقاسم حماد آليات التواصل في الخطاب القرآني ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، الجزائر، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، .2005

85- حمدي منصور جودي، خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإيقاعية في أعمال البشير الإبراهيمي – دراسة لنماذج نصية مختارة – (رسالة ماجستير)، إشراف د. محمد خان، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بسكرة، 2008/2007، (222 صفحة).

86- شمس الدين ين أحمد زاوية، الخطاب الدعائي في الإعلام المقروء، رسالة ماجستير (مخطوط)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، .2003

87- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية (بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة)، إشراف د. عبد الله صولة،جامعة منوبة، كلية الآداب بمنوبة، السنة الجامعية 2004/2003 (مخطوط).

88- علي محمد علي سلمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج – رسائله نموذجا –، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، 2007،(405 صفحة).

89 - غازي فتحي محمد سليم، الروابط في الكتابة العربية الحديثة _ دراسة تطبيقية _ (أطروحة دكتوراه)، إشراف د. محمد العبد، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، القاهرة، 2000، (510 صفحة).

90- محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، 2002.

91- نبوية علي محمد علي، الخطاب الحجاجي عند طه حسين دراسة لغوية تطبيقية على مقالات حديث الأربعاء،(رسالة ماجستير)، إشراف د . محمد العبد، قسم اللغة العربية بكلية الألسن، جامعة عين شمس، 2007، (255 صفحة).

92- يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي – دراسة تداولية – قسم الأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، رسالة ماجستير (مخطوط)، 2007، (166 صفحة).

سادسا: الدّوريات

93- أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر ــ نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصرــ، دراسات سيميائية أدبية لسانية، صدر عن دراسات سال، ع7، .1992

94- إيمان السعيد جلال، تطور لغة الخطاب السياسي في مقالات " فتحي رضوان "، ندوة فتحي رضوان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مايو .1999

95- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر، الكويت، مج 30، ع1،"يوليو- سبتمبر 2001 ".

96- الحواسي مسعود، البنية الحجاجية في القرآن الكريم – سورة النمل نموذجا – ، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 12، شعبان 1418هـ، ديسمبر 1997.

97- الحواس مسعودي، النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع14، ديسمبر 1999.

98- سامية بن يامنة، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، مجلة دراسات أدبية، العدد الأول ماي 2008، الجزائر.

99- عباس السوسوة، أداة العطف " بل " " و " في العربية (مقال)، مجلة علوم اللغة، ع4، 1998، مج1.

100- عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة الأنبياء نموذجا– مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع102، السنة السادسة والعشرون – نيسان 2006.

101- عبد الرزاق قسوم، محمد البشير الإبراهيمي مهندس لفظ... وفيلسوف معنى (دراسة)، مجلة الموافقات، الجزائر، ع 4، السنة الرابع، 1995م.

102- عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج، إدارة المناهج، مملكة البحرين، مؤتمر مناهج اللغة العربية، أبريل 2004.

103- عبد الله صولة، كتاب الأيام لطه حسين خطابا حجاجيا، أحد بحوث ندوة صناعة المعنى وتأويل النص، قسم اللغة العربية بكلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس (24 – 27 / 4 / 1991)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992، مج 8.

104- فاتح زيوان، مصطلح الخطاب في الثقافة الغربية، مجلة كتابات معاصرة، دار كتابات، لبنان، مج18، ع70، تشرين الأول – الثاني .2008

105- محمد اخريف، التداولية الترنسندنتالية: إيتيقيا المحاججة، كتابات معاصرة دار كتابات، لبنان، مج18، ع70، تشرين الأول- الثاني .2008

106- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع يناير – مارس 2000.

107- محمد السويرتي، اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، عالم الفكر، مج28، ع3، " يناير- مارس 2000 "، الكويت.

108- محمد العبد، النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع، فصول، مجلة النقد الأدبي، ع60، صيف – خريف .2002

109- محمد عبد الرحمن محمد الريحاني، واو الربط وظائفها ودلالتها (دراسة)، مجلة علوم اللغة، ع4، 1998، مج.1

110- محمد ناصر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال نثره الفني (دراسة)، مجلة الموافقات، الجزائر، ع 4، السنة الرابع، 1995م.

111- محمود طلحة، القيمة الحجاجية لأسلوب القصر في اللغة العربية (دراسة)، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع3، ماي .2008

112- نعمان بوقرة، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع407، آذار 2005.

113- هادية فضل الله، السوفسطائية من وجهة نظر منطقية، الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ع99، السنة21، شتاء 2000.

ملاحـــــق

جدول لتوضيح معلومات المقالات المختارة للدراسة، وإعطائها أرقاما خاصة لتسهيل التعامل معها أثناء الدراسة.

رقم المقال في الرسالة	عنوان المقال	عدد النشر	سنة النشر	صفحاته
01	من الحقائق العريانة	1	1947	48 – 46
02	جمعية العلماء: أعمالها ومواقفها موقفها من السياسة والساسة	3	1947	63 – 59
03	فلسطين: تصوير الفجيعة	5	1947	438 - 435
04	الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر	5	1947	517 – 509
05	من مشاكلنا الاجتماعية: الطلاق	7	1947	300 – 297
06	الأديان الثلاثة في الجزائر	13	1947	82 – 78
07	كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري	33	1948	188 – 185
08	ذكرى 8 ماي	35	1948	335 – 333
09	اللغة العربية في الجزائر عقلية حرّة ليس لها ضرّة	41	1948	208 – 206
10	الرجال أعمال:	44	1948	554 – 548
11	ثلاث كلمات صريحة...	54	1948	318 – 312
12	عادت لعترها لميس	64	1949	346 – 341
13	التعليم العربي والحكومة	70	1949	237 – 235
14	فصل الدين عن الحكومة...	75	1949	102 – 100

15	كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية	81	1949	94 – 91
16	معهد عبد الحميد بن باديس	90	1949	257 – 252
17	الشك في الإيجاب ... نصف السلب	111	1950	349 – 347
18	لجنة " فرانس – إسلام "	114	1950	353 – 350
19	الدين المظلوم	122	1950	141 – 137
20	محنة مصر محنتنا	174	1951	493 – 490
21	اختلاف ذهنين في معنى التعليم العربي	152	1951	284 – 281
22	القضية ذات الذنب...الطويل	175	1951	180 - 176

فهرس الموضوعات

- إهداء
- مقدمة
- مدخل:
1 - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
أ - مولدة ونشأته.....14
ب - رسالته في الجزائر.....16
ت - آثاره ومؤلفاته.....18
2 - عيون البصائر.....19
الفصل الأول: ماهية الحجاج وأهم نظرياته
المبحث الأول: الخطاب الحجاجي
1 -ماهية الحجاج.....25
2 -الخطاب والحجاج.....33
3 - النص والحجاج..... 39

المبحث الثاني: الحجاج في التراثين: اليوناني والعربي
1 - الحجاج في التراث اليوناني.....43
1 1 - الحجاج السوفسطائي.....43
1-2- الحجاج عند أفلاطون.....45
1 3 -نظرية الحجاج عند أرسطو.....46
2 - الحجاج في النص التراثي العربي.....50
2-1 – الجدل والمناظرات.....50
2 – 2 – البلاغة العربية القديمة والحجاج.....53
2 – 3 – تصورات نظرية في الحجاج والجدل.....56
2 – 3 – 1 – الجاحظ والنظرة الخاصة للحجاج.....56

2 – 3 – 2 – الحجاج عند ابن وهب (الجدل والمجادلة)..... 58
المبحث الثالث : أهم نظريات الحجاج الحديثة
1- البلاغة الجديدة : (بيرلمام وتيتيكا)..... 62
2- نظرية الحجاج في اللغة..... 67
الفصل الثاني: استراتيجية بناء نص المقالات حجاجيا
المبحث الأول: بناء النص الحجاجي في المقالات
1/- مكونات النص الحجاجية في عيون البصائر..... 74
2/- بناء المكونات الحجاجية في المقالات..... 85
أولا: البناء الشكلي للنصوص..... 85
ثانيا: المقدمات والدعوى..... 86
ثالثا: التدعيم..... 88
1/- التدعيم بالدليل..... 89
2/- التدعيم بالقيمة..... 94
3/- التدعيم بالمصداقية..... 97
المبحث الثاني: السُلميّات الحجاجية في المقالات
1/- المفهوم والأسس العامة لنظرية السلالم الحجاجية..... 100
2/- السلالم الحجاجية في " عيون البصائر "..... 103
3/- قوانين الترتيب الحجاجي في " عيون البصائر "..... 110
3 - 1/- قانون تبديل السلم..... 110
3 - 2/- قانون القلب..... 112
3 - 3/- قانون الخفض 113
المبحث الثالث: الروابط والعوامل الحجاجية في المقالات
1/- مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية..... 115
2/- دراسة تحليلية لأهم الروابط في " عيون البصائر "..... 120

2-1- لكنْ 121
2-2- بل.....126
2- 3 – حتى.....130
3/- بعض الروابط العوامل الحجاجية الأخرى في المقالات.....137
3 – 1 – أسلوب القصر 137
3 – 2 – واو الحال 140

الفصل الثالث: وسائل الإقناع في المقالات

المبحث الأول: وسائل الإقناع المنطقية الدلالية في المقالات
1/- مفهوم الإقناع.....143
2/- الوسائل المنطقية – الدلالية.....146
2 - 1- القياس المنطقي.....146
2 - 2- القياس المضمر (الإضماري).....151
2 - 3- القياس المتدرج.....160
المبحث الثاني: وسائل الإقناع اللغوية في المقالات
1 بنية التكرير.....165
I- تكرير الشكل.....170
I- 1- تكرير المكرر بذاته.....170
أ - تكرير اللفظ المفرد.....170
أ – 1 – تكرير اللفظ المفرد الذي يمكن الاستعاضة عنه بالضمير.....170
أ – 2 – تكرير اللفظ المفرد الذي لا يمكن الاستعاضة عنه بالضمير.....171
أ – 3 - تكرير اللفظ المفرد الذي يعد نواه الكبرى.....173
ب – تكرير عبارة أو جملة.....174
ب - 1 – تكرير الجملة كاملة أو عبارة منها.....174
ب – 2 – تكرير صدر الجملة.....175

ب – 3 – تكرير عجز الجملة.....177
I- 2- التكرير في هيئة عنصرين اثنين من مادة واحدة.....178
II - تكرير المضمون.....180
1/- تكرير مفردتين متواليتين أو أكثر في جملة واحدة.....180
2/- تكرير المضمون المبني على مفردتين في جملتين.....186
3/- تكرير مفردتين في ثنائية.....187
4/- تكرير المضمون على مستوى الجمل والعبارات.....189
2 – بنية التوازي.....191
العلاقة الأولى: التمديد.....192
الطريقة الأولى: الإحكام.....192
الطريقة الثانية: الإطالة.....194
الطريقة الثالثة: التعظيم.....196
العلاقة الثانية: التصميم.....197
3– بنية الازدواج (التوازن).....199
خاتمة.....207
المصادر والمراجع.....212
ملاحق.....223
فهرس الموضوعات.....226